مع رجال الفكر

في القاهرة

(القسم الثاني)

تأليف
السيد مرتضى الرضوي

فهرس المطالب

- كلمة المؤلف
- 22 – الشيخ عبد السلام سوحان
- 23 – الأستاذ الأكبر محمود شلتوت
- 24 – الأستاذ محمود محمد شاكر
- 25 – الدكتور شوقي ضيف
- 26 – الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد
- 27 – الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود
- 28 – الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف
- 29 – الأستاذ الشيخ محمود فوج العقدة
- 30 – الأستاذ عبد الله يحيى العلوي
- 31 – الأستاذ علي عبد العظيم
- 32 – الشيخ عبد الرحيم أحمد العرابي
- 33 – الأستاذ الشيخ محمد محمد الفحام
- 34 – الأستاذ محمد قطب

35 – الدكتورة سعاد ماهر

- 36 – الأستاذ أبو الوفا المراغي
- 37 – الأستاذ عبد الهادي مسعود
- 38 – الأستاذ عبد الرحمن محمد النجار
- 39 – الأستاذ الشيخ محمدزهوي النجار
- خاتمة المطاف

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف البرية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعترته الهادية المرضية.

وبعد فهذا هو القسم الثاني من كتابنا: " معرجال الفكر في القاهرة " بطبعته الرابعة تخرج إلى الظهور بعد مضي عشرين عاما من طبعته الأولى.

وتمتاز هذه الطبعة على ما فاتها من الطبعات بزيادات كثيرة، وتعديلات مهمة، وتعليقات جديدة لا يستغني – كل باحث وطالب حقيقة – عنها.

أسأل الله أن يتقبل أعمالنا ويجعلها خالصة له، ويجعل مستقبل أمرنا خيرا من ماضيه، وما بذلناه من جهد في نشر، ودعم آثار أهل البيت (عليهم السلام) مرفوعا إليه ومقبولا عنده إنه سميع الدعاء قريب مجيب؟

القاهرة السيد مرتضى الرضوي

الصفحة 10

الصفحة 11

حرف السين

22 – الشيخ عبد السلام سرحان

الصفحة 12

الصفحة 13

الشيخ عبد السلام سرحان

- ولادته: ولد بمدينة سباخ بمديرية الدقهلية
- درس في الأزهر الشريف.
- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر.
- أهم آثاره: رشفات من رحيق الأدب.
- لا يزال أستاذا في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف.
- تعرفت إليه في القاهرة عام 1961 م.
- من علماء الأزهر الشريف وأساتذة اللغة والأدب.
- من المؤلفين وذوي التحقيق الأفاضل.

بسم الله الرحمن الرحيم

زارني هذا الشيخ مع الشيخ حسن زيدان طلبة في فندق ميامي بالقاهرة عام 1961 م وبعد أن استقر به المكان توجه نحوي قائلا:

هل جئت إلى مصر من قبل علماء الشيعة لنشر كتب الشيعة بمصر؟

قلت: لا، فقال:

هل – أن تجار الشيعة بعثوك لطبع ونشر كتب الشيعة هنا؟

قلت: لا. ثم قلت:

إني كنت عندما دخلت القاهرة لأول مرة قد وجدت الناس هنا لا يعرفون شيئا عن الشيعة بل العكس يرون أن الشيعة كما صورها لهم رائد المستشرقين أحمد أمين في كتابه: " فجر الإسلام "

ثم قدمت له مجموعة من الكتب التي نشرتها بالقاهرة فشكرني عليها وقال:

إهداؤك هذه الكتب للعلماء والأساتذة والمدرسين والكتاب بدون مقابل فكيف هذا وأنت رجل وراق؟!

قلت: يا أستاذ قد قال الله تعالى في كتابه الكريم: (واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل...) الآية. الأنفال: 41

فإن علماء الشيعة الإمامية يختلفون عن علماء السنة في تفسير هذه الآية.

فالإمامية يرون الخمس في أرباح المكاسب ويعتبرونها من ضمن الغنائم. وهذه الآية يقسمها علماؤنا إلى قسمين:

الأول: يسمى عندنا بسهم الإمام ويصرف سهم الإمام في نشر الدعوة الإسلامية، وهذا منه.

والثاني: يسمي بسهم السادة يدفع إلى المنتمين إلى أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذين لا يملكون قوت سنتهم.

وفي الأثناء شاهد الشيخ سوحان مذكرة على المنضدة كنت قد سجلت فيها أسماء العلماء والأساتذة الذين تعرفت إليهم. فرفع الشيخ سوحان المذكرة وأطال النظر فيها، وكنت قد سجلت فيها أسماء الشخصيات التي تعرفت عليها وكانت حوالي مائة شخص وكنت قد أهديتهم جميعا الكتب التي نشرتها في القاهرة.

ثم إني قلت للأستاذ الشيخ سوحان: ولو أني وجدت مائة شخص غيرهم لأهديتهم من هذه الكتب أيضا.

فقال: كيف؟

قلت: إني عندما أدفع الكتب لأصحاب المكتبات للبيع يحسم 30 % منها عمولة، ولكن، إذا قدمتها للعلماء، والأساتذة، والكتاب، أحسبها بدون حسم فتكون العمولة 30 % لي مع وزيادة 10 % ويكون مجموع الفائدة 40 %.

ثم قال: أخبرني كيف تعرفت أنت على هؤلاء واتصلت بهم، مع العلم أني هنا بمصر أسمع بهم ولم أرهم؟ فكيف أنت تعرفت عليهم وفي خلال هذه المدة استطعت أن تتصل بهم مباشرة.

فأجبته: من الذي عرفني بك؟

فقال: الشيخ حسن زيدان.

قلت: أليس أنك عرفتني عن فلان وفلان.

قال: نعم.

قلت: وبهذا النحو بلغ العدد كما ترى.

وكان هذا الشيخ قد دعاني في ظهر يوم من الأيام ودعا الشيخ حسن زيدان، والشيخ عبد الرحيم أحمد عوابي [1] في منزله وكان قد هيأ لنا أنواع اللحوم والأسماك، وألوان الطعام والفواكه وجلس معنا هو وأولاده على المائدة وبعد أن أصبنا حاجتنا من الأكل ذهبنا إلى غرفة الاستراحة وشربنا هناك الشاي، والقهوة وهناك جرى حديث طبع الكتب وتحقيقها، ورغب الشيخ سوحان أن يحقق لنا كتابا، فعرضت عليه تحقيق كتاب: " أنوار الربيع " في أنواع علم البديع، وكنت قد صحبت هذا الكتاب معي من العراق لتحقيقه وطبعه في القاهرة.

ومؤلف هذا الكتاب هو: السيد علي خان المدني صاحب كتاب " سلافة العصر " [2] و " الدرجات الرفيعة " في طبقات الشيعة [3] وشرح الصحيفة السجادية وقد طبع على الحجر مرتين وله أكثر من ثلاثين مؤلفا بين مخطوط ومطبوع.

واتفقنا مع الشيخ سوحان على مبلغ معين لكل مؤلفة ندفعها له بعد تحقيقها، وبعد مدة غادرت القاهرة وعدت إلى العراق، وبعد شهور أرسلت رسالة للأخ الصديق الوفي الحاج سعد خضر المجلد الفني بدرب سعادة بشارع بور سعيد قرب

(1) أنظر محادثاتنا مع الشيخ عبد الرحيم أحمد عرابي في حرف العين.

(2) هذا الكتاب نشره لأول مرة محمد أمين الخانجي بمصر وأعيد طبعه بالأوفست أكثر من مرة في إيران وغيرها.

(3) هذا الكتاب نشره لأول مرة محمد كاظم الكتبي في النجف وتوجد منه نسخة في مكتبة الإمام كاشف الغطاء في النجف الأشرف.

المحكمة المختلطة بمصر وعرفته أن يدفع للشيخ سرحان بمقدار ما حققه من الكتاب.

ولما عدت إلى القاهرة راجعت الأخ الوفي الحاج سعد خضر وسألته:

هل دفعت للشيخ سرحان شيئا؟

قال: لا.

قلت: لماذا؟

قال: لأنه لم يحقق شيئا من الكتاب، وقد جاءني وطلب مني مبلغا ولم أكن لأدفع له شيئا، وبعد أيام راجعت الشيخ سرحان في داره وعاتبته على عدم إنجازه لتحقيق الكتاب فقدم أعذارا وقال:

إن الحاج سعد خضر لم يدفع لي أي مبلغ.

فأجبته: يدفع لك الحاج سعد لقاء أي عمل أنجزته.

هل حققت شيئا من الكتاب؟ فإني قد أوصيت الحاج سعد خضر أن يدفع لك بدل ما قمت به من التحقيق حسب اتفاقنا معك عن كل ملزمة، وحيث أنك لم تحقق شيئا توقف الحاج سعد عن دفع أي مبلغ لك فلو أنك كنت قد حققت ملزمة واحدة لاستلمت منه بدلها حسب اتفاقنا معك وبعد ذلك قمت مستأذنا وانصرفت.

وبعد أيام ذهبت إلى داره ثانيا مطالبا له بإعادة نسخة كتاب: " أنوار الربيع "، التي دفعتها له ليكون التحقيق عليها وقد سبق أني أودعت عنده " أكليشيهات " يتجاوز عددها المائة والخمسين " أكليشية " قد خطها لي الخطاط الشهير محمد حسني وعملتها لأبواب الكتاب وفصوله ظانا عند وصولي القاهرة أجد " أنوار الربيع قد أتم لي تحقيقه الشيخ سرحان كي أشرع بطبعه. وكنت قد جهزت هذه " الأكليشيهات " قبل أن أتفق مع أي أستاذ حول تحقيق الكتاب.

وعندما طالبت الشيخ سرحان بالكتاب و " الأكليشيهات " امتنع عن إرجاعها لي مع العلم أني كنت أودعتها أمانة عنده، ورأيت من الأفضل أن أراجع شيخ الكلية الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد وأحدثه بما جرى لي مع الشيخ سرحان وقلت: لعل الله تعالى يأخذ لنا حقنا منه، ويكفينا الرجوع إلى المحاكم [1].

ففي صباح يوم الثلاثاء 7 / 9 / 1965 قصدت إدارة كلية اللغة العربية في حي الأزهر ودخلت الإدارة سائلا عن فضيلة شيخ الكلية وعميدها:

الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد فرأيت الأستاذ أحمد محمد غنيم وكيل الكلية حاضرا فسألته عن فضيلة عميد الكلية فأجاب:

أنه قد خرج منذ ساعة ولن يعود اليوم. ثم قال:

يمكنك أن تلتقي به غدا في الساعة العاشرة صباحا في مكتبه في الكلية. فحضرت الموعد الذي عينه الأستاذ محمد غنيم وكيل الكلية والتقيت بالأستاذ وأخبرته بجميع ما حدث ودار بيني وبين الشيخ عبد السلام سوحان حول تحقيق كتاب: " أنوار الربيع " وودعته وانصرفت.

* * *

(1) قدمت شكوى بهذا إلى الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر صاحب الفضيلة الشيخ حسن مأمون، وصورة منه إلى فضيلة الشيخ الباقوري المدير العام لجامعة الأزهر وإلى عميد كلية اللغة العربية الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.

الصفحة 20

الصفحة 21

- 9 -

حرف الشين

23 - الأستاذ الأكبر محمود شلتوت

24 - الأستاذ محمود شاكر

الصفحة 22

الصفحة 23

- 23 -

الأستاذ الأكبر محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

الصفحة 24

ولد في مدينة بني منصور (بالبحيرة).

- درس بالأزهر وتخرج فيه عام 1918 م.
- تنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة عام 1927 م.
- كان داعية إصلاح، نير الفكرة يقول بفتح باب الاجتهاد.
- سعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو ومناصروه.
- عمل في المحاماة عام 1930 م – 1931 م.
- أعيد إلى الأزهر فعين وكيلا لكلية الشريعة ثم كان من أعضاء كبار العلماء عام 1941 م.
- من أعضاء مجمع اللغة العربية 1946 م. عين شيخا للأزهر 1958 م.
- كان خطيبا موهوبا جهير الصوت وفقيه، ومفسر.
- آثاره: له 26 مؤلفا مطبوعا
- انتقل إلى رحمة ربه في ليلة الجمعة 27 رجب عام 1963 م.
- تعرفت إليه في القاهرة عام 1959 م.
- من كبار العلماء والمؤلفين البارزين بمصر.
- يدعو إلى نشر كتب الشيعة الإمامية.
- سعى في نشر " مجمع البيان " في تفسير القرآن للإمام الطبرسي، كما أنه ساعد على نشر " مختصر النافع " في فقه الشيعة الإمامية وطبع أكثر من مرة على نفقة وزارة الأوقاف بمصر.
- يرى أن مذهب الشيعة الإمامية – الإثنا عشرية – مذهب إسلامي صحيح ويجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة.
- له مواقف مشرفة في سبل جمع الكلمة، واتحاد الأمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرفت إلى فضيلته بسبب اتصالاتي بدار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة.

وفي أحد الأيام قصدت زيارته في إدارة الجامع الأزهر وأتيت إلى مكتبه – مكتب شيخ الأزهر – وكنت قد صحبت معي كتاب وسائل الشيعة ومستدركاتها المجلد الأول والثاني منه مع بقية الكتب التي كنت قد نشرتها آنذاك بالقاهرة.

وعندما دخلت عليه شاهدت أستاذا يرتدي العمة وأمامه التليفون يمسك بإحدي يديه سماعة التليفون فتأملته وإذا به مدير مكتب شيخ الأزهر فقدمت إليه بطاقتي الشخصية أرفقتها برقة طلبت فيها مقابلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت وذكرت فيها قدومي من العراق وحملي مجموعة من الكتب إلى سماحته. فاستلم مني البطاقة وعين لي مكانا للجلوس، وكان قبلي جماعة قد حضروا لمقابلة الأستاذ الأكبر فجلست منتظرا دخول الجماعة عليه وعندما وصل دوري وحان وقت دخولي عليه قام الأستاذ

– مدير المكتب –وأدخلني على سماحة شيخ الأزهر.

ولما دخلت عليه حييته بتحية الإسلام وقلت:

السلام عليكم يا مولانا ورحمة الله!!

فرد علي الجواب بترحيب كله عطف، وحنان، وتقدير وأجلسني على كرسي إلى جنبه.

وقال من أي البلاد؟

قلت: من النجف الأشرف – العراق ومن الشيعة الإمامية الذين يحملون لسيادتكم المودة والإخلاص لقيامكم بتوحيد كلمة الإسلام، ولم شعث المسلمين وجمع كلمتهم. وجئت حاملا لكم تحيات علماء الشيعة الإمامية في النجف الأشرف.

وتحدث سيادته برهة من الزمان عن: أن السبب الوحيد في تشتت المسلمين وتفرقهم واضطهادهم هو الاستعمار وغايته من هذا كله السيطرة عليهم كي لا يكونوا يدا واحدة.

وبعد أن أتم حديثه دعا لي بشاي فشربت.

ثم تناول مني الكتب التي أهديتها لسماحته كان منها كتاب: "وسائل الشيعة ومستركاتها ".

وقد شاهد فضيلته ما كتبه العلماء والكتاب من تقديم. وقلت:

سأقوم بطبع بقية أجزاء هذا الكتاب إن شاء الله فوعدني سماحته بتصدير أحد الأجزاء القادمة للكتاب فشكرته وبعد ذلك قمت مودعا إياه فاستأذنته وانصرفت.

وقبل رحلتي هذه إلى القاهرة بعام واحد وهو عام 1377 هـ. الموافق 1958 م زرت دار التقريب بين المذاهب الإسلامية على – عادتي في جميع رحلاتي إلى مصر.

وعندما دخلت شاهدت الأستاذ عبد الهادي – السكرتير العام المساعد لجماعة التقريب – فاستقبلني ورحب بي وأجلسني على كرسي عن يمينه وبعد تبادل التحيات سألته عن الأستاذ صاحب السماحة الشيخ محمد تقي القمي وقلت: جئت قاصدا زيارته فأجاب: عنده الآن جماعة فجلست أتحدث معه وعندما خرجوا دخلت على سماحته فقام سماحته من مكانه منتصبا مرحبا بي وضمني إلى صدره وقال:

أنت من دعاة التقريب، وبعد أن جلسنا معا عرضت على سماحته فكرة طبع كتاب (أصل الشيعة وأصولها) لصاحب السماحة الإمام الأكبر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في القاهرة وأخبرته أن بعض الأساتذة والكتاب هنا بمصر وغيرون كثيرا في التعرف على كتب الشيعة الإمامية لاقتنائها والاطلاع عليها فرحب سيادته بهذه الفكرة، وقال:

إن الإمام كاشف الغطاء منذ أعوام كان قد أرسل رسالة إلى العلامة الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعتي كبار العلماء والتقريب إلى هذه الدار وقد رد عليه الجواب صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وها نحن نحتفظ بالرسالة

والجواب ومتى عزمت على طبع الكتاب نزودك بصورة منه، فأشار على أحد السادة في الدار فأحضر لي صورة من الرسالة والجواب وهذا نصهما:

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد

من النجف الأشرف 8 جمادى 2 / 67

بواسطة حضرة العالم محمد التقي القمي أيده الله. دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – القاهرة العالم الجليل الشيخ محمود شلتوت أيده الله.

غب السلام والتحية اطلعت على كلمة لكم في بعض الصحف، كان فيها لله رضا، وللأمة صلاح فحمدناه تعالى على أن جعل في هذه الأمة، وفي هذا العصر من يجمع شمل الأمة ويوحد الكلمة، ويفهم حقيقة الدين، ويزيد الإسلام لأهله بركة وسلاما.

وما برحنا منذ خمسين عاما نسعي جهدنا في التقريب بين المذاهب الإسلامية وندعو إلى وحدة أهل التوحيد وعسى أن تكونوا نظرتم مؤلفنا: أصل الشيعة الذي طبع ست مرات إحداها في القاهرة، هناك تجدون في مقدمته ما يسركم، ويسر كل ذي غيرة إسلامية.

وفقكم الله وجعلكم وأخوانكم من العاملين عليها بخير. بدعاء

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

صدر من مدرستنا العلمية بالنجف الأشرف

الجواب:

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الأكبر أستاذنا العظيم

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فمن أعظم بواعث السرور في نفسي، وفي نفوس، إخواني، حضرات أعضاء جماعة التقريب أن يكون أستاذنا من أقوى العمد التي يعتمدون عليها في نجاح فكرتهم، والوصول، إلى الهدف الذي يسعى فضيلته إليه منذ خمسين سنة، أو يزيد، وليس ذلك من هذا الخطاب الذي شرفنا به فضيلته، وإنما هو شئ عرفناه من قبل وقر في نفوسنا منذ أن سمعنا بأثر الشيخ وجهوده، وقرأنا كتبه وفصوله، التي كان في مقدمتها مؤلفه السهل الممتع الذي كشف فيه بحق الغطاء عن حقيقة المذاهب الإسلامية الشرقية أمام هؤلاء الذين ألبسوها ثوبا قاتما أخفى حقيقتها ووضعها بين المذاهب الإسلامية عامة.

وما كانت المذاهب في الإسلام إلا نتيجة ليسر هذا الدين وسماحته الذي لم يرد صاحبه أن يكبل الناس بأغلال التعيين

والتجديد للأحكام التي تتطلبها الحضارات المختلفة، وتختلف فيها المصالح، وأوجه النظر باختلاف الأقاليم والأزمنة والفصول، ولكنه منح عقولهم حرية الفهم والتخريج والتطبيق.

وجعل هذه المنحة خالدة دائمة بدوام القرآن الكريم الذي هو حبل الله المتين الذي طلب إلينا الاعتصام به، والتمسك بإرشاده وهدايته.

هذا بعض ما أوحى به كتابكم إلي بمناسبة اقتراح نبذ كلمة طوائف فيها بين المسلمين.

وإن جماعة التقريب التي يرجع الفضل في تكوينها إلى أخي العالم صاحب

السماحة السيد محمد تقي القمي العظيمة الأمل في تلقي إرشاداتكم النافعة، وآراءكم القيمة التي تنير لها السبيل وتهديها الصواط المستقيم.

ونسأل الله سبحانه أن يطيل في حياتكم المباركة ويمنحكم الصحة والعافية فإن في قوتكم وعافيتكم، قوة وعافية للمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمود شلتوت

عضو جماعتي كبار العلماء والتقريب

ولقد أعلن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر كلمة الإسلام في العصبية، والتفرقة المذهبية [1].

قال الأستاذ الأكبر: لا عصبية في الإسلام

لقد مضى زمان العصبية الجاهلية كلنا مسلمون ومذاهبنا جميعا تنبثق من أصل واحد هو رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) كتاب الله وسنة رسوله.

وقال: إن بيني وبين كثير من أئمة الشيعة رسائل تلاقت عند وجوب التقريب، ونزع ما بين السنة والشيعة من عصبية انتهزها الأعداء، والمستعمرون للتفريق بين الشعوب الإسلامية الواحدة في مصر، والعراق، وإيران.

وقال الأستاذ الأكبر: إن الاستعمار يحاول أن يجد ثغرة ينفذ منها إلى وحدة المسلمين. ليمزقها ويفرق شملها، ويبعث بين أهلها العداوات والبغضاء.

والدين من وراء المسلمين يدعوهم إلى كلمة الله:

(1) الموضوع نشر في جريدة (اليقظة) البغدادية " 3096 " السنة " 35 " تاريخ 7 شعبان 1378 هـ - (15) شباط سنة 1959 م تحت عنوان: " تدريس جميع مذاهب الفقه الإسلامي في الأزهر ".

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم).

وقال الأستاذ الأكبر: لقد رجحت مذهب الشيعة خضوعا لقوة الدليل في كثير من مسائل المسلمين، أخص منها ما تضمن

قانون الأحوال الشخصية.

وقال: إن الباحث المستوعب سيجد في مذهب الشيعة ما يقوي دليله، ويلتئم مع أهداف الشريعة من صلاح الأسوة والمجتمع.

ثم أعلن الأستاذ الأكبر عن اعتزافه تدريس الفقه الإسلامي في كلية الشريعة بجميع المذاهب ومن بينها مذهب الشيعة، إمامية وزيدية.

وقال: لقد اتفقت مع الأستاذ الباقوري على الرجوع بأهل المذهبين إلى الاعتصام بحبل الله والالتفاف حول المحور المقدس رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم).

واستجاب الوزير " الباقوري " للدعوة استجابة فعلية وعملية، ففي حديث سابق لفضيلة الأستاذ الأكبر مع جريدة " الشعب " تحدث فضيلته حديثا عاوا عن الشيعة والتفرقة المذهبية وانهالت على " الشعب " كثير من الاستفسارات عن دور " الأزهر " في مثل هذا الموقف،.

وذهب مندوبها بهذه الاستفسارات جميعا إلى الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر ليعلن للمسلمين كلمة الإسلام.

وقد استهل فضيلة الأستاذ الأكبر حديثه معي قائلا:

لقد دعا الإسلام إلى الوحدة وجعل المحور الذي يتمسك به المسلمون ويلتفون حوله هو الاعتصام بحبل الله وقد جاء ذلك في آيات الذكر الحكيم.

وأصرحها في ذلك قوله تعالى – في سورة آل عمران –:

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا).

نهى عن التفرق: والتفرق بعمومه يشمل التفرق بسبب المذهبية، وقد انبثقت

المذاهب الفقهية الإسلامية – على كثرتها واختلاف طرقها – من أصول واحدة هي:

كتاب الله وسنة نبية.

وبدأ الأستاذ الأكبر يتحدث عن أثر الاجتهاد في الأحكام.

فقلت لفضيلته:

نحن لا ننكر الاجتهاد، ولكن الذي حدث هو أن المذاهب قد تفرقت به وتعددت، فمارأي فضيلتكم فيما وصل به الاجتهاد إلى التفرقة المذهبية التي نراها بين المسلمين؟.

فأجاب الأستاذ الأكبر قائلا:

وعلىرغم تعددها واختلافها في كثير من الأحكام، وتعدد الآراء في المسألة الواحدة فقد كان الجميع يلتقون عند حد واحد وكلمة سواء هي الإيمان بالمصادر الأولى وتقديس كتاب الله وسنة الرسول، وقد صح عن جميع الأئمة: " إذا صح الحديث فهو

مذهبي واضربوا بقولي عرض الحائط ".

وفي هنا تعاون الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي والسني والشيعي ولم يبرز خلاف بين أرباب المذاهب إلا حينما نظروا إلى طرق الاجتهاد الخاصة وتأثروا بالرغبات، وخضعوا للإيحاءات الوافدة فوجدت ثقوب نفذ منها العدو المستمر.

وأخذ يعمل على توسيع تلك الثقوب، حتى استطاع أن يلج منها إلى وحدة المسلمين ليمزقها ويفرق شملها ويبعث العداوة بين أهلها: وبذلك دبت فيها بينهم عقارب العصبية المذهبية وكان من آثارها السيئة ما كان يحفظه التاريخ من تنابز أهل المذاهب بعضهم مع بعض وتحين الفرص لإيقاع بعضهم لبعض، والذين من ورائهم يدعوهم: هلموا إلى كلمة الله: (ولا تنازعوا فتفشلوا، وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين).

وقلت للأستاذ الأكبر: هل وجدتم في مذهب الشيعة من الآراء ما أفتيتم بها لرجاحتها دون الأخذ بآراء أخرى في نفس الواقعة؟

فقال فضيلته:

لا أنسى أني درست المقارنة بين المذاهب بكلية الشريعة بالأزهر فكنت أعرض آراء المذاهب في المسألة الواحدة – وأبرز من بينها مذهب الشيعة – وكثيرا ما كنت أرجح مذهبهم خضوعا لقوة الدليل.

ولا أنسى أيضا أنى كنت أفتي في كثير من المسائل بمذهب الشيعة وأخص منها بالذكر ما تجد الناس في حاجة ملحة إليه.

وهو يختص بالقدر المحرم من الرضاع.

كما أخص بالذكر ما تضمنه " قانون الأحوال الشخصية " الأخير.

ونذكر على سبيل المثال المسائل الآتية:

أولا: – الطلاق الثلاث بلفظ واحد فإنه يقع في أكثر المذهب السنية ثلاثة ولكنه في مذهب الشيعة يقع واحدة رجعية.

وقد رأى القانون العمل به.

وأصبحت الفتوى بمذهب أهل السنة لا يقام لها وزن في نظر القضاء الشرعي السني.

ثانيا: –رأى قانون الأحوال الشخصية في تنظيمه الأخير أن الطلاق المعلق منه ما يقع ومنه ما لا يقع تبعا لقصد التهديد أو قصد التطليق، ولكن مذهب الشيعة يرى أن تعليق الطلاق مطلقا – قصد به التهديد أو قصد التطليق ولا يقع به الطلاق.

وقد رجحت هذا الرأي، وكثيرا ما أفتيت به، وكثيرا ما أذعته وكتبته في أحاديثي المتعلقة بالطلاق وأجوبة السائلين عن إيقاع الطلاق.

وكم. كم الخ.

والباحث المستوعب المنصف سيجد كثيرا في مذهب الشيعة ما يقوي دليله ويلتئم مع أهداف الشريعة من صلاح الأسرة

والمجتمع، ويدفعه إلى الأخذ به والإرشاد إليه.

وقلت: هل ترى فضيلتكم أن شقة الخلاف بدأت تضيق بين السنة والشيعة؟

وما مظاهر ذلك؟

فقال: لقد مضى زمن تلك العصبية الجاهلية، وانطوت صفحتها المظلمة وعرف المسلمون أن اختلاف الأشقاء لا يمكن أن يدوم ولا أن يطرد، فلا بد أن يأتي عليهم يوم يحققون فيه نسبهم إلى أبيهم، وينتمون فيه إلى أصلهم الذي انبثقوا منه وتفرعوا عنه، وأخذت هذه الروح تنمو وتضيق بها شقة الخلاف بين أهل المذاهب حتى اقتدى الحنفي بالشافعي، والسني بالشيعي، وتبادلت المنافع بينهم، واتصلت الآراء وأخذ كل ينتفع بما في مذهب الآخر حتى وصلنا إلى وقتنا هذا، وقد رأينا تعرض كتبنا – وخاصة كتب الحديث المعتبرة – تعرض لمذاهب أهل السنة ومذاهب الشيعة المعتدلة من إمامية، وزيدية وقد ترجح غير مذهب أهل السنة

وعدت أسأل: هل هناك خطوات اتخذت أو تتخذ للقضاء على العصبية بين السنة والشيعة وما هو برنامجكم في هذا المجال؟.

فقال الأستاذ الأكبر: لقد قرر أيي – إن شاء الله – على أن أعمل علي دراسة الفقه الإسلامي في كلية الشريعة بجميع المذاهب الفقهية المعروفة الأصول البينة المعالم والتي من بينها دون شك – مذهب الشيعة إمامية، وزيدية.

وقد تحدث مع السيد وزير الأوقاف المركزي الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري الأزهري السني في موضوع العصبية بين أهل السنة والشيعة وواجبنا نحوها من القضاء عليها والرجوع بأهل المذهبين إلى الاعتصام بحبل الله والالتفاف

حول المحور المقدس في رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) " كتاب الله وسنة الرسول " وقد كان من السيد الوزير أن استجاب للدعوة استجابة فعلية فطبع كتاب: " المختصر النافع " في فقه الإمامية ووزعه بالمجان على المسلمين وكان من أثر ذلك أيضا أن استجابت جماعة التقريب – في مصر منذ سنين، والتي شاركت في تأسيسها من أول نشأتها، وشاركت في رسالتها ودعوت إليها – فطبعت كتاب " مجمع البيان " وقد دعا إلى طبعه – من قبل – أستاذنا المغفور له الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر الأسبق، وقد كتبت مقدمة والكتاب لإمام من أئمة الشيعة هو الإمام السيد أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من كبار علماء الإمامية.

وقلت لشيخ الأزهر:

هل هناك اتصال الآن بين فضيلتكم وبين أحد من علماء الشيعة الإمامية؟

فقال فضيلته: إن بيني وبين كثير من أئمة الشيعة الإمامية رسائل تلاقت عند حد وجوب التقريب ونزع ما بين الطرفين من عصبية انتهزها الأعداء المستعمرون للتفريق بين الشعوب الإسلامية في مصر وإيران والعراق [1] ومن حديث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مع مندوب جريدة " اطلاعات " الإيرانية. [2] قال مندوب الجريدة: قلت

لفضيلته:

ما هي رسالة الأزهر في عهده الحالي؟.

قال: إن أهم نقطة في برنامجي هي محاربة العصبية المذهبية ودراسة العلوم

(1) دليل القضاء الشرعي 3 % 408 لسماحة العلامة المحقق الكبير السيد محمد صادق بحر العلوم تغمده الله برحمته الواسعة.

(2) نشرته: (رسالة الإسلام) لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية. القاهرة العدد 2 السنة 11.

الدينية في جو من الصفاء والأخوة والبحث عن الحقيقة وعما ينفع الناس.

واتباع الدليل من أي أفق ظهر.

إن المسلمين إذا وصلوا إلى تحقيق ذلك أصبحوا قوة متماسكة متفوقة لما يرفع شأنها، مخففة من أثقال الماضي التي حملتهم إياها العصبية وجعلتهم يبدون أمام العالم كأنهم أتباع أديان مختلفة بينها هم أتباع دين واحد يؤمنون بإله واحد، ورسول واحد، وكتاب واحد.

فقلت لفضيلته: إن الدراسة عادة تجر إلى الاختلاف الفكري وقد رأينا كثرة المجتهدين في تاريخ العلوم الإسلامية، وكثرة الآراء حتى في المذهب الواحد، فكيف يمكن إذن أن يجتمع المسلمون على مذهب واحد، أو فكرة واحدة.

فأجاب فضيلته: إن الخلاف في الرأي ضرورة اجتماعية، وشأن طبيعي لا يمكن دفعه، ولكن هناك فرق بين الاختلاف الذي تمليه العصبية المذهبية والجمود على فكرة معينة ولو ظهر أنها على خلاف الدليل والمنطق، هناك فرق بين هذا، وبين الاختلاف الذي تمليه الحجة والبرهان، فالأول خلاف مذموم ومن مساوئه أنه يقطع بين المسلمين، ويغرس العداوة والبغضاء في قلوبهم، أما الخلاف الثاني فهو خلاف الإنصاف والبحث وراء الحقيقة مع احترام كل فريق لرأي مخالفيه، ما داموا جميعا محترمين للأصل الجامع بينهم وهو مصادر الإسلام الأولى، وقواعده الأصلية.

وقد كان الأئمة الأولون يختلفون علميا ومع ذلك يحترم بعضهم بعضا، ويعذر بعضهم بعضا، ويتشاورون، ويتبادلون الآراء، ويرحل بعضهم إلى بعض، ويأخذ بعضهم من بعض.

وإذن فنحن لا نريد ولا ندعو بين الناس على مذهب واحد لا نريد أن يندمج مذهب الشيعة في مذهب السنة، ولا مذهب السنة في مذهب الشيعة، ولكن نريد أن يصل المسلمون في مختلف طوائفهم إلى لون واضح من ألوان التعاون القائم على

المحبة، وعلى ترك العصبية، والترفع عن التنابز بالألقاب، والبعد عن سوء الظن فإن هذا من شأنه أن يطلق العنان للتفكير في حرية وهدوء والتماس للحقيقة دون خوف أو اضطراب أو بلبلة وألا يحول بين السني وانتفاعه برأي أخيه الشيعي، ولا بين الشيعي وانتفاعه برأي أخيه السني ما دام الجميع يصدرون عن أصل واحد.

إن المسلمين أمة واحدة لهم أصول تجمعهم، ومبادي قد اتفقوا عليها منذ أول يوم في تاريخ الإسلام، ولهم أهداف مشتركة في العالم، تدور حول الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أي حول اصطلاح العقيدة، والسلوك العملي للناس أفرادا كانوا أو شعوبا أو أمما فعليهم أن لا ينسوا ذلك، وألا يسمحوا لصغائر المسائل، والخلافات الفرعية بأن تفرقهم عنه، وتمزق شملهم دونه.

قلت لفضيلته: حقا إن الإسلام أمة واحدة، ولكن ما هي العوامل التي تحفظ لهم هذه الوحدة.

فأجاب فضيلته: إن أول هذه العوامل هو ما ذكرت لك من ترك العصبية والتماس الحق في تعاون وإنصاف.

فهذا شرط أول، وسيجر تحقيقه إلى تحقيق الشروط الأخرى، مثل استقبال الثقافة الإسلامية على أساس ثقافة واحدة، والانتفاع بما هنا وهناك دون نظر إلى كونه في هنا أو في هناك، فالكتب تنشر والرسائل تتبادل، والجامعات تتعارف، وتتبادل الطلاب والأساتذة... وهكذا.

ومثل العمل على التشاور والتحاور ومواساة المشكلات في جو أخوي، ومثل العمل علي تقوية الارتباط العاطفي بين المسلمين في مختلف الشعوب تحقيقا لما مثل به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

إن هذه العاطفة هي أهم الوشائج والروابط في بناء صرح الوحدة الإسلامية.

قلت لفضيلته: يعرف المسلمون أنكم من أقطاب جماعة التقريب فكيف تكونت هذه الجماعة وما الذي قمتم به نحو فكرتها، وما هي خطوتكم المقبلة في هذا الشأن.

فأجاب فضيلته: تكونت هذه الجماعة منذ أكثر من عشرة أعوام في مدينة القاهرة، وكان الذي دعا إليها وجاهد في سبيل تكوينها أخي سماحة الأستاذ العلامة الشيخ محمد تقي القمي العالم الشيعي الإيراني الجليل، وقد استقبلت هذه الدعوة عند توجيهها بروحين مختلفين، روح المعارضين لها الذين ينفرون من كل اصطلاح، ويخافون الإقدام على أية فكرة لم يألفوها ويتشككون في النوايا والمقاصد بغير حق، وهؤلاء المعارضين من يقول: إن هذه الجماعة تريد أن تجعل من السنيين شيعة، كان منهم من يقول: إنها تريد أن تجعل من الشيعيين سنة، وهكذا.

والروح الآخر هو روح المؤمنين الواثقين بدينهم البصيرين بقواعده وأصوله الذين لا ينظرون إلى ظواهر الأمور فحسب، ولكن يتعمقون ويتدبرون ويعرفون تاريخ الأمة الإسلامية في حال تقدمها وتأخرها، وفي أوقات قوتها وضعفها ويدركون السر

في ذلك حق الاواك – هؤلاء هم الصفوة من أهل العلم المؤمنين المجاهدين الصابرين ومنهم تألفت جماعة التقريب وكان لي شرف الإسهام في هذه الفكرة منذ أول يوم، وتلقيت دعوتها من المغفور له أستاذنا الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر الأسبق، وعرفت أن الشيخ المراغي والشيخ مصطفى عبد الرازق شيخي الأزهر الأسبقين أيضا كانا ينظران إليها بكثير من الأمل والارتياح والترحيب وقد التزمت أن أخص مجلتها "رسالة الإسلام " ببحوثي في تفسير القرآن الكريم التي نحوت بها نحوا جديدا في عرض السير القرآنية وبيان أهدافها ومناهجها وما لها من أساليب في الوصول إلى أغراضها وقد كان لهذا التفسير وقع عند إخواننا في مختلف الشعوب والطوائف الإسلامية، وكنت أتلقى كما كانت المجلة تتلقى كثيرا من الرسائل التي راق أصحابها منهج البحث في هذا التفسير وما يمتاز به

في دراسة هدفها الحق، وأسلوبها الوضوح، وأساسها الإنصاف، ومازالت هذه الفصول تنشر في أعداد "رسالة الإسلام " وأرجو أن أواليها في المستقبل ما استطعت إلى ذلك سبيلا إن شاء الله تعالى.

ولقد كنت طول حياتي مولعا بدراسة الفقه الإسلامي دراسة حرة أساسها الدليل والحجة، وأن أستخرج من كنوزه وذخائره ما ينفع الناس في عصرنا هذا، وما يلفت أنظارهم إلى عظمته وإلى يسره، وإلى رحمة الله به.

وقد استطعت أنا وكثير من إخواني في التقريب وفي الأزهر وفي الفتوى وفي لجان الأحوال الشخصية، وغير ذلك أن نرجح أقوالا وآراء في غير مذهب السنة مع أننا سنيون. وفي ذلك ما أخذ به قانون الأحوال الشخصية المصري في شئون الطلاق الثلاث، والطلاق المعلق وغير ذلك فإن هذا مستمد في مذهب الشيعة الإمامية والعمل الآن قائم عليه دون سواه.

والآن أجد من واجبي أن أدخل في كلية الشريعة من كليات الجامع الأزهر ما كنت أتوق إليه طول حياتي من دراسة الفقه على نحو خالص من العصبية المذهبية، لأهدف إليه إلى الوصول إلى الحكم السليم في كل شأن من شئون المسلمين، ولا سيما العملية منها، فقد آن لهذا الفقه الأكبر الدقيق العميق أن يلبس ثوبه الملائم له، وأن يعرض على الناس عرضا مناسبا للعصر، وأن يشعر كل مسلم بأنه حقا فقه الحياة، وقوام المسلمين. وأن يتقلب في مجال نظامه وتنسيقه وترتيبه مستمدا من ذلك الفقه القوي.

ويومئذ يقف الأزهر موقفه العظيم من المسلمين في مختلف طوائفهم وشعوبهم ومذاهبهم موقف المنصف الذي يقول الحق، ويهدي إلى الحق ويبعث النور وهاجا في العالمين كما ألف المسلمون منه في كثير من مراحل تاريخه العظيم.

وأخيرا سألنا فضيلة الأستاذ الأكبر:

ما هو مستقبل الدين الإسلامي بعد هذا التقدم الذي بهر العالم.

فأجاب فضيلته: إن الإسلام يثبت ويقوى دائما كلما قوي العلم وازدهر، وإن الإسلام هو الدين الذي وجه الناس إلى التفكير وإلى السير في الأرض وإلى معرفة خواص المخلوقات والانتفاع بما سخر الله فيها للإنسان، ذلك لأنه يعلم أن هذا هو السبيل

الوحيد لمعرفة الله والإيمان بعظمة الله فكل من الدين الإسلامي والعلم يتبادلان المعونة والتأييد، فالدين الإسلامي يحث على العلم ويؤيده، والعلم يكشف من عظمة هذا الكون ما يؤيد عقيدة المؤمنين في عظمة خالقه وكمال مبدعه، صدق الله العظيم إذ يقول:

"ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ".

وما كثرت أوامر القرآن بحث الإنسان على النظر في ملكوت السماوات والأرض، ودراسة السنن الكونية إلا لكونها وسيلة لمعرفة الله، وتثبيت الإيمان به في قلوب المؤمنين.

فالعلم وسيلة لحفظ الإيمان، وصيانته من الضعف والتزلزل، لذلك أراني دائما فرحا بكل تقدم علمي ثقة بأن العلم يخدم الإيمان ونصيحتي إلى إخواني وأبنائي المسلمين ألا يبهرهم البريق الظاهر في الحقائق، وألا تلهيهم المادة عن الروح فإن الإمام مخلوق لا بد له في كل منهما ولا يصلح أمره إلا عليهما جميعا.

وأسأل الله تعالى أن يهب المسلمين من لدنه رحمة ويهيئ، لهم من أمر هم رشدا، إنه سميع الدعاء.

ونسأل الله سبحانه أن يطيل في حياتكم المباركة، ويمنحكم الصحة والعافية فإن

في قوتكم وعافيتكم قوة وعافية للمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود شلتوت

عضو جماعتي كبار العلماء والتقريب

وقد أعلن: فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت فتوى في جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية وكانت مجلة رسالة الإسلام التي تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة قد نشرت الفتوى التاريخية في العدد الثالث من السنة الحادية عشر ص 227 عام 1379 هـ 1959 م

قال فضيلة الأستاذ الأكبر:

من بين ما تعني به كلية الشريعة في منهجها الجديد: دراسة الفقه المقارن بين المذاهب الإسلامية على الأسس التالية:

أولا – تكون الدراسة على مختلف المذاهب لا فرق بين سنة وشيعة.

ويعني بوجه خاص وجهة النظر الفقهي حكما ودليلا لكل من مذاهب السنة وهي الأربعة المعروفة والإمامية – الإثنا عشرية – والزيدية.

ثانيا – يستخلص الحكم الذي يرشد إليه الدليل دون التفات إلى كونه موافقا أو مخالفا لمذهب الأستاذ أو الطالب، حتى تتحقق

الفائدة من المقارنة وهي وضوح الرأي الراجح من بين الآراء المتعددة وتبطل العصبيات المذمومة.

وفي أصول الفقه – يعني بوجه خاص ببيان المواضع الأصولية التي وقع الاختلاف فيها بين مذاهب السنة السابقة الذكر، مع بيان أسباب الخلاف.

وفي علم مصطلح الحديث ورجاله.

تشمل الدراسة ما اصطلح عليه السنة وما اصطلاح عليه الإمامية، والزيدية.

كما تشمل دراسة الرجال المشهورين وأصحاب المسانيد ومسانيدهم في كل من الفريقين هذا بالإضافة إلى التوسع في هذه الدراسة تفصيلا في الدراسات العليا بكلية الشريعة.

قيل لفضيلته:

إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية ولا الشيعة الزيدية فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مثلا.

فأجاب فضيلته:

1 – إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين بل نقول:

إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحا والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ولمن قلد مذهبا من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره – أي مذهب كان –ولا حرج عليه في شئ من ذلك.

2 – إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة [1] . فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك،

(1) قال الشيخ محمد الغزالي: وأعتقد أن فتوى الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شوط واسع في هذا السبيل، وهو استئناف لجهد المخلصين من أهل السنة وأهل العلم جميعا، وتكذيب لما يتوقعه المستشرقون من أن الأحقاد سوف تأكل هذه الأمة قبل أن تلتقي صفوفها تحت راية واحدة وهذه الفتوى في نظري بداية الطريق، وأول العمل.

بداية الطريق لتلاق كريم تحت عنوان الإسلام الذي أكمله الله جل شأنه... وبداية العمل للرسالة الجامعة التي تعني الرحمة للمؤمنين، والرحمة للعالمين.

أنظر: " دفاع عن العقيدة والشريعة " ص 257 طبعة مصر. الطبعة الرابعة القاهرة عام 1395 هـ. 1975 م ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم،

ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات.

وللأستاذ الأكبر محمود شلتوت مقدمة في قصة التقريب نشرتها مجلة رسالة الإسلام لجماعة التقريب في القاهرة في: المجموعة الثانية العدد 55 ص 194 وأوردها الأستاذ الكبير المغفور له الشيخ محمد محمد المدني في كتابه " دعوة التقريب " من:

مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة عام 1966 م.

يستعرض الأستاذ الأكبر في هذه المقدمة المراحل التي مرت عليها قصة التقريب حتى اختمرت وظهرت فكرة قاطعة تجسدت فيها فتواه بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية – الاثنا عشرية – كسائر المذاهب الإسلامية الأخرى المعترفة.

وإليك مقتطفات من النصوص التي يتحدث فيها الأستاذ الأكبر عن هذه المراحل إذ يقول:

لقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم، وأسهمت منذ أول يوم في جماعتها، وفي وجوه نشاط دارها بأمور كثيرة، كان منها تلك الفصول المتتابعة في تفسير القرآن الكريم التي ظلت تنشرها مجلتها "رسالة الإسلام " قرابة أربعة عشر عاما حتى

اكتملت كتابا سويا أعتقد أنه تضمن أعز أفكاري، وأخلد آثاري، وأعظم ما أرجو به ثواب ربي، فإن خير ما يحتسبه المؤمن عند الله، هو ما ينفقه من الجهد الخاص في خدمة كتاب الله.

ولقد تهيأ لي بهذه الوجه من النشاط العلمي أن أطل على العالم الإسلامي من نافذة مشرفة عالية وأن أعرف كثيرا من الحقائق التي كانت تحول بين المسلمين واجتماع الكلمة، وائتلاف القلوب على إخوة الإسلام، وأن أتعرف إلى كثير من ذوي الفكر والعلم في العالم الإسلامي، ثم تهيأ لي بعد ذلك وقد عهد إلي بمنصب مشيخة الأزهر أن صدرت فتواي في جواز التعبد على المذاهب الإسلامية الثابتة الأصول، المعروفة المصادر، المتبعة لسبيل المؤمنين، ومنها مذهب الشيعة الإمامية " الاثنا عشرية "وهي تلك الفتوى المسجلة بتوقيعنا في دار التقريب التي وزعت صورتها الزنكوغرافية بمعرفتنا والتي كان لها ذلك الصدى البعيد في مختلف بلاد الأمة الإسلامية، وقرت بها عيون المؤمنين المخلصين الذين لا هدف لهم إلا الحق والألفة ومصلحة الأمة.

وظلت تتوارد على الأسئلة، والمشاورات، والمجادلات في شأنها، وأنا مؤمن بصحتها، ثابت على فكرتها، أؤيدها في الحين بعد الحين، فيما أبعث بها من رسائل للمستوضحين أو أرد به على شبه المعترضين، وفيما أنشر من مقال ينشر، أو حديث يذاع، أو بيان أدعو به إلى الوحدة والتماسك، والالتفات حول أصول الإسلام، ونسيان الضغائن والأحقاد، حتى أصبحت والحمد لله حقيقة مقررة، تجري بين المسلمين مجرى القضايا المسلمة بعد أن كان المرجفون في مختلف عهود الضعف الفكري، والخلاف الطائفي، والنزاع السياسي يثيرون في موضوعها الشكوك والأوهام بالباطل.

وها هو ذا الأزهر الشريف يقول على حكم المبدأ، مبدأ التقريب بين أرباب

المذاهب المختلفة فيقرر دراسة فقه المذاهب الإسلامية سنيها وشيعيها دراسة تعتمد على الدليل والبرهان، وتخلو من التعصب لفلان أو فلان، كما أن أهتم في تكوين مجمع البحوث الإسلامية بأن يكون أعضاؤه ممثلين لمختلف المذاهب الإسلامية.

وبهذا تكون الفكرة التي آمنا بها، وعملنا جاهدين في سبيلها قد تركزت الآن وأصبحت رسالة الدار محل التقدير والتنفيذ.

وكنت أود لو أستطيع أن أتحدث عن الاجتماعات في دار التقريب حيث يجلس المصري إلى الإيراني، أو اللبناني أو الباكستاني، أو غير هؤلاء في مختلف الشعوب الإسلامية، وحيث يجلس الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي بجانب الإمامي والزيدي حول مائدة واحدة تنوي بأصوات فيها علم، وفيها أدب، وفيها تصوف، وفيها فقه، وفيها مع ذلك كله روح الأخوة وذوق المودة والمحبة، وزمالة العلم والعرفان.

وكنت أود لو أستطيع أن أبرز صورة كصورة الرجل السمح الزكي القلب العف اللسان.

رجل العلم والخلق المغفور له الأستاذ الأكبر: الشيخ مصطفى عبد الرازق، أو صورة كصورة الرجل المؤمن القوي الضليع في مختلف علوم الإسلام، المحيط بمذاهب الفقه أصولا وفروعا الذي كان يمثل الطود الشامخ في ثباته، والذي أفاد منه التقريب في فترة ترسيخ مبادئه أكبر الفائدة المغفور له أستاذنا الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم رضي الله عنه وأرضاه، أو صورة كصورة ذلك الرجل الذي حنكته التجارب، واحتضنته محامل العلم، والرأي المغفور له الأستاذ محمد علي علوبة، جزاه الله عن جهاده وسعيه خير الجزاء.

ولعلي أيضا كنت أستطيع أن أتحدث عن صور لكثيرين ممن وهبوا أنفسهم لهذه

الدعوة الإسلامية، ووقفوا عليها جهودهم، وآمنوا بالتقريب سبيلا إلى دعم المسلمين وإبراز محاسن الإسلام، وغير هؤلاء كثيرون ممن سبقونا إلى لقاء الله من أئمة الفكر في شتى البلاد الإسلامية الذين انضموا إلى التقريب، وبذلوا جهودهم لنشر مبادئه، وساجلناهم علما بعلم، ورأيا برأي، وتبادلنا وإياهم كثيرا من الرسائل والمشروعات والمقترحات وفي مقدمتهم المغفور له الإمام الأكبر: الحاج أقا حسين البروجردي أحسن الله في الجنة مثواه، أو المغفور لهما الإمامان: الشيخ الحسين آل كاشف الغطاء، والسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي رحمهما الله.

ولقد ذهب هؤلاء إلى ربهم راضين مرضيين، وإن لنا لإخوة آمنوا بالفكرة، ولا يزالون يعملون في سبيل دعمها، وهم أئمة الإسلام، وأعلام الفكر في شتى الأقطار الإسلامية، أطال الله عليه أعمارهم وسدد في سبيل الحق خطاهم (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا).

حزب هذه الفكرة ضيقوا الأفق كما حزبها صنف آخر من ذوي الأغراض الخاصة السيئة ولا تخلو أية أمة من هذا الصنف من الناس

كما حزبها الذين يجدون في التفريق ضمانا لبقائهم وعيشهم

وحزبها ذوو النفوس المريضة، وأصحاب الأهواء والنزعات الخاصة .

(1) وقال الشيخ محمد الغزالي في كتابه: " دفاع عن العقيدة والشريعة ص 264 - 265 الطبعة الرابعة عام 1395 هـ 1975 م نشرته دار الكتب الحديثة بالقاهرة:

إنني آسف لأن بعض من يرسلون الكلام على عواهنه لا.

بل بعض ممن يسوقون التهم جزافا غير مبالين بعواقبها دخلوا في ميدان الفكر الإسلامي بهذه الأخلاق المعلولة فأساؤا إلى الإسلام وأمته شر، إساءة.

سمعت واحدا من هؤلاء يقول في مجلس علم: إن للشيعة قرآنا آخر يزيد وينقص عن قرآننا المعروف.

فقلت له: أين هذا القرآن؟

إن العالم الإسلامي الذي امتدت رقعته في ثلاث قارات ظل من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا بعد أن سلخ من عمر الزمن أربعة عشر قرنا لا يعرف إلا مصحفا واحدا مضبوط البداية والنهاية معدود السور والآيات والألفاظ فأين هذا القرآن الآخر؟

ولماذا لم يطلع الإنس والجن على نسخة منه خلال هذا الدهر الطويل؟

لماذا يساق هذا الافتراء؟

ولحساب من تفتعل هذه الإشاعات وتلقى بين الأغرار ليسوء ظنهم بإخوانهم وقد يسوء ظنهم بكتابهم.

إن المصحف واحد يطبع في القاهرة فيقدسه الشيعة في النجف أو في طهران ويتداولون نسخه بين أيديهم وفي بيوتهم دون أن يخطر ببالهم شئ بتة إلا توقير الكتاب ومنزله – جل شأنه – ومبلغه (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم الكذب على الناس وعلى الوحي.

ومن هؤلاء الأفاكين من يروج أن الشيعة أتباع علي وأن السنيين أتباع محمد وأن الشيعة يرون عليا أحق بالرسالة، أو أنها أخطأته إلى غيره؟

وهذا لغو قبيح وتزوير شائن.

إن الشيعة يؤمنون برسالة محمد ويرون شرف علي في انتمائه إلى هذا الرسول وفي استمساكه بسنته.

وهم كسائر المسلمين لا يرون بشرا في الأولين والآخرين أعظم من الصادق الأمين ولا أحق منه بالاتباع، فكيف ينسب لهم هذا الهذر؟

الواقع إن الذين يرغبون في تقسيم الأمة طوائف متعادية لما لم يجدوا لهذا التقسيم سببا معقولا لجأوا إلى افتعال أسباب الفرقة، فاتسع لهم ميدان الكذب حين ضاق أمامهم ميدان الصدق.

هؤلاء وأولئك ممن يؤجرون أقلامهم لسياسات مفرقة لها أساليبها المباشرة وغير المباشرة في مقاومة أية حركة إصلاحية،

والوقوف في سبيل كل عمل يضم شمل المسلمين ويجمع كلمتهم.

كنت أود لو أستطيع أن أبرز هذه النواحي كلها في قصة التقريب أكتبها بنفسي

وأتتبع تفاصيلها، كما لابستها وعشت ظروفها، ثم أتتبع مجلة "رسالة الإسلام " التي أدت أمانتها، وأحسنت سفارتها وكانت معرضا لآراء العلماء من كل فريق، يمدونها بالبحوث وينظرها كل منهم حريصا عليها، فتردان بها مكتبة الشيعي كما تردان بها مكتبة السني، وينهل من معارفها الغربي كما ينهل من معارفها الشرقي، ولكن حسبي أن أكتب هذه المقدمة مشيرا بها إلى بعض جوانب هذه القصة.

وإنا لنحمد الله سبحانه أن أصبحت فكرة التقريب نقطة تحويل في تاريخ الفكر الإصلاحي الإسلامي قديمه وحديثه وأنها أثرت تأثيرا بعيد المدى.

* * *

وإنا لنسأل الله النجح لهذه الدعوة حتى يعود للإسلام مجده وللمسلمين عزهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. [1] وفي إحدى رحلاتي إلى القاهرة زرت دار التقريب على عادتي قدم إلى أحد السادة في الدار " قصة التقريب ومعها الفتوى التاريخية في شأن المذاهب الإسلامية [2] وفي آخرها الفتوى موقعة بتوقيع الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت آثرنا نشر صورتها الزنكوغرافية وإليك نصها:

(1) دعوة التقريب ص 10 طبع مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة 1386 هـ 1966 م.

(2) طبعت في القاهرة عام 1379 هـ الموافق عام 1959 م.

وللأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت تصدير لكتاب مجمع البيان في تفسير القرآن

لأمين الإسلام الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي طاب ثراه آثرنا نشره في هذا الكتاب لما فيه من مثالية في الدعوة إلى الله والحقيقة، وكلمة الحق، وإليك نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

"..... وشمرت عن ساق الجد، وبذلت غاية الجهد والكد، وأبهرت الناظر وأتعبت الخاطر، وأطلت التفكير وأحضرت التفاسير، واستمددت من الله سبحانه التوفيق والتيسير، وابتدأت بتأليف كتاب هو في غاية التلخيص والتهذيب، وحسن النظم والترتيب، يجمع أنواع هذا العلم وفنونه، ويحوي فصوصه وعيونه، من علم قراءته، إعرابه ولغاته، وغوامضه ومشكلاته، ومعانيه وجهاته، ونزوله وأخباره، وقصصه وآثاره، وحدوده وأحكامه، وحلاله وحرامه، والكلام على مطاعن المبطلين فيه، وذكر ما ينفرد به أصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه من الأصول والفروع،

والمعقول والمسموع على وجه الاعتدال والاختصار، فوق الإيجاز ودون الإكثار، فإن الخواطر في هذا الزمان لا تحتمل أعباء العلوم الكثيرة، وتضعف عن الإحاطة في الحلبات الخطيرة، إذ لم يبق من العلماء إلا الأسماء، ومن العلوم إلا الذماء، وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها، ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها، ثم أقدم في كل آية الاختلاف في القراءات، ثم العلل والاحتجاجات، ثم ذكر العربية واللغات، ثم ذكر الإعراب والمشكلات، ثم ذكر الأسباب والنزولات، ثم ذكر المعاني والأحكام والتأويلات، والقصص والجهات، ثم ذكر انتظام الآيات، على أني قد جمعت في عربيته كل غرة لائحة، وفي إعرابه كل حجة واضحة، وفي معانيه كل قول متين،

وفي مشكلاته كل برهان مبين، وهو بحمد الله للأديب عمدة، وللنحوي عدة، وللمقرئ بصيرة، وللناسك ذخيرة، وللمتكلم حجة، وللمحدث محجة، وللفقيه دلالة، وللواعظ آلة.

بهذه العبارات الواصفة الكاشفة قدم الإمام السعيد، أمين الإسلام أبو علي، الفضل بن الحسن الطبرسي، كتابه الجليل الذي هو نسيج وحده بين كتب التفسير الجامعة، ولم أجد أحسن من هذه العبارات في وصف هذا الكتاب، وبيان منهجه، فآثرت أن أفسح المجال لها، وأن أجعلها أول ما يطالع القارئ، ولم يكن ذلك إلا بعد أن تنقلت في رحاب الكتاب من موضع إلى موضع، واختبرت واقعه في كثير مما يعد من مزالق الأقدام، ومتائه الأفهام، ومضائق الأقلام، فوجدته كما وصفه صاحبه، وعلمت أنه لم يتكثر بما ليس فيه، ولم يعد إلا بما يوفيه.

ولقد قلت: أن هذا الكتاب نسيج وحده بين كتب التفسير، وذلك لأنه مع سعة بحوثه وعمقها، له خاصية في الترتيب والتبويب، والتنسيق والتهذيب، لم تعرف لكتب التفسير من قبله، ولا تكاد تعرف لكتب التفسير من بعده: فعهدنا بكتب التفسير الأولى أنها تجمع الروايات والآراء في المسائل المختلفة، وتسوقها عند الكلام على الآيات سوقا متشابكا ربما اختلط فيه فن بفن، فما زال القارئ يكد نفسه في استخلاص ما يريد من هنا وهناك حتى يجتمع إليه ما تفرق، وربما وجد العناية ببعض النواحي واضحة إلى حد الاملال، والتقصير في بعض آخر واضحا إلى درجة الاخلال.

أما الذين جاؤوا بعد ذلك من المفسرين، فلئن كان بعضهم قد أطنبوا، وحققوا وهذبوا، وفصلوا وبوبوا، إن قليلا منهم أولئك الذين استطاعوا مع ذلك أن يحتفظوا لتفسيرهم بالجو القرآني الذي يشعر معه القارئ، بأنه يجول في مجالات متصلة

لكتاب الله اتصالا وثيقا، وتتطلبها خدمته حقا، لا لأدنى ملابسة، وأقل مناسبة.

لكن كتابنا هذا كان أول – ولم يزل أكمل – مؤلف من كتب التفسير الجامعة استطاع أن يجمع إلى غزارة البحث، وعمق الدرس، وطول النفس في الاستقصاء.

هذا النظم الفريد، القائم على التقسيم والتنظيم، والمحافظة على خواص تفسير القرآن، وملاحظة أنه فن يقصد به خدمة القرآن، لا خدمة اللغويين بالقرآن، ولا خدمة الفقهاء بالقرآن، ولا تطبيق آيات القرآن على نحو سيبويه، أو بلاغة عبد القاهر،

أو فلسفة اليونان أو الرومان،ولا الحكم على القرآن بالمذاهب التي يجب أن تخضع هي لحكم القرآن!.

ومن مزايا هذا التنظيم أنه يتيح لقارئ الكتاب فرصة القصد إلى ما يريده قصدا مباشرا، فمن شاء أن يبحث عن اللغة عمد إلى فصلها المخصص لها، ومن شاء أن يبحث بحثا نحويا اتجه إليه، ومن شاء معرفة القراءات برواية أو تخريجا وحجة عمد إلى موضع ذلك في كل آية فوجده ميسرا محررا، وهكذا

ولا شك أن هذا فيه تقريب أي تقريب على المشتغلين بالدراسات القرآنية،ولا سيما في عصرنا الحاضر الذي كان من أهم صوارف المثقفين فيه عن دراسة كتب التفسير ما يصادفونه فيها من العنت، وما يشق عليهم من متابعتها في صبر ودأب وكد وتعب.

فتلك مزية نظامية لهذا الكتاب، بجانب مزاياه العلمية الفكرية.

– 2 –

وهناك منهجان علميان في التأليف:

أحدهما: أن يستقبل المؤلف قارئه بما يراه هو، وما انتهى إليه بحثه واجتهاده، فيجعله قصارى همه وهدفه، ويحطب في سبيله، ويجول في أوديته، دون أن يحيد عنه، أو

يجعل لقارئه سبيلا سواه.

وهذا منهج له مواطنه التي فيها، ومنها:

أن يكون المؤلف يقصد بكتابه أهل مذهب معين، فله أن يفرض اتفاقه وإياهم على أصول المذهب وقواعده، وأن يخاطبهم على هذا الأساس.

الثاني: أن يقصد المؤلف بكتابه كل قارئ لا قارئا مذهبيا يتفق وإياه فحسب، وهذا يدعوه إلى أن يعرض العلم عاما لا من وجهة نظر معينة فيأتي بما في كل موطن علمي من الآراء والأدلة، وله بعد ذلك أن يأخذ بما يترجح لديه، ولكن بعد أن يكون قد أشرك قارئه معه في التجوال بين الآراء، واستعراض مختلف وجهات النظر .

وهذا المنهج أعم فائدة، وأدنى إلى خدمة الحق والإخلاص للعلم، والكتب المؤلفة على أساسه أقرب إلى أن تكون " إسلامية عامة " ليست لها جنسية طائفية أو مذهبية.

بيد أن المؤلفين يتفاوتون في هذا النهج، فمنهم من يخلص له إخلاصا عميقا، فتراه يدور مع الحق أينما دار، يأخذ بمذهبه تارة، ويأخذ بغير هذا المذهب تارة أخرى وإذا عرض المذاهب المختلفة عرضها بأمانة ودقة، كأنه ينطق أصحابها ويسمع قارئه ما يقولون، دون أن يلوي القول، أو يحرف الكلم عن مواضعه، أو يغمز، أو يلمز صرفا عن الرأي وتهويلا عليه.

منهم من يكون إخلاصه للعلم دون ذلك، على مراتب أسوؤها ما يظهر فيه التعصب على مذهب الخصم، ونزره بالألقاب، فترى السني مثلا ربما تحدث عن الشيعة فيقول:

قال الروافض، وترى الشيعي كذلك ربما تحدث عن السنة فيقول:

قال النواصب، بل ربما تجد الحنفي السني يتحدث عن الشافعية السنيين، فيقول:

قال الشويفعية وهكذا، وما كان هذا النبز ولا ذلك من ضرورات الحجاج، ولا من لوازم الجدال بالتي هي أحسن، الذي هو نصيحة القرآن حتى في شأن المجادلين من أهل الكتاب!.

وأريد أن أقول إن صاحب كتاب " مجمع البيان " قد استطاع إلى حد بعيد أن يغلب إخلاصه للفكرة العلمية على عاطفته المذهبية، فهو وإن كان يهتم ببيان وجهة نظر الشيعة فيما ينفردون به من الأحكام والنظريات الخلافية اهتماما يبدو منه أحيانا أثر العاطفة المذهبية، فإننا لا نراه مسرفا في مجاراة هذه العاطفة، ولا حاملا على مخالفيه، مخالفي مذهبه.

والواقع أنه ينبغي لنا أن ننظر إلى هذا المسلك فيما يتصل بأصول المذاهب ومسائلها الجوهرية نظرة هادئة متسامحة ترمي إلى التماس المعذرة، وتقدير ما يوجبه حق المخالف في أن يدافع عما آمن به، وركن إليه فليس من الإنصاف أن نكلف عالما مؤلفا بحاثة مراكة، أن يقف من مذهبه وفكرته التي آمن بها موقف الفتور، كأنها لا تهمه، ولا تسيطر على عقله وقلبه، وكل ما نطلبه ممن تجرد للبحث والتأليف وعرض آراء المذاهب وأصحاب الأفكار أن يكون منصفا مهذب اللفظ، أمينا على التراث الإسلامي، حريصا على أخوة الإيمان والعلم، فإذا جادل ففي ظل تلك القاعدة المذهبية التي تمثل روح الاجتهاد المنصف البصير:

" مذهبي صواب يحتمل الخطأ، وغيري خطأ يحتمل الصواب ".

على أننا نجد الإمام الطبرسي في بعض المواضع.

يمر على ما هو من روايات مذهبه، ويرجح أو يرتضي سواه.

ومن ذلك أنه يقول في تفسير قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم).

وقيل في معنى الصراط المستقيم وجوه:

أحدها: أنه كتاب الله – وهو المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعن علي (عليه السلام) وابن مسعود.

وثانيها: أنه الإسلام – وهو المروي عن جابر وابن عباس.

وثالثهما: أنه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره – عن محمد بن الحنفية.

والرابع: أنه النبي صلى الله عليه آله وسلم والأئمة القائمون مقامه – وهو المروي في أخبارنا.

"والأولى حمل الآية العموم حتى ندخل جميع ذلك فيه: لأن الصراط المستقيم هو الدين الذي أمر الله به من التوحيد والعدل، وولاية من أوجب الله طاعته ".

فظاهر أن الرواية الأخيرة هي أقرب الروايات تناسبا مع مذهب الشيعة في:

" الأئمة "وهي المروية في أخبارهم، ولكن المؤلف مع هذا لا يعطيها منزلة الأولية في الذكر،ولا الأولوية في التوجيح، بل يعرضها، عرضا روائيا مع غيرها، ثم يحمل الآية على ما حملها عليه من العموم، وما أروعه إذ يقول:

"وولاية من أوجب الله طاعته "! إن الشيعي والسني كليهما لا ينبوان عن هذه العبارة، فكل مؤمن يعتقد أن هناك من أوجب الله طاعته، وفي مقدمتهم الرسول وأولو الأمر، ووجه الروعة في ذلك أنه لم يعرض للفصل في مسألة " الولاية " و " الإمامة " هنا، لأن المقام لا يقتضي هذا الأمر، ولكنه مع ذلك أتى بعبارة يرتضيها الجميع،ولا ينبو عنها أي فكر.

على أنه –رحمه الله تعالى – متأثر مع ذلك إلى حد ما بما هو ديدن جمهرة المفسرين من إعطاء أسباب النزول أهمية خاصة، ذلك الأمر الذي يتعارض مع مجئ القرآن عاما خالدا شاملا لجميع الصور التي تدل عليها عباراته المنزلة من لدن حكيم خبير، على ما تقتضيه الدقة والأحكام، ولكن الإمام الطوسي لا ينفرد بذلك

كما ألمعنا، وإنما هو أمر سرى إليه ممن قبله، وشركه فيه من بعده،ولا شك أنهم لا يقصدون ما قد يفهمه غير الخاصة، من قصر معاني الآيات على موارد نزولها فإن العبرة – كما هي القاعدة المقررة – بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

– 3 –

ومؤلف هذا الكتاب رجل بحاثة في مختلف العلوم، له تصانيف كثيرة تعد بالعشرات، ومنها ما هو في موضوعات مذهبية، شيعية.

ومما يلفت النظر أنه عنى بتفسير القرآن الكريم عناية خاصة، حتى جعلها أكبر همه، أعظم مجال لهمته، وقد كانت هذه العناية صادرة عن رغبة نفسية ملحة راودته منذ عهد الشباب، وريان العيش، كما يقول في مقدمة كتابه.

وكان كثير التشوق، شديد التشوف، إلى جمع كتاب في التفسير على طراز معين وصفه، وجعله هدفه، حتى هيأ الله له ذلك، وأعانه عليه، وقد ذرف على الستين، واشتعل الرأس منه شيبا، وناهيك برغبة تصاحب العمر، فلا تستطيع نوازع الشباب أن تزعها،ولا مثبطات الكهولة والشيب أن تصرف عنها.

ثم ناهيك بمثل هذه الرغبة المتمكنة في نفس رجل علامة كهذا يتدبر وسائل تحقيقها عبرا طويلا ويتأتى لها ويتمرس بالتجارب العقلية، والوسائل العلمية حتى ينفذها في عنفوان فتوته العلمية، وقد استحصف عقله، واكتهل وعيه، وغزر محصوله، ووقف على الذروة من صروح العلم والفهم والبيان.

ولقد ذكر المؤرخون لسيرته أمرا عجبا، ذلك أنه ألف كتابه هذا المسمى " مجمع البيان "، جامعا فيه فوائد كتاب من قبله اسمه " التبيان " للشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي، ولم يكن قد اطلع على تفسير الكشاف للزمخشري، فلما اطلع عليه

صنف كتابا آخر في التفسير سماه:

" الكافي الشاف من كتاب الكشاف " ويظهر من اسمه أنه أتى فيه بما أطلع عليه من تفسير الزمخشري، ولم يكن قد عوفه حتى يودعه كتابه الأول، ويذكرون اسما آخر لكتاب ألفه بعد ذلك أيضا وأسماه " الوسيط " في أربع مجلدات، وكتابا ثالثا اسمه " الوجيز " في مجلد أو مجلدين، كل ذلك في تفسير القرآن الكريم، ألفه بعد تفسوه الأكبر " مجمع البيان "، وبعض هذه الكتب يعوف باسم " جامع الجوامع " لجمعه فيه بين فوائد التبيان، وزوائد الكشاف.

وقد أردت – قبل الكلام إلى القواء عن المعنى الذي يدل عليه هذا الصنيع من الإمام الطبرسي رحمه الله تعالى – أن أختبر هذا الخبر لأعلم هل هو صحيح؟ وذلك عن طريق الرجوع إلى بعض المواضع المشتركة في " الكشاف " و " مجمع البيان " كي يتبين الأمر في ضوء الواقع، فوجعت إلى أول موضع يظن أنهما يتلاقيان فيه، وهو تفسير قوله تعالى: (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم).

فأما الإمام الطبرسي في كتابه: " مجمع البيان " فقد تحدث من ناحية المعنى في موضعين:

أحدهما: معنى " لا يؤمنون " وما يتصل به من بيان عدم التعارض بين العلم الإلهي والتكليف، لأن العلم يتناول الشئ على ما هو به، ولا يجعله على ما هو به.

الثاني: معنى " ختم الله على قلوبهم " وبيان الآراء المختلفة فيه، وقد ذكر أربعة آراء وأيد الرابع منها وقواه بشواهده، وهذا هو نص كلامه في هذا الوجه الرابع، نورده لنضعه موضع المقارنة مع كلام الزمخشري حتى يتبين الفرق بينهما قال الطبرسي: " ورابعها: أن الله وصف من ذمه بهذا الكلام بأن قلبه ضاق عن النظر والاستدلال فلم ينشرح له، فهو خلاف من ذكر في قوله:

" أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه " ومثل قوله:

" أم على قلوب أقفالها " وقوله: " وقالوا قلوبنا غلف "، " وقلوبنا في أكنة " ويقوي ذلك أن المطبوع على قلبه وصف بقلة الفهم لما يسمع من أجل الطبع فقال:

" بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا " وقال:

" وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ". ويبين ذلك قوله تعالى: " قل أرأيتم أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم " فعدل الختم على القلوب بأخذه السمع والبصر، فدل هذا على أن الختم على القلب هو أن يصير على وصف لا ينتفع به فيما يحتاج فيه إليه كما لا ينتفع بالسمع والبصر مع أخذهما. وإنما يكون ضيقة بألا يتسع لما يحتاج إليه فيه من النظر والاستدلال الفاصل بين الحق والباطل، وهذا كما يوصف الجبان بأنه لا قلب له إذا بولغ في وصفه بالجبن، لأن الشجاعة محلها القلب، فإذا لم يكن القلب الذي هو محل الشجاعة لو كانت فإن لا تكون الشجاعة أولى – قال طرفة:

فالهبيت لا فؤاد له * والثبيت قلبه قيمه

وكما وصف الجبان بأنه لا فؤاد له، وأنه براعة، وأنه مجوف: كذلك وصف من بعد عن قبول الإسلام بعد الدعاء إليه، وإقامة الحجة عليه، بأنه مختوم على قلبه، ومطوع عليه، وضيق صدره، وقلبه في كنان وفي غلاف.

وهذا من كلام الشيخ أبي علي الفارسي، وإنما: قال ختم الله، وطبع الله، لأن ذلك كان لعصيانهم الله تعالى، فجاز ذلك اللفظ، كما يقال: أهلكته فلانة إذا أعجب بها، وهي لا تفعل به شيئا لأنه هلك في اتباعها.

هذا هو نص كلامه، ومنه يتبين:

1 – أنه يؤيد الرأي القائل بأن الختم ليس حقيقا، إنما هو على معنى من المجاز.

2 – وأنه يستعين في بيان ذلك بالآيات المشابهة لهذا الموضع في القرآن الكريم، وبالشعر، وبقول أبي علي الفارسي، وبما مألوف في العربية من مثل هذا التعبير بإسناد الفعل إلى من لم يفعله ولكن وقع بسبب منه فالختم أسند إلى الله لأنه بمعناه الذي فسر به كان بسبب عصيانهم لله، كما يقال أهلكته فلانة وهي لم تهلكه وإنما هلك باتباعها.

وأما الإمام الزمخشري في كتابه: " الكشاف " فقد عرض لهذا الموضوع في تفصيل أكبر، وضرب له كذلك أمثلة من الشعر والكلام العربي، وأورد فيه بعض الأسئلة ورد عليها، ومع كون الفكرة التي يؤيدها الإمام الزمخشري، هي نفس الفكرة التي رأينا الإمام الطبرسي يؤيدها، فإن عبارة الزمخشري أوسع وأشمل، وأمثلته من الشعر أوضح في بيان المقصود، وتخريجه العربي لهذا التعبير مبني على دراسة فنية بلاغية مقررة المبادئ بين العلماء.

فلو كان الطبرسي قد اطلع على كتابه: " الكشاف " لكان قد أيد ما ذهب إليه بما ذكره الزمخشري نقلا عنه أو تلخيصا له، ولكننا لا نجد بين العبارات في الكتابين تلاقيا إلا على الفكرة.

أما الأمثلة والعرض وأسلوب البحث فمختلفة.

والآن نورد نص الإمام الزمخشري، كما أوردنا نص الإمام الطبرسي، وندع للقراء أن يتأملوا النصين، على ضوء ما قلناه، فسيتضح لهم أن الطبرسي قطعا لم ير " الكشاف "وهو يؤلف " مجمع البيان ".

قال الزمخشري:

" فإن قلت ما معنى على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار؟ قلت:

لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من

كلا نوعيه، وهما: الإستعارة والتمثيل.

أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم – لأن الحق لا ينفذ فيها، ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه، واستكبارهم عن قبوله واعتماده – وأسماعهم – لأنها تمجه، وتنبو عن الاصغاء إليه، وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم،

وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة، ودلائله المنصوبة، كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين – كأنما غطى عليها، وحجبت، وحيل بينها وبين الابراك، وأما التمثيل فإن تمثل حيث لم ينتفعوا بها في الأغراض التي كلفوها وخلقوا من أجلها – بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية.

وقد جعل بعض المرنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال:

ختم الإله على لسان عذافر * ختما فليس على الكلام بقادر

وإذا أراد النطق خلت لسانه * لحما يحركه لصقر ناقر!

" فإن قلت " لم أسند الختم إلى الله تعالى، وإسناده إليه يدل على المنع قبول الحق والتوصل إليه بطرقه، وهو قبيح، والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا، لعلمه بقبحه، وعلمه بغناه عنه.

وقد نص على تنزيه ذاته بقوله: " وما أنا بظلام للعبيد "، " وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين "، " إن الله لا يأمر بالفحشاء ".

ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل؟

" قلت " القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها، وأما إسناد الختم إلى الله عز وجل، فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشئ الخلقي غير العرضي.

ألا ترى إلى قولهم فلان مجبول على كذا،، مفطور عليه، يريدون أنه بليغ في

الثبات عليه، وكيف يتخيل ما خيل إليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم، وسماجة حالهم، ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم، ويجوز أن تضرب الجملة كما هي – وهي ختم الله على قلوبهم – مثلا، كقولهم: سال به الوادي إذا هلك، وطرت به العنقاء، إذا أطال الغيبة، وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلا كه، ولا في طول غيبة، وإنما هو تمثيل: مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طرت به العنقاء، فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق، بحال قلوب ختم الله عليها، نحو قلوب الأغتام [1] التي هي في خلوها من الفطن كقلوب البهائم، أو بحال قلوب البهائم أنفسها، أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه، وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق، ونبوها عن قبوله، وهو متعال عن ذلك.

ويجوز أن يستعار الإسناد في نفسه من غير الله، فيكون الختم مسندا إلى اسم الله على سبيل المجاز، وهو لغيره حقيقة، تفسير هذا: أن للفعل ملابسات شتى:

يلابس الفاعل، والمفعول به، والمصدر، والزمان، والمكان، والمسبب له، فإسناده إلى الفاعل حقيقة، وقد يسند إلى هذه الأشياء عن طريق المجاز المسمى استعارة، وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل، كما يضاهي الرجل الأسد في جراءته، فيستعار له اسمه، فيقال في المفعول به: عيشة راضية، وماء دافق، وفي عكسه: سيل مفعم، وفي المصدر: شعر شاعر، وذيل

ذائل، وفي الزمان: نهاره صائم، وليله قائم، وفي المكان: طريق سائر، ونهر جار،، أهل مكة يقولون:

(1) جمع أغتم، وأصل الغتمة اللون المائل إلى السواد، كأنه وصف به من ليس له قلب صاف، قال المؤلف في كتابه " أساس البلاغة " فلان أغتم، من قوم غتم، وأغتام، وفيه غتمة، وهي العجمة في المنطق من الغتم، وهو الأخذ بالنفس.

صلى المقام، وفي المسبب: بنى الأمير المدينة وناقة ضبوث وحلوب [1] الخ.

هذا هو نص كلام الزمخشري في الكشاف، وبينه وبين كلام الطوسي فرق بعيد، ومثل هذا الذي جعل مؤلف " مجمع البيان " لا يقنع بما وصل إليه، حتى يصله بما جد له العلم، فيخرج ما أخرج من كتاب جديد، جمع فيه بين الطريف والتليد!.

* * *

إنني أقف هنا موقف الإكبار والإجلال لهذا الخلق العلمي، بل لهذه العظمة في الإخلاص للعلم والمعرفة، فهذا الصنيع يدل على أن الرجل كان قد بلغ به حب الدراسات القرآنية حدا كبيرا، فهو يتابعها في استقصاء، ثم يجهد نفسه في تسجيلها وترتيبها على هذا النحو الفريد الذي ظهر في " مجمع البيان "، ثم لا يكتفي بما بذل في ذلك من جهد كفيل بتخليد ذكره، حتى يضيف إلى آثاره العلمية ما جد له بعد أن انتهى من تأليف كتابه، ولعله حينئذ كان قد بلغ السبعين أو جاوزها!.

إن هذا اللون من المتابعة ومن النشاط العقلي، أو المراقبة العلمية العقلية لفن من الفنون، ما كان منه، وما جد فيه، وما يمكن أن يضاف إليه، هو السمة الأولى التي يتسم بها العالم المخلص المحب لما يدرس، الذي يؤمن بالعلم، ويعرف أن بابه لم يقفل، وأنه ليس لأحد أن يزعم أنه في شئ منه الكلمة الأخيرة، فهو يتابع " السوق العلمية " إن صح هذا التمثيل، ويراقبها مراقبة الهواة الذين يحرصون على اقتناء الطرف والتحف، ونحن نجد هذا الخلق العلمي في عصرنا الحاضر هو الندرة التي

(1) ضبث بالشئ وعليه: قبض قبضا شديدا، وهو مثله في الوزن أيضا، فالناقة الضبوث ضد الناقة الحلوب.

وصل إليها علماء الاختراع والكشف. فإن من تقاليد العلم المقدسة أن تراقب الدراسات، وتعرف التطورات، وأن يتجه النظر إلى جديد يعرف، لا أن يتجمد تجاه ما عرف.

إن هذا السلوك العلمي الرفيع هو الذي يوحي به القرآن الكريم، فإن الله تعالى يقول:

" وما أوتيتم من العلم إلا قليلا " ويأمر رسوله بأن يستزيده من العلم، ويجعله من أعز آماله التي يتوجه فيها بالدعاء إلى ربه فيقول: " وقل رب زدني علما " فإذا كان الإنسان مهما أوتي من العلم لم يؤت إلا قليلا منه.

وإذا كان المثل الأعلى للبشرية الكاملة، وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم محتاجا إلى أن يزيده ربه علم ما لم يعلم، فما بالنا بالإنسان المحدود علما وعقلا، أليس من واجبه أن يتطلع دائما إلى كل أفق ليعلم ما لم يكن يعلم.

ولذلك طربت وأخذ تني روعة لصنيع هذا العالم الشيعي الإمامي، حيث لم يكتف بما عنده وبما جمعه من علم شيخ الطائفة ومرجعها الأكبر في التفسير " الإمام الطوسي صاحب كتاب التبيان " حتى نزعت نفسه إلى علم جديد بلغه، هو علم صاحب

الكشاف، فضم هذا الجديد إلى القديم، ولم يحل بينه وبينه اختلاف المذهب، وما لعله يسوق إليه من عصبية، كما لم يحل بينه وبينه حجاب المعاصرة، حجاب، فهذا رجل قد انتصر بعد انتصاره العلمي الأول نصرين آخرين: نصرا على العصبية المذهبية، ونصرا على حجاب المعاصرة، كلاهما كان يقضي المعارضة والمنافسة، لا المتابعة، الناقدة، وإن جهاد النفس لهو الجهاد الأكبر لو كانوا يعلمون.

- 4 -

فإذا كنت أقدم هذا الكتاب للمسلمين في مذهب، وفي كل شعب، فإنما أقدمه لهذه المزايا وأمثالها، وليعتبروا بخير ما فيه من العلم القوي والنهج السوي، والخلق الرضي.

وقد يكون في كتاب بعد ما لا أوافق أنا عليه، أو ما لا يوافق عليه هؤلاء أو أولئك من قارئيه أو دارسيه، ولكن هذا لا يغض من عظمة هذا البناء الشامخ الذي بناه الطبرسي، فإن هذا شأن المسائل التي تقبل أن تختلف فيها وجهات النظر، فليقرأ المسلمون بعضهم لبعض، وليقبل بعضهم على علم بعض، فإن العلم هنا وهناك، والرأي مشترك، ولم يقصر الله مواهبه على فريق من الناس دون فريق، ولا ينبغي أن نظل على ما أورثتنا إياه عوامل الطائفية، والعنصرية من تقاطع وتدابر وسوء ظن، فإن هذه العوامل مزورة على المسلمين، مسخرة من أعدائهم عن غرض مقصود لم يعد يخفى على أحد.

إن المسلمين ليسوا أرباب مختلفة، أديان مختلفة، ولا أناجيل مختلفة، وإنما هم أرباب دين واحد، وكتاب واحد، وأصول واحدة، فإذا اختلفوا فإنما هو اختلاف الرأي مع الرأي، والرواية مع الرواية، والمنهج مع المنهج، وكلهم طلاب الحقيقة المستمدة من كتاب الله، وسنة رسول الله، والحكمة ضالتهم جميعا ينشدونها من أي أفق.

فأول شئ على المسلمين وأوجبه على قادتهم وعلمائهم أن يتبادلوا الثقافة والمعرفة، وأن يقلعوا عن سوء الظن وعن التنابز بالألقاب، والتهاجر بالطعن والسباب، وأن يجعلوا الحق رائدهم، والإنصاف قائدهم، وأن يأخذوا من كل شئ بأحسنه:

" فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب "

محمود شلتوت

* * *

- 24 -

الأستاذ محمود محمد شاكر

- من مواليد عام 1909 م بالقاهرة.
- قرأ علي يد الشيخ سيد بن علي المرصفي.
- فكر في دخول قسم الفلك بالجامعة.
- شرح لديوان الحماسة لأبي تمام... والكامل للمبرد في عام 1925 م.

وكتاب " جمهرة نسب قريش " للزبير بن بكار، و " طبقات فحول الشعراء " لابن سلام

- الأستاذ من محققي الحديث والسنة المرموقين.
- تعرفت إليه في القاهرة عام 1965 م.
- يتصلب في آرائه إلى حد الافراط، ويتعصب لأبي هريرة بما لم يستكثر عليه حفظ هذا المبلغ من الحديث، وهو لا يفرق – في مذهبه هذا – بين حفظ الحديث وسماعه، مع قصر الفترة التي سمع بها النبي وجالسه، وأخذ عنه.
- يكتب؟ عن (مداخل الإعجاز في القرآن)

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرفت إلى هذا الأستاذ والتقيت به مرارا عند المجلد الفني الحاج سعد خضر وكان أحد علماء الأزهر الشريف جالسا عن شماله فجلست عن يمينه وبعد أن عرفني قال لي:

هات المذكرة " اللي " معك فأخرجتها من جيبي ودفعتها إليه – وكنت قد سجلت فيها بعض الحقائق التاريخية – وصار يقلب أوراقها وينظر في صفحاتها وجد فيها ما يخالف رأيه وعقيدته وما يغيضه وبعد ذلك قال:

سأغيضك الآن:

وأخذ يكتب عنوان داره في المذكرة وأول شئ كتبه: رسم " خريطة " موصلة إلى داره، وأول ما كتب فيها شارع أبو بكر " الصديق ".

وفي أثناء ما كان يكتب قلت له:

صديق ايه يا أستاذ:

وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمير المؤمنين علي (عليه السلام):

يا علي: أنت الفاروق الأعظم وأنت الصديق الأكبر [1]. وقد قالهما في حق أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

وبعد ذلك سجل في المذكرة رقم تليفون منزله بمصر الجديدة وقال:

(1) أخرجه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة 2 / 495 طبعة استانبول.

إذا ضللت الطريق تتصل بي بهذا الرقم وتنتظرني حتى أحضر فأجبته فورا، وقلت: يا أستاذ نحن أتباع أهل البيت، وأتباع أهل البيت لا يضلون. وعند ذلك رفع يده وضرب بها على فخذي وقال:

هذا لا أقدر عليه.

وبعد أن عرفته أن لي دار نشر في العراق سألني عن الكتب التي قمت بطبعها في القاهرة فذكرتها له ومنها كتاب: " المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي " للأستاذ المحامي توفيق الفكيكي.

فقال الأستاذ: هل هناك متعة [1] الآن؟

---

(1) يقصد به الأستاذ كتاب المتعة للأستاذ الفكيكي وزواج المتعة وارد في القرآن الكريم قال الله تعالى: * (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن) *.

1 – أخرج البخاري عن قتادة أنه قال: حدثني مطرف عن عمران (رضي الله عنه) قال:

تمتعنا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنزل القرآن – قال رجل برأيه ما شاء.

صحيح البخاري: 1 / 274 باب التمتع على عهد النبي.

2 – وقال القسطلاني: (فرخص لنا بعد ذلك بالثوب) أي إلى أجل، وهو نكاح المتعة، وليس قوله بالثوب قيدا فيجوز بغيره، مما يتراضيان عليه، ثم قرأ ابن مسعود:

* (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) *

قال النووي: في استشهاد ابن مسعود بالآية كان يعتقد إباحة المتعة كابن عباس.

إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري: 7 / 107.

3 – وأخرج الترمذي، عن ابن شهاب أن سالم بن عبد الله حدثه أنه سمع رجلا من أهل الشام وهو يسأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج

فقال عبد الله بن عمر: هي حلال.

فقال الشامي: إن أباك قد نهى عنها.

فقال عبد الله بن عمر: أرأيت إن كان أبي نهى عنها، وصنعها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أأمر أبي نتبع، أم أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟! فقال الرجل: بل أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

فقال [عبد الله بن عمر]: قد صنعها رسول الله. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

صحيح الترمذي: 2 / 195 رقم حديث 823 تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان.

4 – قال السيوطي: وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيب أنه قال: نهى عمر عن متعتين: متعة الحج، ومتعة النساء.

الدر المنثور: 1 / 141

5 – أخرج ابن شبة عن جابر (رضي الله عنه) عنه أنه قال: لما ولي عمر (رض) خطب الناس وقال:

إن القرآن هو القرآن، وإن الرسول هو الرسول وإنهما كانتا متعتين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

إحداهما متعة الحج والأخرى متعة النساء فأفصلوا بين حجكم عن عمرتكم فإنه أتم لحجكم، وأتم لعمرتكم، والأخرى: متعة النساء. فلا أوتي برجل تزوج امرأة إلى أجل إلا غيبته في الحجارة.

تاريخ المدينة المنورة: 2 / 702 مسند الإمام أحمد 1 / 52 ط القاهرة

6 – قال الفخر الرازي "والقول الثاني أن المراد بهذه الآية:

* (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن) *.

حكم المتعة وهي عبارة أن يستأجر الرجل: المرأة بمال معلوم، إلى أجل معين فيجامعها.

واتفقوا: أنها كانت مباحة في ابتداء الإسلام.

وروى: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما قدم مكة في عمرته ترين نساء مكة، فشكا أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) طول العزوبة فقال: " استمتعوا من هذه النساء ".

تفسير مفاتيح الغيب 10 / 50 ط بيروت.

قلت: لا. قال: إذا طبعتها لمن.

قلت: طبعتها للعقول المتحررة، لا المتحجرة. فازداد غيضا وسكت.

وذهبت مرة أنا والأستاذ رشيد الصفار [1] إلى داره في مصر الجديدة فسألني عن أبي هريرة فقلت له: رجل يقول عنه النقاد والمحققون بأنه وضاع [2] فقال لماذا؟

(1) من رجال التحقيق للآثار الإسلامية المعروفين في أنحاء العراق ومصر حقق كتبا نفيسة منها:

" ديوان الشريف المرتضى " في ثلاث مجلدات طبع بمصر و " جمل العلم والعمل " للشريف المرتضى طبع في العراق و " نسمة السحر فيمن تشيع وشعر "وغيرها. وكان رئيس ملاحظي الحقوق في المصرف الزراعي المركزي – بغداد.

(2) أنظر الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 2 / 106 ونصه: " أن الصحابة أنكرت على أبي هريرة كثرة روايته حتى قالت عائشة: (رض) رحم الله أبا هريرة لقد كان رجلا مهذارا، وفي لسان العرب مادة هذر: الهذر هو الكلام الذي لا يعبأ به. وهذر في كلامه كفرح: أكثر من الخطأ والباطل. والهذر: الكثير الردى.

قلت: إن أبا هريرة أحد أفراد رجال الصفة [1] وهم عدة قليلون يسعون طول النهار لتحصيل قوت يومهم ولذلك لا ترى لأحدهم سوى خمسة أحاديث أو ثلاثة وهكذا وإن أبا هريرة كان واحدا منهم فكيف استطاع رواية آلاف الأحاديث بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقام الأستاذ شاكر، وتناول كتابا من مكتبته بحجم متوسط ودفعه إلي وقال:

أنظر صفحات هذا الكتاب وعلى كم صفحة يحتوي.

قلت: 230 صفحة فقال: الصفحة فيها كم سطر قلت 23 سطرا.

فقال: إضرب أسطر الكتاب بالصفحات فكم يكون الحاصل.

قلت: – بعد أن قمت بعملية الضرب – 5290 سطرا.

فأخذ الكتاب بيده وقال:

أنت تستكثر حفظ هذا الكتاب على أبي هريرة.

فقلت له يا أستاذ: كيف اختص أبو هريرة بسماع هذه الأحاديث وحفظها من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يختص بها غيره من هو أخص الناس بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

فأجابني قائلا:

أبو هريرة كان ملازما للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

فأجبته: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحضر أوقات الصلوات في المسجد، وكان عنده تسعة

---

(1) الصفة بالضم: اسم لبيت صيفي وقيل: الصفة في المسجد كانت مسقوفة بجريدة النخل.

انظر: أقرب الموارد.

أزواج وكان يحضر ويجيب دعوة من يدعوه من الصحابة إلى وليمة وإلى غيرها.

وإن أبا هريرة لم يحضر عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سوى سنة وتسعة أشهر لأنه أسلم في سنة من الهجرة وأقصاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمي في سنة ثمان من الهجرة [1].

فكيف استطاع حفظ هذه الأحاديث وسماعها من النبي (صلى الله عليه وآله) بشكل مباشر، مع أن سماعها يستلزم زمنا طويلا لا يحتاج إليه الحفظ عن ظهر القلب فلم يحر جوابا، وبعد فترة استأذناه وانصرفنا.

وعند ما كنت في القاهرة ذهبت لزيارته في داره في أحد الأيام فخاطبني قائلا:

لما ذا لا تطبع كتب علماء الإمامية في القرن الرابع؟!

قلت: كتب أي عالم منهم.

قال: كتب الشريف المرتضى.

قلت: حملت الآن في هذه الرحلة كتاب " الشافي " في الإمامة للشريف المرتضى وحيث أن هذا الكتاب هو نقد لكتاب: " الإمامة " للقاضي عبد الجبار المعتزلي وهو أحد مجلدات كتب " المغني " وقد طبع منه عدة مجلدات وكتاب " الإمامة " عنه لم يطبع لحد الآن وإني في انتظار طبعه وبعده فسوف نقوم بطبعه إن شاء الله تعالى والشريف المرتضى كثيرا ما ينقل منه في كتاب " الشافي " ولأني أخشى سقوط بعض الكلمات أثناء النقل من الناسخ لذلك لا أرى من الصالح نشر هذا الكتاب قبل

صدور كتاب: " الإمامة " للقاضي عبد الجبار والغرض من ذلك هو مقابلة بعض النصوص منه لمطابقتها مع الأصل تحريا للأمانة العلمية.

(1) راجع شيخ المضيرة أبو هريرة ص 63 الطبعة الثالثة طبعة دار المعارف بمصر.

الصفحة 72

أجاب: كتاب " الشافي " إطبعه عندكم في إيران – قال هذا باعتبار أن إيران قطر شيعي وباعتباري أنا متشيع لأهل البيت (عليهم السلام) جابهني بهذا الكلام مع العلم أني لست مقيما في إيران بل مقيم في مدينة " النجف الأشرف " العراق. البلد الذي يضم مرقد أكبر شخصية إسلامية بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) – الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

* * *

الصفحة 73

– 10 –

حرف الضاد

25 – الدكتور شوقي ضيف

الصفحة 74

الصفحة 75

– 25 –

الدكتور شوقي ضيف

من كتاب مصر البارزين

الصفحة 76

- تخرج من كلية الآداب جامعة القاهرة.
- ماجستير درجة الشرف عام 1935 م.

- دكتوراه درجة الشرف الممتازة عام 1943.
- أهم آثاره:

" تاريخ الأدب العربي " 4 أجزاء " المدارس النحوية " البلاغة تطور وتاريخ " " النقد "، " دراسات في الشعر العربي المعاصر "، " الرثاء "، " الرحلات "، " المقامة "، " ابن زيدون " " البحث الأدبي " الفن ومذاهبه في النثر العربي " " الفن ومذاهبه في الشعر العربي "، " في النقد الأدبي " " الأدب العربي المعاصر في مصر " " شوقي شاعر العصر الحديث ".

- تعرفت إليه بالقاهرة عام 1967 م.
- من الأساتذة المرموقين وذوي الشهرة في عالم الفكر.
- يتعصب لعقائده ويقف عندها بقوة وصلابة.
- يشعر بحساسية تجاه الإمامية متأثرا بخصومهم ومعانديهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

عرفني إلى هذا الدكتور وحدثني عنه: الدكتور حامد حفني داود أستاذ الأدب العربي في كلية الألسن وقدرغب الدكتور حامد أن نحدد معه وقتا للمقابلة في مسكنه.

فاتصل به الدكتور حامد ذات يوم وحدد معه الوقت للمقابلة فذهبت بصحبة الدكتور حامد إلى داره وصحبت معي كتاب: عبد الله بن سبأ الطبعة الثانية التي طبعتها في القاهرة بمطابع الحاج محمد حلمي المنيلوي.

ولما دخلنا عليه داره وجلسنا عنده أخرجت الكتاب وأهديته له وقلت:

إن عبد الله بن سبأ هذا شخصية خيالية وهمية لا وجود لها.

ثم طلبت منه أن يكتب تقديما للكتاب فأبى وقال:

لا يمكن أن يكون شخصا خياليا.

فأجبته: أستاذك يقول:

إن عبد الله بن سبأ شخصية خيالية أوجدها خصوم الشيعة للطعن بهم " مفيش حاجة اسمها عبد الله بن سبأ " لم يخلق الله شيئا اسمه عبد الله بن سبأ قال:

من أستاذي؟ وقد علا وجهه الغضب.

قلت: الدكتور طه حسين يقول هذا.

وقد ذكر كتابه الفتنة الكبرى 2 / 98 طبعة القاهرة عام 1953 م وقال:

وأقل ما يدل عليه إعراض المؤرخين عن السبئية وعن ابن السوداء في حرب صفين.

إن أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفا منحولا، قد اختزع بأخرة حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية الخ.

فعند ذلك سكن غضبه، وتركت الكتاب عنده وانصرفت مع الدكتور حامد حفني داود.

وحكى لي الدكتور حامد حفني داود شيئا عن عقيدة الدكتور شوقي ضيف "وسيكولوجيته" في تناول قضايا التاريخ فكان مما ذكر أنه ذات يوم فتح معه الحديث عن الخلاف بين الإمام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ومعاوية ابن أبي سفيان فما كان من الدكتور شوقي ضيف إلا أن قال محتدا:

ما الذي حمل عليا للذهاب إلى معاوية في "صفين" ليحاربه ففهم الدكتور حامد أن المتحدث معه يتحامل على الإمام أمير المؤمنين علي ولذلك قطع الحديث معه إلا أن الحديث معه لا يجدي فتيلا في إقناعه، وكذلك الأمر مع الذين لا يتناولون البحث العلمي تناولا موضوعيا مجردا عن الهوى والعاطفة.

على أنه – ومهما يكن من أمر فإن صلتنا بالدكتور شوقي ضيف لم تسمح لنا بالقدر الكافي أن ندرس شخصيته من كافة جوانبها، ولعل أن تتاح فرصة للقائه من جديد وهو:

الرجل المعروف لدى بعض أصدقائه وتلامذته برحابة الرأي وسعة الأفق.

وفي رحلتي إلى القاهرة عام 1395 هـ الموافق عام 1985 م زرت أحد أصدقائي السادة الأفاضل في داره يوم الثلاثاء رابع شهر رمضان المبارك وكان قد جرى حديث عن الدكتور شوقي ضيف وأطلعته على محادثتي معه فذكر لي حادثة تتعلق

بالدكتور شوقي فقال:

إني حضرت مناقشةرسالة الدكتور المقدمة من قبل " الأستاذ أحمد الربيعي " "وقد كان المشرف عليها الأستاذ الدكتور شوقي ضيف وكانت لجنة المناقشة مؤلفة منه ومن الدكتور حسين نصار،والدكتور جمعة وكان صاحب الرسالة قد تعرض إلى بعض نصوص من خطبة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) [1] . الشهيرة ببلاغتها وفصاحتها.وإلى بعض ما جاء في نهج البلاغة في كلام الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حول الخطبة الشقشقية والذي أخاله أن تعرض كذلك إلى بعض فقرات مما دار من الحوار في سقيفة بني ساعدة [2] . ما بين بعض الأنصار،وأبي قحافة وصاحبه أبي

---

(1) أخرجها أبو بكر بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة وفدك راجع شرح النهج لابن أبي الحديد، وأخرجها أبو الفضل أحمد بن طاهر البغدادي المتوفى عام 280 هـ في كتابه:

" بلاغات النساء ".

(2)

سقيفة بني ساعدة

اختلف المؤرخون في موقعها ويرى السمهودي – صاحب كتاب (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) يحتوي هذا الكتاب على تاريخ المدينة المنورة طبع بمصر أكثر من مرة ويقع في مجلدين – " المؤلف " – أنها بالقرب من بئر بضاعة وهي شبه البهو الواسع الطويل وكانت لبني ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري من أيام الجاهلية،وقصة هذه السقيفة مشهورة في التاريخ الإسلامي...

ثم اجتمع فيها الأنصار من الأوس والخزرج ليبايعوا سعد بن عبادةرئيس الخزرج خليفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاته ولكن الأمر تبدل لميل الأوس إلى المهاجرين وتمت حينذاك بيعة أبي بكر بالخلافة في السقيفة المذكورة وقتل سعد بن عبادة وزعموا أن الجن قتلوه!!

وكسبت السقيفة منذ ذلك اليوم شهرة لما جرى من اختلاف بسبب هذا الاجتماع،وبسبب الخلافة.

أنظر موسوعة العتبات المقدسة الخاص بالمدينة المنورة، و " السقيفة " للمرحوم سماحة العلامة المظفر مؤلف كتاب: " عقائد الإمامية " المطبوع بمصر.

نموذج من الخطبة الشقشقية

المؤلف: السبب في بعض جمهور السنيين إنكار هذه " الخطبة الشقشقية " للإمام أمير المؤمنين على عليه السلام لأن الإمام علي عليه السلام أظهر في هذه الخطبة مظلوميته،وأعلن للجمهور أنه اعتدى عليه وأشار فيها على من غصبه حقه حتى أنه صلوات الله عليه صعد المنبر متألما من كثرة ما ناله من الظلم والاضطهاد فقال:

أما والله لقد تقمصها فلان – إشارة إلى أبي بكر بن أبي قحافة – وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر

عني السيل ولا يرقى إلى الطير، فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت أن أرتئي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهبا... الخ.

راجع " نهج البلاغة 1 / الخطبة 3.

وقد انتصر ابن أبي الحديد لصحة الكتاب وقال هكذا:

" لا يخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعا منحولا، أو بعضه، والأول باطل بالضرورة لأنا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم، والمؤرخون كثيرا منه، وليس فيهم شيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك.

والثاني – يدل على ما قلناه لأن من قد أنس بالكلام والخطابة، وشدا طرفا من علم البيان وصار له ذوق في هذا الباب، لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصيل والمولد...

أنظر: مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية العدد 5 / 310 – 311 التي تصدر في المملكة العربية السعودية.

عبيدة بن الجراح. وعمر بن الخطاب.

ومن جراء ذكر هذه النصوص في الرسالة رأينا الدكتور شوقي ضيف يتصدى منفعلا وبثورة من الغضب قائلا:

لا وجود لشئ اسمه " السقيفة "وأن أحداثها من المختلقات، ثم قال في خطبة السيدة فاطمة: الزهراء (عليها السلام) مثل ذلك.

وأما نهج البلاغة في نظره كما جاء في قوله:

أنه للشريف وليس من كلام الإمام أمير المؤمنين علي.

بهذه السرعة والعجالة وبدون وعي وتفكر قد نفى الأستاذ الدكتور شوقي هذه الأحداث التاريخية المتسالم عليها قديما وحديثا منذ خمسة عشر قرنا.

وكانت أمانة العلم تلزمه بأن يتحرى تحريا علميا موضوعيا ثم بعد ذلك يحق له أن يصدر مثل هذه الأحكام التي إذا سرينا الشك إليها ولأمثالها لا تستطيع قضية من قضايانا التاريخية أن تستعصي عن الشك وعندها يؤول أمر التراث الإسلامي إلى الاندثار والزوال. إذ ترك المجال إلى مثل هذه الشكوك الصبيانية أن تجد لها مكانا في حرم الجامعات والأكاديميات وتنطلق فيه ألسنة أساتذتها وأصحاب الرأي فيها من أمثال الدكتور شوقي عافاه الله.

* * *

- 11 -

حرف العين

26- الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد

27- الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود

28- الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف

29 - الأستاذ الشيخ محمود فرج العقدة

30 - الأستاذ عبد الله يحيى العلوي

31- الأستاذ علي عبد العظيم

32 - الشيخ عبد الرحيم أحمد عوابي

- 26 -

الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد

عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

- ولادته: ولد في كفر الحمام من أعمال مدينة الزقازيق عام 1900 م
- درس في الأزهر الشريف وتخرج فيه عام 1926 م.
- عين مدرسا بالمعاهد الأزهرية عام 1926 م.
- عين أستاذا في كلية اللغة العربية عام 1934 م.
- اختير وكيلا لكلية اللغة العربية عام 1940 م.

عين رئيسا للتفتيش في الأزهر الشريف عام 1950 م.

- عين عميدا لكلية اللغة العربية عام 1954 م.
- اختير عضوا في المجمع اللغوي عام 1960 م.
- أهم آثاره: ترك عدة مؤلفات علمية في الشريعة واللغة والأدب منها:

" دروس التعريف " " كتاب في الشريعة " يدرس في كلية الحقوق بجامعة الخرطوم والكتاب في " التراث " وكتب أخرى.

- توفاه الله إلى رحمته في شهر ديسمبر عام 1972 م ودفن في القاهرة.
- عميد كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف وقد أظهر في مجاله أستاذية وقدرة على التوجيه
- من كبار المربين والرواد في مجاله.
- تعرفت إليه في القاهرة عام 1965 م.
- حقق أمهات الكتب في الأدب، واللغة، والنحو، والطبقات، والتراجم مما يزيد على مائة كتاب من أضخم كتب التراث الإسلامي امتازت بالدقة وسعة الاطلاع وطول الباع.

بسم الله الرحمن الرحيم

حينما كنت في القاهرة قصدت زيارة الأستاذ وكان معي الشيخ حسن زيدان وذلك في يوم الأربعاء المصادف 8 / 9 / 1965 وعرفته بأني من النجف الأشرف، وصاحب مكتبة النجاح هناك وعندي مجموعة من الكتب قمت بطبعها في القاهرة، وأهديت منها له كتاب: " عبد الله بن سبأ ".

وحدثته بما جرى بيني وبين الشيخ عبد السلام سرحان المدرس بكلية اللغة العربية وقدمت لفضيلته صورة من الشكوى التي قدمتها إلى فضيلة الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الأزهر، وإلى فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر وكان ذلك بحضور الشيخ حسن زيدان وصحبته معي لأنه كان المعرف للشيخ عبد السلام سرحان وبحضوره دفعت كتاب " أنوار الربيع " له مع الاكليشيهات التي عملتها لعناوين الكتاب بقلم الخطاط (حسني) وعقدت الاتفاق مع الشيخ سرحان على تحقيق الكتاب.

فقال فضيلة الشيخ محمد محيي الدين: اشتك عليه بالنيابة – أي بالمحكمة.

فقلت: لا يا مولانا الشيخ لا يصح أن أشكتي عليه بالنيابة مع وجود حضرتكم ولأنكم الأب الروحي له وهو بلباس رجال الدين وهو تلميذك وبمنزلة أحد أولادك فأرجو أن تتصل سيادتك به هاتفيا، أو ترسل عليه من يجلبه إليك وتحضره عندك وتلزمه بإرجاع الكتاب و " الإكليشيهات " حيث أنه لم يقم بالاتفاق الذي جرى بيننا حول تحقيق هذا الكتاب.

وعند ذلك أرسل فضيلة شيخ الكلية الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد عليه

وأحضره في الوقت فتوجه الشيخ محمد محيي الدين نحوه وقال:

يا شيخ سوحان: سلم الكتاب للسيد مرتضى مع " الإكليشيهات " أحسن لك اسمع يا عبد السلام.

ثم مد فضيلة الشيخ محيي الدين يده إلى جيبه وأخرج مبلغا وقال للأستاذ سوحان خذ هذا المبلغ وادفع (أجرة التكسي) وأحضر الكتاب والإكليشيهات فورا " يله يله ".

فخرج الشيخ سوحان وبقيت أنا والشيخ حسن زيدان نتحدث مع فضيلة شيخ الكلية وبعد مضي ساعة واحدة عاد الشيخ سوحان حاملا الكتاب والإكليشيهات ووضعها أمام شيخ الكلية وعند ذلك طالب شيخ الكلية الشيخ سوحان بالعقد الذي جرى بيني وبينه حول تحقيق الكتاب.

فقال الشيخ سوحان: نسيت العقد في الدار.

فتوجه الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد نحوي وقال:

أكتب أنا المرتضى الرضوي صاحب مكتبة النجاح بالجمهورية العراقية أعترف بأن التعاقد الذي بيني وبين فضيلة الأستاذ الشيخ عبد السلام سوحان بشأن تحقيق كتاب: " أنوار الربيع " في أنواع البديع لابن معصوم قد أصبح لاغيا ولا أثر له أصلا في أمر مادي، أو أدبي وقد تسلمت الإكليشيهات المعمولة للكتاب والنسخة المطبوعة في إيران سنة 1304 هـ والتي كنت قدمتها له ليجعلها إحدى النسخ التي يرجع إليها في تحقيق الكتاب، ولم يسبق لي أن أعطيته نقودا.

وبالجملة فقد أصبح كل طرف منا خالصا لا قبل للآخر عليه بشئ وقد تحرر هذا للعلم والعمل بموجبه؟

تحرير في يوم الأربعاء: 8 / 6 / 1965

شهد بذلك:

حسن زيدان طلبه	أحمد غنيم	مرتضى الرضوي
	وكيل كلية اللغة العربية	صاحب مكتبة النجاح
		في النجف الأشرف

فأمر فضيلة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد بطبع هذا التحرير بالآلة الطابعة وبعد ذلك أشار على وكيل الكلية وعلى الشيخ حسن زيدان، أن يشهدا فشهدا في ذيل هذه الورقة وبعده حملت الكتاب وحمل الشيخ حسن زيدان " الإكليشيهات " وودعنا شيخ الكلية واستأذناه وانصرفنا.

* * *

الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود

الكاتب المصري الشهير

مؤلف الموسوعة العلوية (الإمام علي بن أبي طالب)

الصفحة 92

- ولادته: ولد في 10 / 12 / 1912 م بكفر عشري الواقعة قرب "راقوتة " التي بنى عليها الإسكندر الأكبر مدينة الإسكندرية.
- دراسته: ليسانس الآداب " قسم التاريخ " بجامعة الإسكندرية.

دراسات في الرأي العام، دراسات في فن الإدارة العليا.

- عين: أخصائيا للإعلام والنشر في المؤسسة الاقتصادية بالقاهرة.
- عين مديرا لمكتب السيد / نائب رئيس الجمهورية لشئون الاتحاد.
- عين مديرا لمكتب رئيس الوزراء للتحرير والنشر.
- أهم آثاره: " الإمام علي بن أبي طالب " 9 – أجزاء " أبناؤنا مع الرسول " " الهواء أم أبيها " " يوم كيون عثمان " " السقيفة والخلافة "
- اشترك: في تحرير مجلة " الحديث " بالإسكندرية.
- من مشاهير الأساتذة والكتاب البارزين بمصر.
- ينظم الشعر باللغتين الفصحى والعامية.
- كتب موسوعة تحليلية في شخصية الإمام علي عليه السلام في " 2500 " صفحة.
- يتميز بحرية الرأي والأصالة الفكرية.
- له كلمة ذهبية حول " الغدير " يقول فيها:

إن فضل الإمام معلوم مشهور وسبقه على الأقران غير منكور.

الصفحة 93

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرفت على فضيلة الأستاذ وأنا في العراق من طريق كتابه الخالد في حياة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي هو في الواقع تصوير لسيرة الإمام الخالد خلال سياسته وأعماله، وفلسفته.

وكان هذا الكتاب قد صدر منه خمسة أجزاء وأنا في العراق.

وفي إحدى رحلاتي إلى القاهرة اتصلت بسيادة الأستاذ المؤلف في المؤسسة الاقتصادية بالقاهرة وكان حينذاك أخصائيا

للإعلام والنشر بالمؤسسة المذكورة.

وفي إحدى زيارتي له في المؤسسة قلت:

إن الأساتذة والأفاضل، والعلماء عندنا في النجف الأشرف – العراق يسألونني دوما عن بقية أجزاء الكتاب. وهل تتم الموسوعة بالجزء السادس.

فأجاب: الخطوط العامة للجزء السادس جاهزة غير أن الوقت لا يسعني في أكثر من ستة أجزاء.

وحينما كنت في القاهرة كنت دائما ألتقي بالأستاذ في المؤسسة الاقتصادية وكثيرا ما كنا نجتمع بالأستاذ عند الأستاذ عبد الحميد جودة السحار [1] عضو مجلس الإدارة

(1) مؤلف السيرة النبوية في عشرين جزءا مطبوعة " أهل البيت " رواية " أبو ذر الغفاري "، " بلال مؤذن الرسول " " المسيح عيسى بن مريم " " حياة الحسين " " الرسول " " حياة محمد " وله مجموعات في القصص القصيرة منها: " في الوظيفة " همزات الشياطين " " صدى السنين " ومنها: الروايات الطويلة: " في قافلة الزمان " " الشارع الجديد " " السهول البيض " وغيرها.

توفي إلى رحمة الله في القاهرة ودفن فيها.

في المؤسسة الاقتصادية آنذاك.

وفي رحلتي إلى القاهرة عام 1974 م سافرت إلى الإسكندرية لمواجهة الأستاذ عبد الفتاح فيها وأتيت داره العامرة فجاءت السيدة حرمه وفتحت الباب فأدخلتني الغرفة المعدة للضيوف، ورحبت بي ترحيبا منقطع النظير فسألتها عن الأستاذ أجابت:

سافر أمس إلى القاهرة وسيتصل بنا تليفونيا في صباح غد، ويمكنك أن تترك عندنا نمرة تليفونك في القاهرة، وعندما يتصل بنا نخبره ليتصل بك من هناك.

فتركت عندها رقم تليفون مطعم المنظر الجميل وعدت إلى القاهرة.

وفي اليوم الثاني اتصل بي الأستاذ عبد الفتاح وحددت معه وقتا للمقابلة في المطعم المذكور فجاء إلى المطعم وجلست معه جلسة امتدت إلى ساعات سألته خلالها عن انطباعاته عن الإمام علي والخلافة فأجاب:

إنني عرفت أحقية الإمام بالخلافة بعد الرسول من خطبة أبي بكر [1] فإن خطبته التي خطبها في المسجد تنطبق على الإمام علي أكثر مما تنطبق على أي إنسان سواه.

وإني حينما أستعرض هذه الأمور أعتمد على المعقول قبل المنقول، وإني لا أنظر

(1) أنظر كتاب " حياة محمد " للأستاذ محمد حسين هيكل باشا الطبعة السادسة ص 509 عند ذكره لأبي بكر للأنصار: أيها الناس نحن المهاجرين: أول الناس إسلاما، وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها، وأكثر هم ولادة في العرب، وأمسهم رحما برسول الله الخ وخطبة أبي بكر هذه ذكرها ابن قتيبة في " عيون الأخبار " 2 / 232 طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

إلى صغر سن الإمام لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل أسامة أميرا على أبي بكر وعمر [1] . فقلت

(1) ذكر كاتب الواقدي تحت عنوان: " ذكر ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مرضه لأسامة بن زيد رحمه الله ". عن ابن عمر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بعث سرية فيهم أبو بكر وعمر واستعمل عليهم أسامة بن زيد فكان الناس طعنوا فيه - أي في صغره - فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فصعد المنبر فحمد الله وأثني عليه وقال: إن الناس قد طعنوا في إمارة أسامة وقد كانوا قد طعنوا في إمارة أبيه من قبله وإنهما لخليقان لها وإنه لمن أحب الناس إلي ألا فأوصيكم بأسامة خيرا؟؟ ".

طبقات ابن سعد: 2 / ق 42.

وقال علي بن برهان الحلبي مؤلف السيرة النبوية تحت عنوان:

سرية أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم. إلى أبنى بضم الهمزة ثم موحدة ثم نون مفتوحة مقصورة اسم موضع بين عسقلان، والرملة وفي كلام السهيلي يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشر من الهجرة أمر (صلى الله عليه وسلم) بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا (صلى الله عليه وسلم) أسامة بن زيد فقال: سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل أبني وحرق عليهم، وأسرع السير لتسبق الأخبار فإن ظفرك الله عليهم، فأقل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطوالع معك.

فلما كان يوم الأربعاء بدأ به (صلى الله عليه وسلم) وجعه فحم، وصدع.

فلما أصبح يوم الخميس عقد (صلى الله عليه وسلم) لأسامة لواء بيده ثم قال: أغز باسم الله، وقاتل من كفر بالله فخرج (رضي الله عنه) بلوائه معقودا فدفعه إلى بريدة، وعسكر بالجرف فلم يبق من الأنصار إلا اشتد لذلك منهم: أبو بكر، وعمر، وعبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) فتكلم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين والأنصار أي لأن سن أسامة (رضي الله عنه) كان ثمان عشرة سنة، وقيل: تسع عشرة سنة ويؤيد ذلك:

أن الخليفة المهدي لما دخل البصرة رأى أياس بن معاوية الذي يضرب به المثل في الذكاء وهو صبي، وخلفه أربعمائة من العلماء، وأصحاب الطيالسة، فقال المهدي:

أف لهذه العثانين، أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث، ثم التفت إليه المهدي وقال: كم سنك يا فتى فقال: سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم لما ولاه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جيشا فيه: أبو بكر وعمر (رضي الله عنه) فقال:

تقدم بلك الله فيك وكان سنه سبع عشرة سنة.

السيرة الحلبية: 3 / 207 طبعة مصر، تاريخ الطبري: 3 / 188 الطبعة الأولى بمصر، تاريخ الخميس 2 / 154 ط مصر.

الكامل في التاريخ لابن الأثير: 2 / 317 ط بيروت، كتاب المغازي للواقدي: 3 / 1118 وقال ابن سيد الناس:

قالوا: لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة مهاجرة، أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الناس بالتهيؤ لغزو الروم، فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال: سر إلى موضع مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل أبني، وحرق عليهم، وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن ظفرك الله فأقل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون والطلائع معك، فلما كان يوم الأربعاء بدئ برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعه فحم، وصدع، فلما أصبح يوم الخميس، عقد لأسامة لواء بيده ثم قال:

اغز بسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله. فخرج بلوائه معقودا فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي، وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة منهم:

أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وقتادة بن النعمان، وسلمة بن أسلم بن حريس. فتكلم قوم وقالوا:

يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين.

عيون الأثر: 2 / 355، 356 طبعة دار الآفاق الجديدة بيروت.

أقول: وقد ثبت تاريخيا تخلفهما عن جيش أسامة ولعن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على من تخلف عنه.

أنظر: الملل والنحل: 1 / 23 طبعة الحلبي تحقيق محمد سيد كيلاني.

وأخرج الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه أنه قال:

بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبو بكر وعمر (رض) إلى مكان الحرب أمرهم عمرو، أن لا ينوروا نارا فغضب عمر، وهم أن ينال منه فنهاه أبو بكر (رض) وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليك إلا لعلمه بالحرب فهدأ عنه عمر (رض) ثم قال الحاكم بعد أن أورد هذا الحديث:

هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

المستدرك 1: 3 / 42 - 43.

أقول: وأورد هذا الحديث الشيخ جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء ص 106 بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

الصفحة 96

للأستاذ عند ذلك:

الصفحة 97

إن عمر قد طعن في شخصية الرسول وقال:

إن الرجل ليهجر [1].

فأجاب الأستاذ: إن لكلمة يهجر معنى آخر.

قلت: إن الله تعالى قد نزه نبيه صلوات الله عليه وآله بقوله تعالى: (ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى).

قال: بالنسبة إلى الأحكام [2].

ثم قلت: قوله صلوات الله عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) إئتوني بدواة وبيضاء لأكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي أبدا.

والظاهر من هذا أنه صلوات الله عليه وآله أراد أن يؤكد على تعيين الخليفة من بعده ولذلك خوف عمر من حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا وفاه بقوله: إن الرجل ليهجر.

ثم قلت: إني أعتقد أن أبا بكر وعمر كان قد أسلف منهما تدبير اتفاق يرجع إلى انتزاع الخلافة من صاحبها الشرعي لعدم تنفيذهما جيش أسامة.

أجاب الأستاذ: المعلوم أن أسامة وجيشه وكافة المسلمين كانوا في قلق على رسول الله، حتى لقد عاد أسامة إلى المدينة تاركا الجيش " بالجرف " وذلك ليطمئن على الرسول الكريم.

ومعلوم أيضا أنه صلوات الله وسلامه عليه خرج يوم وفاته وقد بدأ في خير حال حتى لقد تفأل الناس خيرا وقالوا: أصبح رسول الله بحمد الله بارئا،..

وتقدم أبو بكر يستأذن عليه الصلاة والسلام في الذهاب إلى زوجه بنت

---

(1) وقال أيضا هجر رسول الله كما سيأتي. - المؤلف -

(2) هذا رأي عامة علماء السنة.

خارجة في السنح على مبعدة نحو ثلاثة، أو أربعة أميال من المدينة. ولا يبعد التوفيق بين رحيل أبي بكر للسنح وبين قول رسول الله: " أنفذوا بعث أسامة... الخ ".

فربما يكون هذا الرحيل من استعداد أبي بكر للسفر، وحدثت الوفاة، وأبو بكر غائب بتلك العالية.

قلت: ومن تتبع الحوادث التاريخية بعمق ونظر إلى تلك الظروف والملابسات وكان بعيدا عن الانحياز والتعصب لجهة ما، يقف على نتيجة:

من أن اتفاقا سابقا ومبيتا كان قد حصل بين أبي بكر وعمر قبل وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حول تولي الخلافة بعده.

مصادر قول عمر إن الرجل ليهجر

1 – أخرج ابن سعد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان يقول: يوم الخميس، وما يوم الخميس قال: وكأني أنظر إلى دموع ابن عباس على خده كأنها اللؤلؤ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

إئتوني بالكتف والدواة، أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا. قال فقالوا: إنما يهجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [1].

2 – قال الإمام الغزالي في باب ترتيب الخلافة:

ولما مات رسول الله " قال قبل وفاته:

" إئتوني بدواة وبياضا لأزيل لكم إشكال الأمر، وأذكر لكم من المستحق لها

---

(1) ابن سعد: الطبقات 2 ق 2 / 37 ط ليدن.

من بعدي " قال عمر (رضي الله عنه) دعوا الرجل فإنه ليهجر... الخ [1].

3 – وأورد هذا الحديث سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص 65 ط بيروت.

4 – وأخرج ابن سعد هذا الحديث عن ابن عباس (إلى أن قال) فقال من كان عنده، إن نبي الله ليهجر.

وأخرج أحمد عن جابر أن النبي " دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتابا لا يضلون بعده فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها. [2] 5 – وأخرج البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنه) – إلى أن قال – فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: هجر رسول الله [3] " الحديث " [4].

وجاء في صحيح مسلم: إن رسول الله يهجر [5].

أدلة عصمة الأنبياء (عليهم السلام)

لنا أدلة من الكتاب والسنة، والعقل، تثبت أن هذه الآية: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) مطلقة والتقييد يحتاج إلى دليل.

أما الكتاب: فقد قال الله تعالى: (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه

---

(1) سر العالمين وكشف ما في الدارين مخطوط الورقة السادسة فهرست دار الكتب المصرية 1 / 316.

(2) مسند أحمد: 3 / 346 ط مصر.

(3) قال الفيومي: هجر المريض في كلامه هجرا خلط وهذى. والهجر بالضم: الفحش. مصباح المنير ص 634 وقال ابن الأثير: الهجر بالضم. هو الخنا والقبيح من القول.. ومنه حديث مرض النبي (ص) ما شأنه أهجر؟... والقائل كان عمر.

أنظر: النهاية في غريب الحديث: 5 / 246.

(4) صحيح البخاري: 2 / 178 بحاشية السندي.

(5) صحيح مسلم: 3 / 1259 تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مسند أحمد: 1 / 355 ط مصر.

فانتهوا).

وقال تعالى: (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة).

وقوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة).

وقال الله تعالى: (وما كان لمؤمن أو مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة في أمرهم).

وقال تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله).

وقال تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله). وأمثال هذه الآيات كثيرة ومع ذلك فإننا نستشهد بما يلي من الروايات الواردة

عن طرق أهل السنة فنقول:

وأما السنة: فإن الأحاديث الواردة في كتب أهل السنة صريحة في أن جميع ما تحدث به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما خرج من فمه الشريف إن هو إلا وحي يوحى سواء كان في الصحة أو في المرض، في الرضا أو في الغضب كما سيأتي:

أخرج ابن الأثير في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص قال:

وكان – أي عبد الله بن عمرو بن العاص – فاضلا عالما قرأ القرآن والكتب المتقدمة واستأذن النبي في أن يكتب عنه فأذن له، فقال يا رسول الله أكتب ما أسمع في الرضا والغضب: قال: " نعم فإني لا أقول إلا حقا ".

وأخرج الدارمي بإسناده عن عبد الله بن عمرو قال:

كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا:

تكتب كل شئ سمعته من رسول الله ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله " فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال:

" اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق " [1].

وأما العقل: فقد عالج هذا الموضوع: سماحة السيد مرتضى الحكمي في رسالته عن كتاب " دلائل الصدق " من الناحية التحليلية والكلامية فقال:

"...والأنبياء هم الذين آتاهم الله العصمة، وأودعها في واقع نبوتهم فلا يتأتى لغيرهم أن يجزئ هذه العصمة، أو يحددها في شطر من هذه النبوة هو تبليغ الأحكام وأداؤها إلا أن يجزئ هذه النبوة ذاتها، فإذا كان لا يمكن تحديد هذه النبوة فإنه لا يمكن تحديد صيانتها في خصوص هذا الجانب منها فإن شمول هذه النبوة على كل ما يتصرفه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في قول، أو فعل، أو تقرير أمر يستوجب شمول العصمة له، ولكل ما يشمله من أبعاد هذه النبوة وأعماقها، بل إن سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسنته هي من أهم ما أرسل به في الهداية والإيمان، ولذلك فإن شمول العصمة لهما مما لا يمكن تحديده، أو فصله عنها، وإلا لمحقت السنة، وبطلت السيرة من أساسها، وذهبت حجيتها، ولزوم الأخذ بها أدراج الرياح.

ومن المحتم: أن يستلزم انتفاء العصمة انتفاء النبوة في كل مورد يتحقق العصيان أو الخطأ أو مخالفة الواقع سواء بسواء ". [2]

- وقال الدكتور أحمد عز الدين المعاصر:

لم يؤثر عن الصحابة الكلام في عصمة الأنبياء، بل لا نجد لهذا المعنى ذكرا في حياة الرسول نفسه، والشيعة أول من تكلم فيه ثم جاء علماء السنة فيما بعد فاضطروا للبحث فيه لرد مقولات الشيعة.

---

(1) سنن الدارمي 1 / 103 الحديث برقم 490 باب من رخص في كتابة العلم، سنن أبي داود 3 / 318 الحديث برقم 3646 باب كتاب العلم.

(2) " دراسة علمية عن الدلائل ".

فأما عصمة الأنبياء فالخلاف بين الطرفين ليس واسع لأن السنة يسلمون بها للأنبياء على خلاف بينهم في أنها مطلقة أم في حدود الرسالة فقط وليس في هذا الكتاب مجال مناقشة اختلافات أهل السنة في حدود عصمة الأنبياء. إنما الخلاف الأساسي في كون غير الأنبياء معصومين أم لا.

فأهل السنة لا يرون غير الأنبياء معصومين.

أما الشيعة فيؤمنون بعصمة اثني عشر إماما فقط من بين جميع البشر يتصل تاريخهم ووجودهم الزمني منذ وفاة النبي عليه وآله السلام حتى سنة 255 هـ.

لكن عصمة غير الأنبياء عند الشيعة ليست كعصمة الأنبياء. إذ ليس ثمة وحي،ولا نبوة، إنما العصمة في هذه الحالة موهبة يمنحها الله، ولطف منه يجعله في فطرة بعض النفوس،والأرواح المختارة نظرا لاستعدادها الذاتي فتمتنع عن مقارفة الذنوب كبيرها وصغيرها.. لشدة تمسكها بالشرع،واتباعها الدقيق للأحكام.

هي إذن حالة ذهنية، ونفسية خاصة تنتج عن الالتزام الدقيق بالأوامر،والنواهي التزاما قائما على العلم اليقين.

هذا الالتزام يقع في أنفس وهبها الخالق استعدادا فطريا مطابقا، ومن ثم ينعدم احتمال صدور الخطأ عن هذه الأنفس.

هذا ما فهمته من مطالعة تعريفات مختلفة ذكرها علماؤهم [1].

- ثم قال الدكتور أحمد عز الدين:

نحن نعتقد أن الإسلام بأحكامه وعقائده، وأن كتاب الله يقين لاريب فيه، وهذا ما أعلنه مقدم الكتاب في بدايته:

(1) مشكلة القيادة في الحركة الإسلامية ص 47 - 48 (مخطوط).

(ذلك الكتاب لاريب فيه) فانتفاء الريب والشك اقتضى وجود معصوم بعد النبي عليه وآله السلام يعلم ما في الكتاب من صغوة، وكبوة علما يقينيا ييسر تطبيقه، ويعصم الناس من الخلاف، لأن النبي لم يفسر القرآن قبل موته، ولم يترك في كل حال مستجد أمرا، بل هناك من الأمور ما وقع بعد النبي، واختلف الناس فيه لعدم وجود شئ فيه. ولأن عملية التشريع عملية مستمرة متواصلة لكونها مرتبطة بالأحداث والمستجدات، لذا وجب أن تكون القيادة على يقين فيما تقول وتفتي به، لأنها لو أخطأت فسدت على الناس حياتهم. ثم إن الله أمر بطاعة القيادة فقال:

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).

فنص على أن أولي الأمر تجب طاعتهم كما تجب أن تكون أحكامهم، وأوامرهم ونواهيهم موافقة للشرع مطابقة لأحكام الدين لأن هذا هو شرط الطاعة وأساسها.

ومطابقة أوامر، ونواهي وأحكام أولي الأمر للدين لا تتم إلا بعصمتهم، لأن ولي الأمر إذا أخطأ وجب إصلاحه، والإنكار عليه وهذا يتناقض وأمر الله بطاعته.

ويختلف الشيعة عن السنة في تفسير معنى أولي الأمر فهم يرون أن المقصود بهم الأئمة الاثنا عشر، في حين يرى السنة ما نعلم، وما نسمع ونقرأ.

وعصم الراي أهل الحل والعقد لأن من أمر الله بطاعته لا بد وأن يكون معصوما، ولما كان يخالف الشيعة في تفسيرهم لأولي الأمر بالأئمة الاثني عشر فسرها بأهل الحل والعقد.

ففي تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) النساء: 4.

قال: إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم، والقطع لا بد وأن يكون معصوما من الخطأ، إذ لو لم

يكن معصوما عن الخطأ كان – بتقدير إقدامه على الخطأ – يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمرا بفعل ذلك الخطأ. والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد وأنه محال فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوما عن الخطأ. فثبت قطعا أن ولي الأمر المذكور في الآية لا بد وأن يكون معصوما..

... ووجب أن يكون ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله وأولي الأمر: أهل الحل والعقد من الأمة [1].

تعيين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الخليفة بعده

الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) علم وهو في مرض موته ما حدث في المجتمع الإسلامي من تطورات، ووقوع

أحداث يخشى على الإسلام منها، فقد كثرت القالة حول الخلافة من بعده من تنفيذ أمره بغدير خم أو يعود الأمر للمجتمع مع الأغلبية الساحقة التي تعارض تلك الفكرة. وهل هناك مجموعة تسعى لكسب الأكثرية بعد الحكم؟ وما هو موقف الأنصار وكبار الصحابة من هذا الأمر... الخ.

فكان النبي " يؤلمه وقوع مثل هذه الأشياء التي تؤول بالأمة إلى الفرقة بعد الاجتماع، والعداوة بعد الإخاء، فأراد أن يقرر مصير الأمة، وأن يحدد موقعها ليقطع بذلك كل طريق يوصل للخلاف المؤدي إلى الضلال فقال:

(1) مفاتيح الغيب للفخر الرازي: 3 / 241 - 242 مصر 1308 هـ.

إيتوني بدواة وبيضاء... الحديث.

أراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يضع للأمة نظاما يسيرون عليه دوما في قضية الخلافة وتحديد الشخصية التي تليق أن تخلفه في منصبه. " على أن الأحاديث الدالة على عصمته كافية في تعيينه. أمثال: قوله:

" علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار ".

وقوله لعمار:

" يا عمار إن رأيت عليا سلك واديا، وسلك الناس واديا غيره، فاسلك مع علي ودع الناس، إنه لن يدلك على ردى، ولن يخرجك من هدى ".

وقوله: " اللهم أدر الحق مع علي حيث دار ". [1] ومن هنا قال أبو القاسم البجلي وتلامذته من المعتزلة:

" لو نازع علي عقيب وفاة رسول الله " وسل سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه، كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنه مالك الأمر، وصاحب الخلافة، إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها وحكم في ذلك حكم رسول الله لأنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال:

" علي مع الحق، والحق مع علي يدور معه حيثما دار " وقال له غير مرة:

" حربك حربي، وسلمك سلمي " [2]

ومن البديهي وما لا يقبل الشك أن عليا هو تلك الشخصية التي تتجسد فيها

(1) المستصفى 1 / 136 إلى غيرها من الأحاديث.

(2) المستصفى 1 / 136 - الأصول العامة للفقه المقارن ص 176 - 177 ".

آمال الأمة ولكن حدث ما حدث، فما أعظم من ذلك الموقف على النبي " فقال لهم متأوّا:

أبعد الذي قلتم.

ومات وألا يحز نفسه ولكنه أراد أن يطوق الأمة بواجب لا مفر لهم من الالتزام به ألا وهو العناية بأهل بيته فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

" أوصيكم بأهل بيتي خيرا، الله الله في أهل بيتي، وأخرجوا اليهود من جزيرة العرب " وهي آخر ما تكلم به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) [1].

" إن الحزب القرشي الذي يرأسه أبو بكر، وعمر وأبي عبيدة بن الجراح لم يكن وضع حاضر، ولا وليد مفاجأة، أو ارتجال، وإنما كان وليد مؤامرات سرية مبرمة، حيكت أصولها، وربت أطرافها، بكل عناية وإحكام. وإن أبطال هذه المؤامرة:

أبو بكر، عمر بن الخطاب، أبو عبيدة بن الجراح.

ومن أنصار هذا الحزب: عائشة وحفصة " [2].

- وقال الدكتور أحمد عز الدين:

وإذا نظرنا إلى هذه الأزمة الدستورية بعين السابحين ضد التيار، الباحثين عن منهج سياسي في الإسلام، رأينا فيها ما لا يراه أرباب العواطف الموجهة.

فأول ما نراه فيها أن بيعة أبي بكر (رض) لم تتم في ظروف عادية بل تمت دون أن يعلم بها الناس جميعا، أو على الأقل جميع أكابر الصحابة، أو حتى زعماء الاتجاهات السياسية الموجودة في المجتمع كلهم، فقد اجتمع في السقيفة نفر من

---

(1) أنظر: تعليقنا على الطبعة الثالثة من كتاب على ومناوؤه ص 24 ط دار المعلم بالقاهرة.

(2) الشيخ باقر القرشي: حياة الإمام الحسن: 1 / 131 ط ثانية.

الأنصار ليبت في أمر القيادة في غياب الآخرين، ثم لحق بهم نفر من المهاجرين لينافسوهم، ويمنعوا القوة السياسية الأولى من الإنفراد بالقيادة، ولم يعلم بالأمر أكبر وأهم قوة سياسية، ودينية آنذاك وهي: بنو هاشم، وآل بيت القائد المؤسس بعد أن انتهز هذا النفر القليل من المهاجرين والأنصار انشغالهم بتغسيل وتكفين الرسول القائد وتم ما تم دون إعلان الناس، وبغير انتظار لتهدأ مشاعر الأمة وقد حلت بها كارثة غياب رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام، القائد الذي لا يملأ فراغه أحد فالسياق العام الذي تمت فيه هذه البيعة التي حددت القائد بعد رسول الله لم يكن طبيعيا، ولا يمكن أن تستريح له أنفس الناس باحثين وغير باحثين.

ثم إن القوم لم يتفقوا بعضا، فوثب عمر فأخذ بيد أبي بكر [1] بل إن في رواية عمر نفسه ما يدل على أن بيعة أبي بكر (رض) تمت في ظروف غير طبيعية، وبطريقة غير طبيعية وذلك حين قال:

(فارتفعت الأصوات وكثر اللغط) أي أنه – كما رأينا – بعد عرض مرشح الأنصار للأسباب التي اعتقد على أساسها استحقاق حزبه بالقيادة، ثم عرض أبي بكر (رض) لأحقية المهاجرين بها.

لم تسفر هذه المداولات عن اتفاق الموجودين وهم نفر قليل من الأمة على شخص يتصدى للقيادة، بل ارتفعت الأصوات

تتنازع، فانتهز عمر (رض) هذه الفرصة وحسم الأمر بالطريقة التي تحسم بها الصفقات والمزادات في الأسواق وهو ما أكسبته المهنة إياه إذ كلنا يعرف أنه (رض) كان سمسارا يعقد الصفقات في الأسواق، ومال معه المؤيدون لأبي بكر، ووجد الآخرون أنفسهم في مأزق، فبايع منهم من بايع، ورفض من رفض.

(1) السيرة النبوية لابن هشام: 4 / 338، الرياض النضرة: 1 / 214.

ولذلك اعتبرها عمر (رض) نفسه فلتة غير أن الله وقى شرها [1] كما اعتبرها الضحاك بن خليفة " فلتة من فلتات الجاهلية " [2].

ولما رأى أبو بكر (رض) نفسه أنه لا إجماع على أحد من الموجودين عرض تقسيم السلطة بينهم وبين الأنصار فقال: (نحن الأمراء وأنتم الوزراء لا بمشورة ولا نقضي دونكم الأمور) [3]. وهو ما رفضته الأنصار، ورأت المشاركة المتساوية في الحكم (منا أمير ومنكم أمير).

ولأن السياق الذي تمت فيه البيعة، والطريقة التي حسمت بها القيادة لم تكن مقنعة. ندم أبو بكر (رض) على تقمصها حين حضرته الوفاة اقتضاء لطبيعة النفس البشرية، وتمنى هو سأل رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام عمن ينبغي أن تؤول له القيادة بعد وفاته [4].

فإن صحت هذه الرواية فهي دليل على أنه هو نفسه كان في شك من أحقيته بالقيادة بعد رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام.

وفي هامش " علي وما لقيه من صحابة الرسول " بقلم المعلق يقول: وهو في ص 71 ج 1 ط 1 كذلك.

وقد أشرنا قبل صفحتين – إلى أن في " تاريخ الشعوب الإسلامية " تعليقة سنأتي بها حيث مكانها المناسب وهي في ص 15 من المصدر وهذه هي:

(ولقد ذهب لامنس في كتابه " دراسات عن عصر الأمويين " كما ذهب قبل ذلك في مجموعة الكلية الشرقية في " بيروت " ج 4 ص 113 وما يلي: إلى أن هذا

(1) الطبري: تاريخ الطبري: 2 / 446 ط مصر 1939 م.

(2) نفس المصدر: 2 / 459.

(3) نفس المصدر: 2 / 458.

(4) نفس المصدر: 2 / 619 – 620.

المثلث، قد حاول في حياة النبي، أن يحد من نوعية الأوتوقراطية ثم يستدرك المعلق فيقول:

وقد مر بنا في نهاية ما نقل عن " تاريخ العرب المطول " قوله:

" ولعل مبايعة أبي بكر كانت نتيجة اتفاق بينه وبين عمر " – الخ.

ثم يستوسل المعلق فيقول: وهناك نصوص تاريخية سبقت هذين، أشارت إلى إبرام أمر مسبق، حول الخلافة، وأن ما حدث لم يكن وليد ساعته. ومن تلك النصوص، هذان النصان الشعريان:

ولكن أمرا كان أبرم بينهم * وإن قال قوم: فلتة غير مبرم

زعموها فلتة فاجئة... * لا ورب البيت والركن المشيد!

إنما كانت أمورا نسجت * بينهم أسبابها نسج البرود [1]

وفي كتابي جواب من معاوية لمحمد بن أبي بكر، ما يشير إلى الاتفاق – ثنائيا – حيث جاءت فيه هذه الفقرة:

" فقد كنا وأبوك معنا، في حياة نبينا، نرى حق ابن أبي طالب لازما لنا وفضله مبرزا علينا، فلما اختار الله لنبيه ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجته قبضه الله إليه... فكان أبوك وفاروق أول من ابتزه وخالفه...

على ذلك اتفقا واتسقا... ثم دعواه إلى أنفسهما، فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايعهما، وسلم لهما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضا، وانقضى أمرهما... " [2].

* * *

(1) يراجع شرح النهج 1 / 127.

(2) شرح النهج 1 / 123 وعبد الله بن سبأ 1 / 384 باختلاف بسيط – مسندا لمصادر عدة.

ولعلي (عليه السلام) إشارة لذلك، أو هي إيماءة، حيث قال بعد تظلم وتشكي:

" ولولا خاصة ما كان بينه وبين عمر، لظننت أنه لا يدفعها عني ".

وأشير للاتفاق السري المسبق، في " النص والاجتهاد " ص 8 وأن من دعائمه عويم بن ساعدة الأوسي، ومعن بن عدي حليف الأنصار، وهما – مع دخولهما في الاتفاق السري هذا – يحملان البغض والشحناء لسعد بن عبادة وهما اللذان انسلا من اجتماع السقيفة، وأنهيا خبرها إلى عمر، وهو لأبي بكر.

كما أشير إليه بين العمرين، وابن الجراح في " الإمام الحسين " الحلقة الثانية للعلائلي ص 242.

أقول: ويؤيد – الاتفاق الثلاثي المسبق – ما ذكره الأستاذ إسماعيل المير علي في كتابه قال:

تسلم أبو بكر... الخلافة الإسلامية... بعد اتفاق تم بينه وبين عمر بن الخطاب، وأبي عبيدة الجراح. [1] ويؤيد ما أوردناه أيضا ما ذكره الأستاذ أحمد الشرباصي وقال:

لقد وقف عمر في المسجد يعرض كتاب أبي بكر وهو مغلق على القوم وقال:

هذا كتاب أبي بكر فقام أحد الحاضرين وقال له:

أتعلم ما فيه يا عمر؟ قال: لا.

قال: "ولاك أبو بكر هذا العام، ووليته عام أول " فلم يتقاصر فرد من القوم أن يصوح بما في نفسه... وانجلى الأمر عن أن عمر تلى كتاب: استخلافه من أبي بكر [2].

(1) خلفاء محمد ص 87 ط بيروت.

(2) أنظر: مجلة لواء الإسلام القاهرية ص 387، السنة 14 العدد 6.

وقال إمامنا وسيدنا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) – لما أخذوه لبيعة أبي بكر –:

" أنا عبد الله وأخو رسول الله، أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي. فيقول عمر: لست متروكا حتى تبايع، فيقول علي:

إحلب يا عمر حلبا لك شطره، أشدد له اليوم أمره ليرده عليك غدا " [1].

فيظهر من كلام الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لعمر:

إحلب يا عمر... إلخ أن بين الخليفتين اتفاق سابق قد حصل حول تولية الخلافة واحدا بعد واحد.

ويقول الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود: هل هو تآمر؟

لئن كان، فإنه إذن له جناحان...

جناح جورهم، من ناحية، على ذلك الأجدر بالإمرة.. يتمثل في سلوكهم نحو " علي ".. فإذا هو تآمر " سياسي " غاية الغايات منه احتياز السلطان، أو بالتعبير المكشوف العاري، إثرة دفعتهم إلى اقتناص السلطان..

وجناح جورهم، من ناحية على رسول الله.. يتمثل في سلوكهم نحو المفروض في اتقائهم خدش وفائهم له، عليه الصلاة والسلام.. فإذا هو تآمر " أدبي " أهون مظاهره وآثاره هذا السلطان..

إلى أن يقول:

اعتبار خلافة أبي بكر إنما قامت بمفهوم سياسي أو على أسس سياسية، لا بمفهوم ديني أو على أسس دينية..

(1) أنظر: الإمامة والسياسة 1 / 12 ط مصر، شرح النهج لابن أبي الحديد 2 / 5 ط مصر الأولى.

فإن تصدى اثنيهم [1] هذين لترشيح ثالثهم [2] وكأنهما وكيلان عن المهاجرين فضلا عن المسلمين وليسا كذلك..

لهو أمر فيه ما فيه..

كذلك فإن خلو ميدان " الانتخاب " خلوا مطلقا من آل بيت الرسول – إن لم نقل الحرص على إخلائه منهم – ليس عسرا أن يدخل في تبعة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة قبل أن يسند حدوثه للظروف.

بل أنه ليجعل اختيار أبي بكر خليفة تعيينا ممن لا يملك حق التعيين، فلا شورى ولا انتخاب..

ولقد نسب إلى علي في هذا المعنى شعر يخاطب به أبا بكر، فيقول:

" فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم * فكيف بهذا والمشيرون غيب؟.. "

وما أصدقه من قول، وما أليقه بمطابقة واقع الحال..

فإذا غفر لهم هذا الذي ظهر من استئثارهم بالترشيح، فبالاختيار، فبالبيعة للفاضل الجدير وليس للأفضل الأجدر، لوقوع سلوكهم هذا في دائرة الفعل المبرر، أو الطموح المباح، أفلا يعتذر لبعض الأفهام.

لو رأت في وسيلتهم المستخفية التي أبلغتهم هدفهم دون إعلام آل بيت الرسول، نوعا من التبييت أو الائتمار؟..

تبعا لهذا، لا محل لعجب عاجب أن سرت تلك الأفهام في ظنها إلى طرف الجناح الثاني للجور: جناح التآمر " الأدبي " على الرسول من هؤلاء النفر الذين

---

(1) يقصد الأستاذ به اثنيهم هنا: أبو بكر وعمر.

(2) يقصد الأستاذ به: أبو عبيدة بن الجراح.

تسامع الناس كافة، ونقل التاريخ، أنهم كانوا – من بين صحب محمد عليه الصلاة والسلام – أقرب إليه، وأحرى بأن يمحضوه صدق الولاء في مماته كما في حياته سواء بسواء..

طائفة غير قليلة من المسلمين [1] ، كما نعلم تعتقد اعتقادا جازما غير مقلقل أن أبا بكر وعمر وابن الجراح قد عملوا على احتياز الخلافة لأولهم، ومحمد مازال حيا لما يذهب إلى ربه.

وهل من المعقول أن تجمع الروايات أو تكاد، على أن " معظم المهاجرين وجل الأنصار " كانوا لا يشكون عندما ذاع بالمدينة نبأ وفاة الرسول، في أن الأمر صائر لا محالة إلى علي ثم يكون تيقن هؤلاء " المعظم والجل " وعدم شكهم مجرد هوى خاص وليس صدى لرأي فهموه أو تناقلوه عن النبي الكريم.

هذا عسير، وذاك عسير.

كلا الأمرين من وراء ظهر الرسول لاحتياز سلطانه يناقض تمام المناقضة طبيعة الوفاء في الخلائق النقية.

وما هنا مجال دفاع عن هؤلاء الصحاب [2] .

وقال ابن أبي الحديد: وروى ابن عباس قال:

خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته فانفرد يوما يسير على بعيره فأتبعته فقال لي يا بن عباس: أشكو إليك ابن عمك. سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولم أزل أراه واجدا، فيم تظن موجدته قلت: يا أمير المؤمنين إنك لتعلم. قال: أظنه لا

---

(1) يقصد الأستاذ بهذه الطائفة هي: الشيعة الإمامية. - المؤلف -

(2) السقيفة والخلافة ص 248 – 265.

زال كئيبا لفوت الخلافة. قلت: هو ذاك. إنه زعم إن رسول الله " أراد الأمر له. فقال يا بن عباس:

وأراد رسول الله " الأمر له فكاد ماذا، إذا لم يرد الله تعالى ذلك. إن رسول الله أراد ذلك، وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله تعالى، ولم ينفذ مراد رسوله.. " وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ وهو قوله: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أراد أن يذكره للأمر في مرضه فصددته. [1] ومن نصوص وصية النبي الصريحة بالإمامة لعلي:

عن محمد بن حميد الرازي – وقد وثقه الأئمة: أحمد، والترمذي، ويحيى، وابن جرير الطبري، والبغوي –:

عن أبي بريدة: " لكل نبي وصي، ووارث وإن وصيي، ووارثي علي بن أبي طالب ". ومثله بالمعنى مروي عن سلمان الفارسي.

وقال عليه الصلاة والسلام لفاطمة:

" يا فاطمة: أما ترضين أن الله عز وجل اطلع إلى أهل الأرض فاختار اثنين أحدهما أباك، والآخر بعلك ".

وعن ابن عباس أن الرسول قال لها:

" أما ترضين أني زوجتك أول المسلمين إسلاما، وأعلمهم علما، وإنك سيدة نساء أمتي كما سادت مريم نساء قومها، أما ترضين يا فاطمة أن الله اطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين أحدهما أباك، والآخر بعلك؟ " [2].

(1) شرح نهج البلاغة: 3 / 114 ط الحلبي مصر.

(2) (الإمام جعفر الصادق ص 253 طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة عام 1397 هـ – 1977 م)

ثم قال الأستاذ: أنا لا أستبعد حدوث الاتفاق على الخلافة بين أبي بكر وعمر في مرض الرسول [1] وأن الخلافة من حق الإمام علي وأنها بهذا النحو انتزعت منه [2] وإنه أحق بها منهما ومن كافة المسلمين كما ذكر ذلك في كتابه الجديد [3] وقال:

ألفت كتابا في موضوع " السقيفة " وسيتم وأنا أعرف أحقية الإمام علي في الخلافة من سلوكه، ونشأته، وأيام حياته ثم قال:

إني دعيت إلى العراق لإلقاء محاضرات في كلية الفقه في النجف الأشرف وسوف أسافر إلى العراق بعد عيد الفطر إن شاء الله. ثم قال:

إنني مع إيماني العميق بما ورد في فضل الإمام الحسين، وما صور جوانب طفولته من أحاديث، الكتابة عنه تكون مبتورة ما لم استخلص شخصيته من سلوكه وأعماله، في طفولته وصباه. لأن الطفل في إعتقادي – وكما يقول المثل – هو أبو الرجل.

ثم سألت الأستاذ عن رأيه في الفتوى التي أصدرها الأستاذ الأكبر [4] الشيخ

(1) صرح الأستاذ بهذا يوم زيارتي له في منزله بالإسكندرية وكان معي الأستاذ عبد الله الخنيزي مؤلف كتاب: " أبو طالب مؤمن قريش " والأستاذ عبد العزيز سلام شاعر جمعية أهل البيت بالقاهرة وكان ذلك في يوم الجمعة 16 أغسطس عام 1973 م.

(2) ويؤيد كلام الأستاذ هذا قول إمامنا وسيدنا أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب (عليه السلام): " فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي، فظننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجى، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمر من طعم العلقم " شرح النهج لابن أبي الحديد 1 / 62 الخطبة 25 الطبعة الأولى بمصر.

(3) السقيفة والخلافة وهو كتاب فريد في بابه، نادر في موضوعه موفق في عرض آرائه يبين بالأدلة العقلية أحقية الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة.

(4) عام 1959 م ونشرتها: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في مجلتها: (رسالة الإسلام) بالقاهرة في السنة 11 في العدد 3 ص 227 وتجد صورة الفتوى الزنكوغرافية موقعة بتوقيع المرحوم الشيخ شلتوت – ص 48 في هذا المجلد ضمن محاوراتنا مع فضيلته عام 1958 م.

محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر عند رئاسته للأزهر الشريف في جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية فقال:

لا أرى في المذاهب المعروفة في تعددها سوى أنها الوسيلة لتفسير ما غمض على المسلمين من أحكام الإسلام، ومن هنا فمن حق مذهب الشيعة الإمامية أن يكون في نفس مستوى مذاهب السنة فلا يغفل أمره، ولا حرج في رأيي على سني يأخذ بما فيه هو أولى به من سواه إذا علمنا أن منبعه الأصلي هو الإمام علي بن أبي طالب أعلم الناس بدين الإسلام بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفي رحلتي إلى القاهرة عام 1975 م كنت قد صحبت معي كتاب " ثورة الحسين (عليه السلام) " مع كتاب: " دراسات في نهج البلاغة " أهداهما مؤلفهما سماحة العلامة الكبير الشيخ محمد مهدي شمس الدين [1] لسيادة الأستاذ الكبير عبد الفتاح حملتهما

(1) درس في النجف الأشرف - العراق، وتخرج على أكابر علمائها من أمثال آية الله الإمام الحكيم، وآية الله الإمام الخوئي، وآية الله الشيخ عباس الرميثي (رحمه الله) والذي كان من كبار فقهاء الشيعة الإمامية وكان يسكن في مدينة النجف الأشرف - العراق وهي محط رحال جهابذة العلماء منذ ألف عام والمركز الرئيسي الديني، والعلمي والثقافي للشيعة الإمامية. وقد أرخ وفاة آية الله الرميثي صاحب الفضيلة المرحوم الخطيب البارع الشيخ محمد علي اليعقوبي (*) النجفي شعرا (بالخلد يا عباس مثواكا) له حاشية: على العروة الوثقى لآية الله الفقيه السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (مخطوطة) وله حاشية على (بلغة الراغبين في فقه آل يس).

وله أيضا مجموعة كبيرة من الفتاوى مخطوطة وتحتوي على كثير من المسائل الفقهية المتنوعة شاهدتها في مكتبة الأخ الفاضل السيد طالب الرفاعي بالقاهرة. (*) مؤلف كتاب " البابليات " في أربعة أجزاء وكتاب " الذخائر " مجموعة شعرية في مدح ورثاء أهل البيت (عليهم السلام) وله ديوان شعر كبير باسم: " ديوان اليعقوبي " ونقد كتاب: " شعراء الحلة " للأستاذ علي الخاقاني " المقصورة العلية في السيرة العلوية ": شعر " عنوان المصاب في مقتل الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) " " جهاد المغرب العربي " وله تحقيق مجموعة من الدواوين كالجعفريات، وديوان الحاج حسن القيم، والشيخ صالح الكواز الحلي والحاج عباس الملا علي البغدادي النجفي والشيخ عبد الحسين شكر والشيخ محمد حسين أبي المحاسن، والشيخ يعقوب الحاج

جعفر النجفي الحلي وغيرها وله: القصيدة الأولى التي ألقيت سنة 1380 هـ في الحفل الكبير الذي أقيم في جامع الهندي في النجف الأشرف بمناسبة ميلاد الإمام الحسين ابن علي (عليهما السلام).

– المؤلف –

معي لإيصالهما لسيادته حيث إنه رغب في كتابة موضوع عن الإمام الحسين (عليه السلام) كما أخبرني في رحلتي إلى القاهرة عام 1974 م.

مواجهة بعض الصحابة وفيهم أبو بكر وعمر

للرسول عند احتضاره ومن جدالهم بحضرته أنشأت السقيفة

وقال الأستاذ الكاتب المصري صالح الورداني تحت عنوان: " بين المرض والوفاة "

روى البخاري عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس.. وما يوم الخميس؟

اشتد برسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) وجعه: فقال: إئتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا. فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع: فقالوا ما شأنه أهجر استفهموه. فذهبوا يردون عليه. فقال دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه. وأوصاهم بثلاث.

قال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب. وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم.

وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها..

وفي رواية: لما حضر رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) وفي البيت رجال: فقال النبي هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. فقال بعضهم أن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن.

حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا. فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم

كتابا لا تضلوا بعده. ومنهم من يقول غير ذلك. فلما أكثروا اللغو والاختلاف. قال رسول الله: قوموا.

قال ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم.. [1].

وفي رواية ثالثة عن ابن عباس: لما اشتد بالنبي وجعه قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط. قال:

قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع. فخرج ابن عباس يقول: أن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه.. [2].

وقال القرطبي وغيره:

إئتوني أمر وكان حق المأمور أن يبادر للامتثال. لكن ظهر لعمر مع طائفة أنه ليس على الوجوب وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح فكرهوا أن يكلفوه من ذلك ما يشق عليه في تلك الحالة مع استحضارهم قول الله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شئ) وقوله: " تبيانا لكل شئ)...

أمامنا بعض النتائج التي من الممكن أن تقودنا إلى حل بعض النقاط الغامضة المتعلقة بوصية الرسول فرواية ابن عباس المتعلقة بطلب الرسول كتابة كتاب تهتدي به الأمة بعد وفاته التزم أمامها أهل السنة بسياستهم التبريرية المعتادة لذلك السلوك وتلك المواقف المتناقضة مع روح الإسلام ومع العقل التي سلكها الصحابة وفي

---

(1) البخاري كتاب العلم وانظر كتاب المرضى. وانظر مسلم كتاب الوصية ومسند أحمد:

1 / 355.

(2) المراجع السابقة.

مقدمتهم عمر أمام نبيهم مما هو واضح من خلال أقوالهم التي عرضناها والتي ترتكز في صميمها على هدم أية محاولة لتفسير النص تفسيرا يمس الصحابة ولو بشئ من النقد حتى لا تهتز صورتهم في أعين الناس فيفقدوا قدوتهم وتضيع مثاليتهم حتى لو أدى ذلك إلى الجام العقل وتكبيله. فالعقل لا يمثل أهمية كبيرة عندهم ولو كانوا يحترمونه ما اخترعوا كل تلك القواعد التي ترجع عن الخوض في خلافات الصحابة أو في النصوص المنسوبة للرسول الخاصة بطاعة الحكام أو تلك المتناقضة مع القرآن والتي هي صحيحة بطرقهم.. [1].

وقد نقل ابن حجر أن المقصود بالكتاب في حديث ابن عباس هو تعيين الخليفة [2].

وقال عياض: معنى كلمة هجر التي ذكرها عمر: أفحش. يقال هجر الرجل إذا هذى. وأهجر إذا أفحش.. [3].

إذا كان معنى كلمة هجر بهذه الصورة فهل يحق لصحابي أن يقولها لنبيه..؟

يقول ابن حجر: وقوع ذلك عن النبي ((صلى الله عليه وسلم)) مستحيل لأنه معصوم في صحته ومرضه لقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى..) [4].

فهل كان عمر يجهل أن الرسول معصوما..؟

وليت أهل السنة يسيرون في تأويل مواقف الصحابة على أساس القرآن كما

---

(1) أنظر لنا: العقل المسلم. وانظر: العواصم من القواصم.

(2) فتح الباري 13 / 206.

(3) المرجع السابق.. الوضوي: وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم) كما ورد في الحديث القدسي من آذى لي وليا فقد استحل محاربتي. كنز العمال: 1 / 230 رقم الحديث 1157 مسند الإمام أحمد بن حنبل:

.256 / 6

(4) المرجع السابق.

فعل ابن حجر في مواجهة موقف عمر من الرسول.. لو فعلوا ذلك لكانوا قد أغلقوا الباب في وجه السياسة إلى الأبد.

فقد استثمرت السياسة مواقف الصحابة أفضل استثمار. واشتقت من أحداث السقيفة ومواقف عمر وعثمان ما بنيت على أساسه قواعد العلاقة بين الحاكم والمحكوم..

إلا أن هذا الاستدلال الذي بناه ابن حجر على الآية يعد من فلتاته. فقد تابع أهل السنة في مواقفهم التي تبرر أفعال الصحابة وممارستهم على أساس السياسة وعلى أساس كونهم عدول مجتهدون.. [1].

والحق أن موقف عمر كان رزية كبرى تسببت في تعويق مسيرة الإسلام وضياع الأمة وشتاتها بين الحكام والفقهاء وأهل الأهواء.. وهو فعل يضاف إلى سيئات الرجل وليس محمدة له كما يحاول فقهاء التبرير تصوير ذلك.

والعقل لا يقبل أن يحمل مثل هذا السلوك من قبل عمر على محمل الخير. أي خير في معارضة نبي؟

وإذا اعتبرناه مجتهدا فهل يحق له الاجتهاد على أمر رسول الله..؟

وقول عمر حسبنا كتاب الله قول مغرض. فهو لم يكن من الحافظين لكتاب الله المسلمين بأحكامه وإن كان مخترعو الأحاديث وفقهاء التبرير قد حاولوا أن يضفوا عليه صفة الفقيه المجتهد.

ويدل على ذلك موقفه بعد وفاة الرسول ((صلى الله عليه وسلم)) حين ادعى عدم موته وهدد القائلين بموته وهو موقف لا ينم عن علمه بطبيعة الرسالة ودور الرسول. ولم يتخذ

(1) أنظر: العواصم وكتب العقائد. ويعتبر أهل السنة عدالة الصحابة من العقائد..

هذا الموقف أحد سواه حتى جاء أبو بكر ففقهه بالآية. فقال: كأني أسمعها أول مرة.. [1].

إن موقف عمر ومن حالفه إنما يشير إلى أن هناك جبهة من الصحابة كانت ضد كتابة الوصية وموقف هذه الجبهة إنما ينبع من يقينها أن هذه الوصية ليست في صالحها. إذ لا يعقل أن ترفض أمة وصية نبيها في احتضاره وهي تعلم أنه خاتم الرسل. فإن عدم وجود رسل من بعده يجعل الحاجة لهذه الوصية أشد وأكثر مصيرية [2].

وقال الأستاذ أحمد حسين يعقوب المحامي تحت عنوان:

أسوء وداع لأعظم إمام عرفته البشرية

لم يصدف طوال التاريخ البشري أن يدعو ولي الأمر سواء كان خليفة، أو ملكا وهو مريض بالقسوة، والجلافة التي عومل بها رسول الله.

ولم يصدف أن اعترض المسلمون خليفة إذا أراد أن يكتب توجيهاته النهائية، أو يستخلف من بعده بل على العكس.

قال ابن خلدون في مقدمته:

إن الخليفة ينظر للناس حال حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، ويقيم لهم من يتولى أمورهم [3].

(1) أنظر المحطة الثالثة.

(2) السيف والسياسة: ص 25 – 29.

(3) مقدمة ابن خلدون: ص 177، وكتابنا: الخطط السياسية ص 382.

لقد مرض أبو بكر مرضا شديدا قبل أن يموت، وقبل وفاته بقليل دعى عثمان ليكتب له توجيهاته النهائية، وأصغى المسلمون لأبي بكر ونفذوا توجيهاته النهائية بدقة، وعاملوه بكل احترام وتوقير، ولم يقل أحد منهم:

إن أبا بكر قد هجر، ولا قالوا:

حسبنا كتاب الله [1].

وعندما كتب أبو بكر توجيهاته النهائية كان عمر يقول:

أيها الناس: إسمعوا، وأطيعوا قول خليفة رسول الله... [2].

مقارنة بين موقف عمر وحزبه من أبي بكر وموقفهم من رسول الله!!

فهل لأبي بكر قيمة وقداسة عند عمر وحزبه أكثر من قيمة الرسول وقداسته!!!

أجب كما يحلو لك فإنه الواقع المر.

ثم انظر إلى موقف المسلمين عند طعن عمر، وأراد أن يكتب توجيهاته النهائية وقد اشتد به المرض أكثر مما اشتد برسول [3]

الله .

ومع هذا كتب عمر توجيهاته، وعهد للستة نظريا، وعهد لعثمان عمليا، وأمر بضرب عنق من يخالف تعليماته النهائية [4].

وصارت توجيهات أبي بكر وعمر شرعا سياسيا نافذا لم يقل أحد إن عمر قد

---

(1) راجع: تاريخ الطبري: 3 / 429، وسيرة عمر لابن الجوزي ص 37 وتاريخ ابن خلدون: 2 / 85 وكتابنا: النظام السياسي ص 195.

(2) راجع: تاريخ الطبري: 1 / 138.

(3) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 1 / 21 – 22 والطبقات لابن سعد: 2 / 364 وكتابنا: الخطط السياسية ص 367 – 368.

(4) راجع: الطبقات لابن سعد: 3 / 247 وأنساب الأشراف: 5 / 18 وتاريخ الطبري: 5 / 33.

هجر!! ولم يقل أحد: حسبنا كتاب الله.

إنما عومل عمر بكل تقديس واحترام ونقلت توجيهاته النهائية حرفيا كأنها كتاب منزل من عند الله وأكثر.

فهل لأبي بكر وعمر قداسة عند المسلمين أكثر من رسول الله، وبأي كتاب قد أتوا بأنهما أولى بالاحترام والطاعة من رسول الله؟!!

أجب كما يحلو فإنك لن تغير الحقيقة المرة!! [1].

وقال الدكتور محمد التيجاني السماوي:

وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإننا نسمع الكثير عن عدل عمر الذي سارت به الركبان حتى قيل: " عدلت فنمت " وقيل: دفن عمر واقفا لئلا يموت العدل معه وفي عدل عمر حدث ولا حرج، ولكن التاريخ الصحيح يحدثنا بأن عمر حين فرض العطاء في سنة عشرين للهجرة لم يتوخ سنة رسول الله ولم يتقيد بها، فقد سوى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بين جميع المسلمين في العطاء فلم يفضل أحدا على أحد، واتبعه في ذلك أبو بكر مدة خلافته، ولكن عمر بن الخطاب اخترع طريقة جديدة وفضل السابقين على غيرهم.

وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين.

وفضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة.

وفضل العرب على سائر العجم.

وفضل الصريح على المولى [2].

---

(1) الوجيز في الإمامة والولاية ص 170 - 171 (مخطوط).

(2) شرح ابن أبي الحديد 8 / 111.

وفضل مضر على ربيعة، ففوض لمضر ثلاثمائة ولربيعة مائتين [1].

وفضل الأوس على الخزرج [2].

فأين هذا التفضيل من العدل يا أولي الألباب.

ويسمع عن علم عمر بن الخطاب الكثير الذي لا حصر له حتى قيل أنه أعلم الصحابة، وقيل إنه وافق ربه في كثير من آرائه التي يتول القرآن بتأييدها في العديد من الآيات التي يختلف فيها عمر والنبي.

ولكن الصحيح من التاريخ يدلنا على أن عمر لم يوافق القرآن حتى بعد نزوله، عندما سأله أحد الصحابة أيام خلافته فقال: يا أمير المؤمنين إني أجنبت فلم أجد الماء فقال له عمر: لا تصل، واضطر عمار بن ياسر أن يذكره بالتيمم ولكن عمر لم يقنع بذلك وقال لعمار: إنا نحملك ما تحملت [3].

فأين علم عمر من آية التيمم المتولة في كتاب الله وأين علمه من سنة النبي الذي علمهم كيفية التيمم كما علمهم الوضوء: وعمر نفسه يعترف بالعديد من القضايا بأنه ليس بعالم، بل بأن كل الناس أفقه منه حتى ربات الحجال وبقوله عدة مرات لولا علي لهلك عمر.

ولقد أدركه الأجل ومات ولم يعرف حكم الكلالة التي حكم فيها بأحكام متعددة ومختلفة كما يشهد بذلك التاريخ.

فأين هذا العلم يا أولي الأبصار؟

---

(1) تاريخ اليعقوبي 2 / 106.

(2) فتوح البلدان ص 437.

(3) تاريخ اليعقوبي: 2 / 106.

كذلك نسمع عن بطولة عمر، وشجاعته، وقوته الشئ الكثير حتى قيل أن قريش خافت عندما أسلم عمر، وقويت شوكة المسلمين بإسلامه.

وقيل: إن الله أعز الإسلام بعمر بن الخطاب.

وقيل: بأن رسول الله لم يجهر بدعوته إلا بعد إسلام عمر.

ولكن التاريخ الثابت الصحيح، لا يوقفنا على شئ من هذه البطولة والشجاعة، ولا يعرف التاريخ رجلا واحدا من المشاهير، أو حتى من العاديين الذين قتلهم عمر ابن الخطاب في مبارزة، أو في معركة كبدر، واحد، والخندق وغيرها بل العكس هو الصحيح.

فالتاريخ يحدثنا أنه هرب مع الهاربين في معركة أحد وكذلك هرب يوم حنين، وبعثه رسول الله لفتح مدينة خيبر فرجع مهزوما، وحتى السرايا التي شارك فيها كان تابعا غير متبوع، وآخرها سرية أسامة التي كان فيها مأمورا تحت قيادة الشاب

أسامة بن زيد.

فأين دعوى البطولات والشجاعة من هذه الحقايق... يا أولي العقول؟

ونسمع عن تقوى عمر بن الخطاب ومخافته وبكائه من خشية الله الشئ الكثير، حتى قيل: أنه كان يخاف أن يحاسبه الله لو عثرت بغلة في العراق لأنه لم يعبد لها الطريق.

ولكن التاريخ الثابت الصحيح يحدثنا أنه كان فظا غليظا لا يتورع ولا يخاف فيضرب من يسأله عن آية من كتاب الله حتى يدميه بدون ذنب اقترفه، بل وتسقط المرأة حملها لمجرد رؤيته هيبة ومخافة منه.

ولماذا لم يتورع مخافة من الله عندما سل سيفه وهدد كل من يقول: بأن محمدا قد مات، وأقسم بالله أنه لم يمت، وإنما ذهب يناجي ربه كما فعل موسى بن عمران

وتوعد من يقول بموته بضرب عنقه [1].

ولماذا لم يتورع، ولم يخش الله سبحانه في تهديد حرق بيت فاطمة الزهراء بالنار إن لم يخرج المتخلفون فيها للبيعة [2].

وقيل له: إن فيها فاطمة فقال: وإن، وتجرأ على كتاب الله، وسنة رسوله فحكم في خلافته بأحكام تخالف النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة.

فأين هذا الورع والتقوى من هذه الحقائق المرة المؤلمة يا عباد الله الصالحين؟

وإنما أخذت من هذا الصحابي الكبير الشهير كمثل واختصرت كثيرا لعدم الإطالة فلو شئت الدخول في التفاصيل لملأت كتبا عديدة، ولكن كما قلت:

إنما أذكر هذه الموارد على سبيل المثال لا الحصر.

والذي ذكرته هو نزر يسير يعطينا دلالة واضحة على نفسيات الصحابة وموقف العلماء من أهل السنة المتناقض، فبينما يمنعون على الناس فقدهم والشك فيهم، يروون في كتبهم ما يبعث على الشك والطعن فيهم.

وليت علماء السنة والجماعة لم يذكروا مثل هذه الأشياء الصريحة التي تمس كرامة الصحابة، وتخدش في عدالتهم إذن لأراحونا من عناء الإرتباك...

ولعمري إنه الحق الذي لا مفر منه لو يتحرر الإنسان عن تعصبه الأعمى، وكبريائه وينصاع للدليل الواضح [3].

وقال الكاتب المصري الأستاذ صالح الوردني: عن جيش أسامة.

(1) تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير.

(2) الإمامة والسياسة.

(3) ثم اهتديت ص 94 – 97

كثرت الروايات التي تتحدث عن جيش أسامة في كتب السنن وكتب التاريخ.

إلا أن هذه الروايات على كثرتها لم تكشف لنا السر وراء إصرار الرسول ((صلى الله عليه وسلم)) على بعث هذا الجيش إلى الخارج في مثل تلك الظروف التي كان يعيشها المجتمع المدني آنذاك وهو يترقب وفاة الرسول ما بين ساعة وأخرى..

لقد كان الرسول كثيرا ما يردد وهو على فراش المرض: أنفذوا بعث أسامة.

أنفذوا بعث أسامة.. [1].

إن إصرار الرسول على ضرورة تحقيق هذا الأمر يكشف لنا عدة حقائق:

الأولى: إن هناك قوى تقف في طريق تحرك هذا الجيش..

الثانية: إن تحرك هذا الجيش له أهميته القصوى بالنسبة لحركة الدعوة..

الثالثة: إن الرسول كان يتعجل خروجه..

الرابعة: ما هي حكمة تولية فتى صغير على كبار الصحابة في بعثة عسكرية هامة كهذه؟

يروي البخاري:

استعمل النبي أسامة فقالوا فيه..

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) قد بلغني أنكم قلتم في أسامة وأنه أحب الناس إلي..

لماذا يقول الصحابة في أسامة. وماذا يقولون فيه..؟

هذا ما لم تخبرنا الرواية. إلا إن هناك رواية أخرى أكثر تفصيلا..

عن ابن عمر قال إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعث بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس في إمارته. فقام رسول الله فقال: إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في

(1) أنظر طبقات ابن سعد: 4 / 3.

إمارة أبيه من قبل. وأيم الله إن كان لخليقا بالإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي.

وإن هذا – أسامة – لمن أحب الناس إلي بعده.. [1].

والرواية الثانية تجلي لنا الموقف بصورة أكثر وضوحا وهو أن هناك طعنا في أسامة ورفضا لإمارته. وإن هذا الموقف كان قد اتخذ مسبقا من إمارة أبيه في غزوة مؤتة التي استشهد فيها..

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: أليس الطعن في إمارة أسامة يعد طعنا في أمر الرسول الذي عينه..؟

وهل هذا الموقف كان يتركز في أسامة بشخصه أم في أهداف البعثة؟ إن الأمر على ما يبدو يتجاوز المسألة الشخصية ويشير إلى أن هناك قضية أخرى أكبر من أسامة ومن بعثته.

وكعادة الروايات التي تروى في كتب السنن خاصة الصحيحين وتتعلق بمواقف الصحابة وتجاوزاتهم. فإنها تكون مبتورة

المعنى أو لا تسمى الشخص أو لا تفصل الحدث..

والهدف من وراء ذلك هو محاولة التمويه على الحقيقة وعدم إثارة الشبهات حول شخصيات معينة حتى لا تهتز في أعين المسلمين.. وهو أمر يعود أولا وأخرا إلى أمانة الراوي.

أنظر حديث عائشة: خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مرضه وهو مستند على رجلين أحدهما العباس ورجل آخر. وكان الرجل الآخر الذي لم تسمه عائشة هو علي.. [2].

(1) البخاري باب بعث أسامة.

(2) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، وانظر مسلم..

وانظر حديث أبو هريرة: حفظت وعاءين عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعاء بثثته. أما الآخر فلو بثثته لقطع هذا الحلقوم.. [1].

وانظر حديث ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس: اشتد برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجعه. فقال إئتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا. فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع. فقالوا ما شأنه أهجر. فذهبوا يردون عليه. فقال دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه وأوصاهم بثلاث. قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب.

وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها..

فالبخاري هنا لم يخبرنا من الذي قال عن الرسول: ما شأنه أهجر. وهي طعن في الرسول واتهامه بالتخريف والهلوسة.. ثم أنه لم يخبرنا عن الثالثة هل سكت عنها ابن عباس أم سكت عنها هو، وهو على ما يبدو من الرواية متأرجح بين أن يكون ابن عباس سكت عنها أو نسيها هو. كما فاته أن يذكر إن الذي طعن في الرسول وهو على فراش المرض هو عمر بن الخطاب..

ومثل هذا الأمر ينطبق على الروايات المتعلقة بجيش أسامة فقد ذكرت رواية البخاري: استعمل النبي أسامة فقالوا فيه..

وفي الرواية الثانية فطعن الناس في إمارته..

ولم يخبرنا البخاري من الذين قالوا في أسامة ومن الذين طعنوا في إمارته من الصحابة..؟ إن مثل هذا الأمر يطابق النهي عن الخوض في خلافات الصحابة واعتبار ذلك من المحرمات ومن أصول العقيدة كما تنص على ذلك كتب العقائد.. [2].

(1) البخاري، كتاب العلم.

(2) أنظر العقيدة الطحاوية والواسطية والعواصم من القواصم. وانظر لنا عقائد السنة وعقائد الشيعة باب الرجال.

فكلا الأمرين الهدف منهما التغطية على أحداث التاريخ التي تتعلق بالصحابة حتى لا تهتز صورتهم في أعين المسلمين وتفقد الثقة فيهم وتكون النتيجة هي خروج المسلمين عن خط أهل السنة وخط الحكام على ما سوف نبين.

ومن المعروف أن جيش أسامة كان فيه كبار الصحابة وعلى رأسهم أبي بكر وعمر عدا الإمام علي الذي أبقاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى جواره..

وهنا تتضح لنا معالم جديدة حول هذا الحدث.

ماذا كان يهدف الرسول من وراء تأمير فتى كأسامة على أبي بكر وعمر وكبار الصحابة ثم يصر على ضرورة خروجهم من المدينة في أسوع وقت. وهو الذي على فراش الموت. ومن الممكن أن يتوفاه الله في أية لحظة فلا يكون إلى جواره في المدينة أحد من الصحابة لعل هذا الأمر أثار الريب في نفوس الصحابة وجعلهم يتلكأون في الخروج محتجين بصغر سن أسامة.

ولعل جواب الرسول (صلى الله عليه وسلم): أن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل يشير إلى شكه في موقفهم مذكرا لهم أن هذا الموقف اتخذتموه من قبل من أبيه زيد ولم يكن زيد صغير السن..؟

إذن هؤلاء القوم كانوا يضمرون في نفوسهم أمرا ويتحججون بحجج واهية كي لا يخرجوا من المدينة. ولكن لماذا يريدون البقاء في المدينة..؟

إن الجواب على هذا السؤال تكشفه لنا الرواية التي ذكرناها آنفا وهي رواية يوم الخميس حين طلب الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يكتب لهم كتابا لا يضلوا بعده. فهاجوا وماجوا وطعن بعضهم في الرسول حتى يفوتوا عليه كتابة هذا الكتاب.

فهذا الحدث قد كشف لهذه الطائفة التي يزعمها عمر على ما يبدو وعلى ما سوف نبين أن الرسول يضمر شيئا يتعلق بالأمر من بعده. فمن ثم هم لا يريدون أن يفوتهم هذا الأمر.

ومما يؤكد هذا الظن أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد كرر هذا الموقف في غزوة تبوك مع الإمام علي وصرح أمام الصحابة بمقالة فيه أثارت الريب في نفوسهم..

يروي البخاري أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خرج إلى تبوك واستخلف عليا. فقال:

أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي.. [1].

ولعل الصحابة تذكروا هذا النص حين أمرهم بالخروج في بعث أسامة وأدركوا أن الأمر يحمل أبعادا أخرى تتعدى مسألة الخروج خاصة بعد أن رأوا الرسول قد استبقى عليا مع إصراره على خروجهم من المدينة.

إن بعث أسامة يكشف أمامنا قضية هامة وهي قضية التفضيل. تفضيل الصحابة على بعضهم. وتفضيل أبي بكر وعمر على الصحابة بل على الأمة. فإن هذا التفضيل لو كان حقيقة ما جعل رسول الله أسامة أميرا على أبي بكر وعمر وما استبقى عليا..

كما يكشف لنا من جهة أخرى أنه لو كان الرسول قد نص على استخلاف أبي بكر كما يقال ما وضعه على مقدمة الجيش بينما هو على فراش المرض الذي توفي فيه [2].

يقول ابن حجر: كان تجهيز أسامة قبل موت الرسول بيومين فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر. ودعا أسامة فقال: سر

إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش.. فعقد الرسول لأسامة لواء بيده. وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم ثم اشتد على الرسول وجعه: فقال انفذوا بعث أسامة. فتكلم

(1) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي.

(2) ليست هذه المرة الأولى التي وضع فيها أبو بكر وعمر في هذا الموضع فقد سبق أن وضعهما الرسول (صلى الله عليه وسلم) تحت إمرة عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل. أنظر البخاري.

باب مناقب أبو بكر وشرح الرواية في فتح الباري ج 7.

في ذلك قوم منهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي. فجهزه أبو بكر بعد أن استخلف.. [1].

وقد أنكر ابن تيمية أن يكون أبو بكر وعمر كانا في بعث أسامة. لكن ابن حجر رد عليه وأورد عدد من الروايات التي تبطل قوله.. [2].

وهنا يطرح أمامنا السؤال التالي: لماذا يحاول ابن تيمية نفي وجود أبو بكر وعمر في بعث أسامة..؟.

أليس وجودهما يعد امتثالا لأمر الرسول وهو شرف لهما..؟.

والطريف في هذا الأمر هو تجهيز أبو بكر للجيش بعد وفاة الرسول وبعثه إلى الروم.. يقول ابن حجر: ولما جهز أبو بكر بعد أن استخلف سأله – أي أسامة – أن يأذن لعمر بالإقامة – في المدينة – فأذن.. تأمل.. [3].

لماذا عمل أبو بكر على استثناء عمر من جيش أسامة..؟.

لقد جهز أبو بكر الجيش امتثالا لأمر الرسول حيث أنه قد رفع شعارا مفاده إنما أنا متبع ولست بمبتدع.. وعمد إلى تقليد الرسول في كل مواقفه وممارساته.. فإذا كان هو كذلك فلماذا عمل على استثناء عمر. أليس ذلك مخالفة لسنة الرسول وأمره.

وهو قد استثنى نفسه بحكم تسلمه الخلافة فبأي حجة استثنى عمر؟؟.

هل يمكن أن نتهم أبو بكر بالسطحية في فهم النصوص إذ أن الغرض من بعث أسامة قد انتفى بوفاة الرسول واستخلافه. بينما هو يصر على خروجه ويستثني منه

(1) فتح الباري ج 8 / 152 كتاب المغازي باب 87.

(2) المرجع السابق.

(3) أنظر منهاج السنة وهو رد على كتاب العلامة الحلي منهاج الكرامة في إثبات الولاية لآل البيت.. ط بيروت.

عمر. أم أن أبا بكر يحاول أن يموه على الهدف الحقيقي من بعثة أسامة؟

ولنترك القوم مع جيش أسامة على أبواب المدينة ينتظرون ويراقبون من بعد تطورات مرض الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهم بموقفهم هذا قد تحايلوا على أمر الرسول: فلا هم نفذوا أمره ولا هم ظاهرون أمامه. وبدا وكأنهم يوهمون الرسول أنهم خرجوا..

هل مثل هذا السلوك يصح من أناس تخرجوا من مدرسة الرسول..؟ [1].

وقال الدكتور أحمد عز الدين المصري:

إن السلوك الذي سلكته القوة في السقيفة من تجاهل لرأي الناس لأنهم رعاع، وغوغاء كما وصفهم بذلك عبد الرحمن بن عوف، وعدم اعتبار رأيهم، والاكتفاء برأي النخبة في حسم القضايا المصيرية، وعدم إعطاء كل فرد حقه في التعبير عن رأيه بحرية.

كل هذا ورثناه، وتشربته أنسجة مجتمعاتنا. سداها، ولحمتها، وانسكب في أصلابنا جيلا بعد جيل، فإذا بكل أمورنا تقررها طغمات تدير أنظمة، أو نخبات تقود أحزابا، ومنظمات، دون أخذ بما يجيش في نفوس القاعدة العريضة التي يقوم عليها بناء المجتمع.

إن ما حدث في السقيفة – إذا نظرنا بعين الخائضين في السياسة، وأردنا تقديمه إلى الناس في القرن العشرين – لا يمكن اعتباره إجراء سليما يتفق ومبادئ الإسلام السياسية لأنه لم يعط صوتا لكل مواطن بل أعطى صوتا لكل قبيلة حضرت، دون معاملة بقية القبائل.

والقوى السياسية الأخرى بنفس المعاملة، ومن ثم تجاهل القطاع الأعرض من الشعب وحرمهم حقهم في المشاركة في اتخاذ القرار، واختيار القادة.

---

(1) فتح الباري ج 8 / باب 87 كتاب المغازي..

إننا إذا أخذنا بشروط الأهلية التي ذكرها كل من أبي بكر وعمر (رض) لمن ينبغي أن يكون في منصب القيادة بعد رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام. وجدنا أنها لم تكن تنطبق على أي منها قدر انطباقها على آل البيت.

فلقد قال أبو بكر (رض):

(وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لحي من قريش وهم أوسط دارا ونسبا [1].

وقال أول من عبد الله في الأرض هم أوليائه وعشيرته [2].

وقال عمر (رض):

العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى الحجة الظاهرة، والسلطان المبين.

من ذا ينازعنا سلطان محمد، وإمارته ونحن أوليائه وعشيرته إلا مدل بباطل، أو متجانف للإثم، أو متورط في هلكة [3].

فإن كانت هذه شروط الأهلية كان الأولى بالقيادة محمد وآل بيته عليه وعليهم الصلاة والسلام إذ لم يكن في العرب أوسط منهم دارا، ونسبا، وكانوا هم أوليائه وعشيرته، وفيهم القيادة، وبيتهم مهبط الوحي، ومحف الملائكة.

ثم إن مقالة عمر (رض) بذاتها تثبت أن من نازع من هم بهذه المواصفات منصب القيادة فهو مدل بباطل، ومتجانف لإثم، ومتورط في هلكة.

أفلا ندرك ما في هذه العبارة من معان؟

إن مرشح الأنصار لم يكن بالشخصية التي يجمع عليها المسلمون آنذاك، كما لم

---

(1) الطبري: 2 / 446، ابن هشام: السيرة النبوية: 4 / 339.

(2) الطوي: نفس الموضع.

(3) المصدر نفسه: 2 / 457.

تكن شروط الأهلية متوفرة في مرشح المهاجرين رغم ادعائهم هذه الصفات لأنفسهم ومع ذلك حسم الأمر في غياب الحزب الذي لو أعطى رئيسه الفرصة لترشيح نفسه ما نازعه أحد وهو: علي بن أبي طالب عليه سلام الله. كما صرح بهذا الصحابي الجليل المنذر بن الأرقم... [1].

وعلى هذا فيكون الإمام من آل البيت – وفق نظرية ابن خلدون – أمر تقتضيه السياسة، والعمران التي ذكرها.

بل إن الإمام في هذه الحالة يكون أكفأ وأقدر مما يجعل الدولة أرسخ، وأقوى.

لكن الرجل قدم نظرية ثم حاد عن الحق وهو يطبقها.

هكذا حسمت القيادة في غياب الأصلح مما أسفر عن شرخ كيان الأمة شرخا عانت منه الويلات على مدى القرون الأربعة عشر الماضية، ولازالت.

لأن عامة المهاجرين، وجل الأنصار ما كانوا يشكون أن عليا هو صاحب الأمر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) [2].

وفي رحلتي إلى القاهرة عام 1974 م كنت قد صحبت معي كتاب " فدك [3] " تأليف صاحب السماحة آية الله المغفور له السيد محمد حسن القزويني مؤلف كتاب " الإمامة الكبرى " [4] وكنت قد طلبت قبل عام 1974 م من فضيلة الأخ صديقنا

---

(1) تاريخ اليعقوبي: 2 / 103.

(2) مشكلة القيادة في الحركة الإسلامية ص 13 – 14 مخطوط.

(3) طبع هذا الكتاب في القاهرة في مطبعة دار المعلم للطباعة عام 1396 هـ – 1976 م وطبع بالأوفست مرة ثانية وثالثة عام 1397 هـ – 1977 م.

(4) " الإمامة الكبرى والخلافة العظمى " يقع في ثمانية أجزاء وطبع الجزء الأول منه في النجف الأشرف – العراق

بمساعي وجهود صديقنا صاحب الفضيلة العلامة الخطيب السيد مرتضى القزويني المقيم حاليا في أمريكا.

نسأل الله التوفيق له للسعي في طبع بقية أجزائه إن شاء الله وكان المؤلف قدس الله روحه قد ألف هذا الكتاب رغبة من أستاذه المحقق الخراساني ردا على كتاب " منهاج السنة " لعبد الحليم أحمد بن تيمية وكانت وفاة المؤلف في مدينة كربلاء – العراق يوم 26 رجب عام 1380 هـ.

الأستاذ الخطيب الشيخ باقر المقدسي أن يقوم بتحقيق الكتاب ولبى سيادته متفضلا هذا الطلب وكنت قد تركت هذا الكتاب عند أستاذنا الكبير عبد الفتاح عبد المقصود عام 1974 م ليطلع عليه ويكتب لي انطباعاته عنه لنصدرها به عند نشره ولبى سيادته هذا الطلب وجزاه الله عنا خير جزاء المحسنين.

وإلى القارئ الكريم نص ما كتبه:

1 – فدك

بسم الله الرحمن الرحيم

شاء لي الأخ الكريم: السيد مرتضى الرضوي أن أحوز شرف الإدلاء بكلمة " أكابد " تدبيجها لتكون بمثابة تقديم لهذا الكتاب الذي ما أراه في حاجة قط إلى تقديم..

وأقول: " أكابد "وأنا أعني ما أقوله، بكل ما تنطوي عليه حروف اللفظة من مضمون، لأن تناول موضوع " فدك " من قريب أو بعيد، هو معاناة حقة، تشق على المتناول أي مشقة، وكل مشقة.. وكيف لا وإن المتصدي له –ولأمثاله من أمهات المسائل التاريخية الإسلامية التي تتضح بالمبادئ، وتثير الجدل،ولا يتعذر أن تتفوق عندها الآراء شيعا – لأشبه بمن يحاول أن يجتاز هوة سحيقة متنقلا بين حافتيها على

خيط أدق من الشعرة،وأحد من الشفرة، لو أمن راكبه أن يقطعه فيهوى به من حالق لما سلم من نكاية الجروح!..

ولست أغالي.. فلي في هذا المجال تجربة قديمة، خرجت منها مغمورا في رأيي، مطعونا في عقيدتي، من رهط – سامحهم الله! – يرون في كل إعمال فكر، ونقاش حر، والتزام بمنطق العقل، في معالجة بعض الأحداث البانية لتاريخ الإسلام، خروجا عن الجادة السوية.. ولم تكن تهمتي يومئذ التي بي ألصقوها، ومن أجلها غمزوني وطعنوني، سوى أنني – في كتابي: " الإمام علي بن أبي طالب " – قد عمدت إلى استقراء الوقائع واستنبائها ما تكن من مغازيها. وإلى تحصيل أقوال الرجال الذين صنعوها أو أسهموا فيها، أو عايشوها..

فلما أن قادني البحث والتقصي إلى رأي ارتأيته في سلوك بضعة نفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعاصريه، أقروا هم به، قبل المئات العديدة من السنين من تناولي إياه ونظري فيه، هاجمني من ذلك الرهط من الكتاب

المحدثين من استهواه نزغ الهجوم، فشنأني شانئون، وتخرص متخرصون، ورماني رماة بالتطاول الآثم على مقام طائفة زائدة – كأبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابن العاص وغيرهم – من ذوي القدمة أو البلاء أو المكانة في المجتمع الإسلامي المتقدم، مشهود لهم –ولا أدري ممن – بالعصمة!.. ويشهد الله أنني، وإن عرضت لهم، لم أعرض بهم –وإن تناولت جوانب من حياة بعضهم، فتناولي لم يكن افتئاتا عليهم، ولا هضما لهم أو لغيرهم من صانعي التاريخ الإسلامي إبان فجره.. إنما قد رسمت صورهم بريشة ناقد لا حاقد. وذكرت سيرهم مقرونة بالحق كما تبينته، وكما قادني إليه اجتهاد بحثي.. ما تأولت على أحد منهم غير رأيه. ولا تقولت غير قوله. ولا أخذتهم فرادى وجمعا إلا بالمعلوم المشهور من نصوص أحاديثهم ودعاواهم، وضروب فعالهم وسلوكهم التي حفظتها لنا بطون الأسفار.. فكيف ألام؟

وبأية حجة يحق علي أن أؤثم، وما من إثم اقترفته في حق أولئك " المعصومين! " يوجب التأثيم؟.

لئن كنت أثرت –ولا أنكر – إلى هنة في تصرف هذا الفرد منهم، أو تصرف ذاك، فإنني كما سبق القول، لم أكن إلا ناقلا عنهم ذكر بعض ما فعلوه أو قالوه، واعترفوا بفعله وبقوله، بالسلوك الصريح واللسان المبين، وهم في معرض اعتزاز وإدلال، أو بمقام تعليل وتدليل...

لكنه منطق الشنآن...

غير أنني الآن أتناسى ما كان، وأقتحم ما أرادني الأخ " الرضوي " على اقتحامه، فأجتاز الهوة من حافة إلى حافة، على ذلك الخيط الدقيق كالشعرة، الحديد كالشفرة، لعلي أستطيع أن أدلي بكلمة حق، يشرفني كل التشريف أن تتصدر صفحات هذا الكتاب الجليل، الذي يؤكد ذلك الحق الذي سلبته الأهواء..

لقد وجدتني وأنا أتأمل: كتاب " فدك " إنما كنت أتأمل حشدا من الأسانيد لإثبات ما ليس بحاجة إلى إثبات!!

ثم وجدتني أيضا أتساءل: كيف السبيل إلى مقدمة تليق بأن تتصدر صفحاته، وتطالع قارئه بما ينبغي أن يقال فيه؟.

إن التقديم لهذا الكتاب في حاجة إلى سعة كتاب!..

ولا عجب..

فليست تكفي بضعة أسطر، ولا بضع صفحات للتعرف به حق التعريف، وإلقاء ضوء على جوانبه يضعه تحت الأعين على هيئة تقترب به من نطاق التفهم الهادئ وفي إطار من حديث عقلي ميسر، يخاطب الذين ينكرون اتجاهه، أو يواكبونه على السواء..

ذلك أن أرض فدك – نحلة كانت أو مواثا – هي حق خالص لفاطمة لا يمكن المماراة فيه.

والذين يمنعون النظر في نقاش أبي بكر للزهراء، لا يغيب عنهم أن الخليفة الأول لم ينكر على سيدة نساء العالمين دعوة النحلة، لكنه لم يقبلها بسبب افتقارها إلى سلامة العدد والنوعية في شهود التأييد.

وقد يرى راؤون ألا تثريب على الشيخ إذ فعل، لأنه إنما أبى الأخذ بشهادة منقوصة، أو أبى الاعتداد بحجية شهادة الزوج والأولاد.

ولقد يرى راؤون أيضا ألا تثريب عليه، إذ قد عدا مقام فاطمة وعلي والحسنين – وإنهم لأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا – فمال إلى مرتبة من عداهم من المسلمين، الذين تجوز فيهم التهمة، وترقى إليهم الشبهات..

لا تثريب عليه في الحالتين [1] ، كما يذهب ذاهبون، إن نحن أخذنا بنظرة يومنا هذا إلى الأمور، فرأينا أبا بكر في الأول يمتثل حرفية القانون، وفي الثانية يلتزم جادة المساواة، أخذا بمقولة ألا تنهض الشهادة إلا برجلين، أو برجل وامرأتين كنص الآية الكريمة (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء) البقرة: 282... [2] ثم سوا على نهج التسوية في التبعات بين

(1) هذه مجاراة من الأستاذ في الموضوع، وإلا ففي التشريع الإسلامي أن ذا اليد لا يطالب بالدليل كما تجد التفصيل في نفس الكتاب.

– المؤلف –

(2) قال المرحوم العلامة المحقق الشيخ محمود أبو ريه في كتابه: " شيخ المضيرة " في الطبعة الثالثة لدار المعارف بمصر ص 169.

" كنا نشرنا كلمة بمجلة " الرسالة " المصرية عن موقف أبي بكر من الزهراء في هذا الميراث، ننقل منها ما يلي: " إننا إذا سلمنا بأن خبر الآحاد الظني يخصص الكتاب القطعي، وأنه قد ثبت أن النبي قال: إنا لا نورث. وأنه لا تخصيص في عموم هذا الخبر، فإن أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة رضي الله عنها بعض تركة أبيها، كأن يخصها بفدك، وهذا من حقه الذي لا يعارضه فيه أحد، إذ يجوز للإمام أن يخص من يشاء بما شاء، وقد خص هو نفسه الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبي، على أن فدك هذه التي منعها أبو بكر من فاطمة لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان.

" العدد 518 من السنة الحادية عشر من مجلة الرسالة ".

– المؤلف –

المسلمين عامة، وخاصة تطبيقا لحديث رسول الله حين جاءه من تشفع عنده في سارقة ذات شرف، فأبى وقال: " لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ".

والرأي أن الأصل في فدك أنها ملك خالص لرسول الله، يجوز أن تكون قد بقيت له حتى وفاته. ويجوز أن يكون قد أنحلها

ابنته قبل الوفاة..

فإن كانت له فإنها خليقة بأن تؤول لفاطمة بحق الميراث.

فإن طعن بحديث: " لا نورث.. " وقيل بل تسري عليها قاعدة الصدقة.

حق أن نتساءل: ولماذا لم يعمل النبي فيها حديثه هذا فيتصدق بها وهو بعد على قيد الحياة؟...

لقد ثبت أنه صلوات الله عليه، كان يملك قبيل وفاته سبعة دنانير، خاف أن يقبضه الله وهي في حوزته فأمر أهله أن يتصدقوا بها، وألح عليهم.. فلما أن أنساهم أمرها تلهفهم عليه، لم تنسه هو حشرجته، فطلبهم بسؤاله عن المال حتى جاءوه به، وعندئذ وضعه في كفه وقال:

" ما ظن محمد بربه لو لقى الله وعنده هذه! ".

ثم أمر فتم التصدق بها على الفقراء..

فهل يمكن القول بأن رسول الله – الذي لم يغفل عن الدنانير على قلتها – يغفل أمر الأرض وهي أكثر الكثرة؟

أم يمكن القول بأن الصدقة مقصورة على المال السائل، أو المال المنقول، مصداقا لقول الله في محكم التنزيل:

﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله...﴾؟

كلا لم يتصدق محمد بفدك لأنها لا تقع في مجال تطبيق ذلك الحديث المنقول عن أبي بكر، فلم تكن ملكا له، بل كانت ملكا لسواه... ملكا لابنته الزهراء، لم ينازعها في ملكها أحد من الناس كما هو ثابت في التاريخ.

ومع ذلك فالحديث في هذه القضية يطول ويطول إلى ما يفيض عن حدود مقدمة تلم إلماما بموضوع الكتاب.

ولعل الله أن يهيئ لنا فسحة قابلة لإسهاب يفي بمناقشة تتناول المسألة بالتفصيل.

الإسكندرية: ديسمبر 1975 م

" عبد الفتاح عبد المقصود "

2 – الغدير [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أوشك وعيي أن يضل في عالم من المعرفة فسيح وأنا أقلب ناظري بين سطور هذا السفر وكلماته.. أهو حقا كتاب؟.. أهو " غدير "... بل هو " عيلم "زخر بدرره، صنوفا شتى ذات ألوان، تحار في حصرها النهى والخواطر، وتتبهر لها عيون البصائر،

(1) وللأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود كلمة حول موضوع " الغدير " نشرها صاحب السماحة الشيخ الأميني في أوائل مجلدات " موسوعة الغدير التاريخية " في الطبعة الثانية وأوردناها هنا

كلما وقعت منها على صدفة رأيتها انطوت على كنز تفرد في الكنوز وعز في الذخائر، يكاد يحسبه الرائي نسيج وحده، ثم لا يلبث أن يقع على سواه أبهى وأثمن في صدفة أخرى مكنونة ثم بعدها في صدفات – مختلفة، ومؤتلفة جمة العديد موفورة – بقدر ما ضم غور البحر من قطرات مائه، وما غشى الشاطئ من حبات حصبائه...

وكان " الأميني " هو الغواص الذي وكل بالكشف عن الفوائد الغوالي حتى لهم أن يجرد منها الأغوار.. ثم كان الجوهري ذا اليد الصناع، يؤلف ويصنف من القلائد الخوالد ما لم يدع بعدها فتنة للأنظار!..

هذا جهد يجل عن الطاقة، لم تنوء به همة المؤلف الجليل ولم يقعد دون شأوه اضطراره، ولقد ظللت، أعجب – وحق لي – كيف وسعه أن يخضع وقته لبحث طوف به نيفا وألفا ونصفا من الأعوام، غير آيس ولا ملول، منقبا فيها عن كل هذه التحف الذهنية التي هم غبار الزمن أن يغيبها عن أعين هذا الجيل!.. ولكنه صبر ليس ينجبه سوى إيمان الرجل وثيق بقدر عمله وجدواه، وإيمان أيضا بشخصية الإمام العظيم بلغ أعلا ذراه...

ومن العسير على أي امرئ يقرأ " الغدير " أن يفيه في عجالة كهذه قصورة وأنا كذلك معلن قصوري بين يدي تقديري!.. فليس بنصوص من روائع الأدب، ولا نظيما من عيون القصيد، ولا صحائف مجتباة من بطون التاريخ.. لا ولا قصصا حيا يرد الأجيال ويرسم الرجال والأبطال، ولكنه هذه كلها وبعض سواها، عصي على من لم يتوفر عمره المديد على دراسة نواحيها أن يأتي فيه بالرأي الراشد الذي يقارب الصواب.

ومن هنا بدا لنا علم " الأميني " عالما فسيحا يضل فيه وعي القراء كما يضل وعي النقاد، فلقد جاء كتابه " موسوعة " زاخرة تفيض بالممتع والمحكم، وتلم من كل

فن من فنون المعارف بأطراف، حتى ليعسر على النخبة المختارة من ذوي الأقلام أن يأتوا بنظيرها إلا على حذر وبعد بحث مغرق طويل.

وأدع جانبا هذا العرض الدقيق الذي أودعه الكاتب لب كتابه، وهذا الورد الرشيق للنظيم والنثير، ثم انطلق وإياه في آفاقه التي أضاءها قلبه المشرق المستنير..

إنه ليستهدي التنزيل، ثم الحديث، ثم يقفي بعد هذا وذاك بنفحات الهداية التي حركت يراعات تلك الأجيال المتلاحقة من الرواة والشعراء والكتاب حتى يصل بنا إلى هذا الجيل... فإلى أي مدى استطاع أن يتخذهم جميعا جندا يدفعون جحافل الجحود والإنكار والافتراء عن " حديث الغدير "؟...

لقد وفق الرجل في كلا العرض والدفاع حتى فرت أمام حججه زرائع المبطلين، ولم يكن في دفاعه مسوقا فحسب بفرط شغفه بالإمام، ولكنه كان أيضا كالحكم العدل، يزن في كفتين ثم يسجل لأيتهما كان الرجحان. ولعل نظرة عارة يلقيها غير ذي الهوى على صفحات سفره – وخاصة تلك التي أفردها لسلاسل " الوضاعين والموضوعات " – كفيلة بأن تريه " الأميني " بحاثة أمينا، يتبع في استخلاص آرائه أدق أساليب البحث المنزه الصحيح.

إن حديث الغدير لاريب حقيقة لا يعتورها باطل، بلجاء بيضاء كوضح النهار، وإنه لنفثة من نفثات الإلهام جاشت بها نفس الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) لتقرر بها قدر ربيبه وصفيه وأخيه بين أمته وأصفيائه المجتبين. هو حجة لقدر الإمام " نقلية "، ولحقه الهضيم، لم يعوز " الأميني " إبرازها في سطور سفره وإحاطتها بسياج ثابت متين من الأسناد التاريخية المنيعة على زاجيف الأهواء.. ولمن شاء أن يخدشها – ظالما أو جاهلا – بغوية، أن يدلنا أين بين أولئكم الصحابة الأبرار من يسبق ابن أبي طالب حين تذكر المزايا والأقدار؟!

الصفحة 144

لقد كنت، وما زال أجعل الخلق والمواهب ومقومات الشخصية أقيستي للعظمة الإنسانية، فمارأيت امرؤا – بعد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) – جديرا أن يلحق بذيله أو يكون رديفه قبل أبي سلالته الخيرة المطهرة، ولست بهذا مدفوعا بحماس لمذهب أو تشيع، ولكنه الرأي الذي تنطق به حقائق التاريخ.

إنما الإمام هو الرجل " الأمثل ". عقمت عن مثيله الحقب والعصور حتى آخر الزمان. وعندما تستروح النفوس المستهدية أنباءه يشرق لها من كل نبأ شعاع، فإن هو إلا بشر صيغ – أو كاد أن يكون – من كمال ظاهر الحق لذات الحق دون مظاهرته للنتائج المترتبة عليه، ولا من أجل الجزاء عنه، وغالب الباطل إنكارا للباطل وحبا في تهيئة الإنسانية المتعالية التي يؤمن بها من أن تتهم بالصبر على ما يجافي الحق دون أن تنهض له، كان دوما يكره الشر منذ انتبهت عينه للحياة.. كرهه في الانتقاص من تفرد الله بالقوة فأبى أن يعنو وجهه لأي من الأصنام التي عنت لها جباه قومه – وهو بعد طفل – لأنه رآها شرا ينال من قداسة الله في نفوس بني الإنسان... وكرهه في عدوان القوى الظالم على حرية الضعيف المظلوم، فناضل نضاله المشهود إبان البعثة عن رسول الله لتحق كلمة الله وتذيع شرعة الهداية الكفيلة باستنقاذ البشرية الضالة من حمأة الآثام... كره الشر في الحسيات وفي المعنويات.

وغالبه في العقائد الفاسدة والنفوس المفسودة... حربه في الفقر الذي يستوخص الأبدان والأرواح فأمن نفسه من غوائله بأن حصنها ضد الحاجة بالنسك والزهادة .. وفي الجبن الذي يذل القلوب فارتمى على الموت أينما ثقفه في كل موطن وحين حتى أذال دولته وهزم هيبته وغدا أسطورة الأساطير في شجاعة الشجعان وفي الجهل الذي يميت المشاعر فعب من نبع حكمة النبوة وتدبر القدرة الإلهية في آياتها القرآنية وآياتها الكونية، حتى صار لبني زمنه وما تلاه من أزمان – نواسا للمعرفة ونورا للنهى والعقول ليس كمثله نور... كان الخير في نظره مطلوبا لذاته لا صفقة تجارية

الصفحة 145

يقدر قبل عقدها الربح والخسارة!... كان له وسيلة وغاية في آن – وسيلة تجب ما عداها من الوسائل، وغاية ليس بعدها من غاية لضمير الإنسان الكامل، إنه مطلب البشر الذي يجدر بهم نشدانه، العالم بغيره سوق ضلالة والإنسانية مباءة جهالة!...

ثم ما لي أطنب؟ وما هذه سوى عجالة أملاها التقدير لم تملهارغبة في الترجيح أو في التقرير؟..

إن فضل الإمام معلوم مشهور وسبقه على الأقران غير منكور ولكنها جمحة لقلمي، عسى أن يتقبلها أستاذنا " الأميني "

الجليل فيتقبل خطا باهتا من " الصورة العقلية " التي استطاع جهدي المحدود أن يستخلصها لأمير المؤمنين من ثنايا التاريخ. ولنا عوض عن قصورنا.

هذه " الصورة النقلية المكتملة التي بدت لنازاهية نضوة من خلال أسطر " الغدير "..

الإسكندرية ذو الحجة 1367

المخلص

عبد الفتاح عبد المقصود

3 – فلسفة الحكم عند الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني أبو السبطين: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – ولي الرسول، وموضع سره ولجأ علمه، وأصل الأئمة الأطهار – في رحابه نيفا وثلاثين عاما عشتها تحت ظله الوارف الممدود.. فمارأيت نفسي نعمت مع غيره – بعد محمد عليه الصلاة والسلام – بمثل ما نعمت معه من ذخائر المعارف، وكرائم الأخلاق، وروائع الأفكار

التي تفتح طرائق وآفاقا بلا حدود لمن أراد التماس الحق كاملا غير منقوص، والحكمة صافية غير مشوبة..

ولقد استعصى علي، كما استعصى علي بلاريب سواي، الإحاطة بكل ما أوتيه، والأخذ بكل ما أعطاه، لأن بلوغ الكمال محال، ولأن النفس البشرية، مهما ارتقت في مدارج النقاء، خليقة بأن تخطئ وإن هي حاولت مباعدة الأخطاء فالعصمة لله. وابن آدم خطاء، والحرص على الزام المحجة البيضاء لا يمنع إنسانا من الانحراف عن سواء السبيل، آونة أو آونات، فيرى في القبيح المليح، ويرى في المليح القبيح، وقد يجئ هذا نتيجة محاولة بريئة لتفهم جديد، أو تبرير وضع طارئ، أو اجتهاد رأي في مشكلة بيئية ثبت على تغير في الظروف والأحوال.. هذا بالإضافة إلى أن الطبيعة الآدمية كما فيها من النور فإن فيها من الظلام.

من السلوك البشري.. وإن اختلف باختلاف المواقع والأفراد.. وإن كان وليد تفاعلات نفسية معقدة..

فإنه أيضا على وجه من الوجوه ظاهرة اجتماعية عامة تقوم أساسا على ركيزتين هما: التلقين والتقليد.. ومن هنا فإن قادة الشعوب، ودعاة الإصلاح أو التغيير، يعمدون من خلال هاتين الركيزتين إلى تطور مجتمعاتهم وإعادة صياغتها من جديد. فإذا هم يبثون فيها – بالدعوة المستمرة الدائبة – أما اختاروا لها من آراء، يلقنونها الكبار والصغار. ثم يقننون مرحلة البث بمرحلة التقليد أو تثبيت تلك الآراء في أذهان الناس عن طريق التطبيق العملي، بضروب الأسوة، حملا لهم على الاقتداء والأداء..

وذلك هو ما يحدث بالنسبة لجميع الأديان.. تتنزل رسالات السماء على من يجتبيهم الله من عباده المرسلين، فيخص كل رسول إلى تبليغ من بعث فيهم ويكون

هو نفسه القدوة والمثال.

ولم يعرف التاريخ، فيما إخال هاديا تصدى لإصلاح حال قومه، وأخذهم بمبادئ الإسلام كالإمام..

نعم: يكن مجرد داعية إلى الله، وبينهم كتاب الله ما أيسر رجوعهم إليه لو شاءوا الاهتداء.. ولكنه ترجم الدين إلى أسلوب حياة وإعادة نقله – بعد خلو حياتهم العامة من محمد – إلى حين التطبيق.. وعندما ترنو إلى سعيه في هذا المضمار نكاد نجد جهده امتدادا لجهد الرسول، وعهده امتدادا لعهده عليه الصلاة والسلام.

وليس معنى هذا أن الألى سبقوه إلى حكم الأمة فرطوا في الكتاب، ولكنه يعني أن الدنيا – حين آل إليه الأمر – كانت قد أقبلت على الناس كل الإقبال، " فنسوا حظا مما قد ذكروا به "، وانشغل الأكثرون منهم بالعروض من متاع ومال وجاه حتى لكأنهم آثروا العيش على مظاهر الدين دون اللباب وعلى المقولات دون المعقولات .. واستفاض بهم هذا الانشغال الاستفاضة التي تنذر بجاهلية جديدة توشك أن تستأثر الجميع.. وظن ومن يظنون أن دور الإمام، في تلك الفترة القصيرة التي تولى فيها السلطان – كان مجرد العناية – بتذكير الأمة بأوامر الله ونواهيه، أو الاقتصار على الكشف لها عن أسرار القرآن وخفاياه، إنما هو محض خيال..

ذلك لأن الثابت قطعا أنه أخرج للناس سياسة عامة للإصلاح وإعادة بناء الإنسان، لا تأخذه بالقسور، بل تقوم – قبل أي شئ وكل شئ على جوهر الدين..

رسم فيها خطة شاملة لشئون الداخل والخارج ولاء بها بين الصالح العام ونفع الأفراد. تحسن السير بالأمور كما تحسن قيادة الناس. مطوعا إياها لمقابلة كافة الاحتمالات في تطورات الأحداث، وتغيرات الظروف، وانطلاقة الزمن بالحكمة، وسعة الأفق، ودقة التفكير، وأحكام التقدير مع مرونة المداولة بين مختلف أساليب

المجابهة الكفيلة بكبح ثورة الأزمات، وتفاقم الأخطار، وانحرافات الأنفس ثم يلقاها بأنسب الحلول..

ونكاد نجمل هذه السياسة الشاملة في عبارة قصيرة للإمام يقول:

" الناس إما أخ في الدين أو نظير في الخلق ".

فشعاره إذا هو " مساواة ".

مساواة بين جميع الناس وإن تباينوا في الأديان واختلفوا في العناصر والألوان.

مساواة ميسورة لا تشق على إنسان، معلومة لا تغمض على إنسان. قاصدة بغير تقصير. سمحة بغير مغالاة. نسبية بغير إطلاق. تعيش في الممكن المتاح وأكد هذا مرة ومرات، فكان مما قاله في هذا المجال:

" إنما أنتم إخوان على دين الله، ما فوق بينكم إلا خبث السرائر.. ".

ودين الله هو الإسلام. فالإسلام هو الرسالة الإلهية الوحيدة التي بعث الله بها رسله إلى أقوامهم على فترات، ثم كانت للناس كافة ببعثة محمد خاتم الرسل والأنبياء.

وليست المساواة شعارا يرفع،ولا كلمة تقال، بل هي جهد يبذل،وعمل يعمل، ومفهوم يطبق في المجتمع تطبيقا جادا بلا مفاوتة بين إنسان وإنسان، وبلا ترخص لإنسان دون إنسان..

وإذا كان ثمة من الناس من يمقتك فأحرى بمن يقول بها أن يلتزمها ليتبعه على نهجها كل من عداه، ولتكون هي السلوك العام..

وقد صارح الإمام أمته، منذ ولي الأمر، بأنه هو قائد سيرتهم على هذا الطريق..

ففي يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقين من ذي الحجة عام ولايته، على قول..

أو في الخامس والعشرين من نفس الشهر من السنة الخامسة والثلاثين للهجرة، الموافق الثالث والعشرين من شهر يونيو سنة ستة وخمسين وستمائة للميلاد.. وقف بعد أن تمت له البيعة، يعين المسلمين:

" إنما أنا رجل منكم.. لي ما لكم.. وعلي ما عليكم ".

فلا تفوقة.. لا امتياز له على غيره من الناس..

ولا شك في أنه حين قال قولته هذه لم يأت بجديد. فكلمته هي كلمة الإسلام، ورأيه هو رأي الإسلام.. ودين الله الذي ختم الأديان كان، كما يقضي بوحدة الربوبية الإلهية، يقضي أيضا بوحدة العبودية البشرية، لأن الإسلام دين الفطرة التي فطر الله عليها الناس أجمعين، قبل أن تفسدهم الانحرافات المتسربة إلى النفوس والعقول من خلال طوارئ المعتقدات، والأفكار، وتحكم العادات والتقاليد، وفوارق العنصريات والأجناس، وتباعد حدود الزمان والمكان..

إنه يعيدهم سيرتهم الأولى، على سجيتهم النقية كبدء نشأتهم، مطهرين من الأوزار، خالصين من الشوائب، كأنهم يلدهم من جديد..

هو بهذا يسوي بينهم كافة لأن الفطرة هي العامل الوحيد الذي يشتركون فيه فأساس المقارنة بينهم – على هذا الوضع – ثابت غير قابل للتغير، أو مساواة كاملة، لا سبيل معها إلى المفاضلة والترجيح.

فإذا هم تفاوتوا من بعد، فبمعايير غير هذا المعيار..

هذه حقيقة عصية على الإنكار، بعيدة بعدا مطلقا عن المماراة.. ليس أدل عليها من نأي الإسلام – في دعوته – عن التمحيص، بالاتجاه إلى التعميم..

فالقرآن الكريم كما تؤكد آياته، حين يدعو دعوته الإيمانية لا يخاطب إلا

" الناس " أو " بني آدم " أو " الإنسان " أو " عباد الله ".

لا يختص بها جنسا،ولا عنصرا،ولا قوما،ولا لونا،ولا طائفة،ولا مجتمعا من المجتمعات بالخطاب..

واستقامة السلوك العام في الأمة رهن باستقامة السلوك الخاص لأولئك الذين بيدهم مقادر الأمور.

ومن ثم فقد حرص أمير المؤمنين على أن تظل عينه على تصرفات عماله ورجاله الأدنين الذين يتقدمون الصفوف، خشية أن يميلوا عن " المساواة ".

استجابة لضغوط بيئية، أو نتيجة هوى أو ضعف أو عصبية..

ذلك لأنهم بأوضاعهم تلك هم المؤدبون والمهذبون.

ولأنهم أيضا القوة التي يحتذيها الجمهور..

لذلك يأمر الإمام كل عامل من عماله أن يرعى المساواة لأنها إنصاف لله كما هي إنصاف للناس، فيقول:

" ألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حينما وقع.. ".

ويقول:

" أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك وخاصة أهلك ومن لك هوى فيه من رعيتك. فإنك إلا تفعل تظلم!.. ".

ثم يؤكد وجوب المساواة بين الحاكم والمحكوم فيقول:

" إياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة.. ".

وهو يعلم علم يقين وكما تشير الأمثال في مختلف العصور، أن الثناء إغواء وأن

بطانة الحاكم ومشيريه أقوى عليه تأثيرا، وأدنى إليه حظوة، وأعلم بما يكرهه وبما يرضيه فلا عجب إن استطاعوا – بالملق أو طيب الثناء – أن يقودوه كيف يشاءون..

لذلك حذر عماله مغبة هذا الانقياد، وأمرهم أن يدقق كل في اختيار المشيرين والأعوان:

يقول: " استعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة. ورضهم على ألا يطروك، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو، وتدني من الغرة.. وليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق.. ".

ويطول بي الحديث لو استطردت إلى ما تفصح عنه سيرة أمير المؤمنين من سياسة جهد بها لترويض الناس، وتطويع الأحداث.. يطول بي إلى مدى ما له حدود أو هو جد بعيد.

فلعل الأخ الأستاذ الدكتور نوري جعفر يغفر لي هذا التقصير.

إن بيدي الآن كتابه الجليل: " فلسفة الحكم عند الإمام " الذي أودعه خلاصة قيمة لهذه الفلسفة التي نزت غيرها من فلسفات، وسبقت بمبادئها القويمة كل ما ارتآه الأقدمون والمعاصرون..

وإذا كان الصديق الفاضل السيد مرتضى الرضوي قد شاء لي أن أدبج كلمة تتصدر الكتاب، فالكتاب، في رأيي غني عن التصدير والتقديم بمادته وبجهد مؤلفه، وقدرته الفائقة على الغوص في السيرة العلوية لالتقاط الدرر، باستخلاصها من الأصداف.

على أن يروق لي أن أختم هذه السطور بعبارة موجزة جرت على لسان أمير المؤمنين فإذا هي تتحدى بمضمونها كل ما

استنبط الفلاسفة وذوو الآراء من مبادي الإصلاح حال الشعوب، ومداواة ما تعوزه الطبقية من عدالات.

قال الإمام: " لكل على الوالي بقدر ما يصلحه ".

فهل بغير صلاح الوعية يصلح الولاة؟..

لقد تصارع الناس. وتصارعت الطبقات. وجاءنا صانعوا الفلسفات من أقدم العصور بألوان من المبادئ تحاول الإصلاح وإفادة السلام الاجتماعي على المواطنين، فلم تبلغ أحدث مبادئهم،ولا أكثرها " تقدمية " كما تقول لغة عصرنا الحديث – شأو كلمة الإمام.ولا احتوت مثل ما احتوت عبارته من مضمون.

عبد الفتاح عبد المقصود

الإسكندرية 14 سبتمبر سنة 1978 م

4 – معرجال الفكر في القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

أراني.وأنا أمر بلمح الذهن بعدرأى العين، على صفحات هذا الكتاب: " معرجال الفكر في القاهرة " إنما أمر على " ألبوم " يضم بين غلافيه مجموعة صور لطائفة غير قليلة من حملة الأقلام الأعلام الذين لهم فضل غير منكور في بناء النهضة الفكرية التي تلألأت بأرض مصر طوال ما انقضى من سني هذا القرن العشرين،وأشعت بعض نورها على ما حولها من ديار وأقطار... فما يغيب عن بال منصف أن أي كاتب منهم إنما أضاف سطرا أو عبارة إلى موسوعة المعارف الإنسانية التي تهم هذا الشطر الشرقي من العالم وتشوقه.. أو وضع لبنة في بنائنا الثقافي ترتفع فترا، أو شبرا،وربما قامة بصرحنا الحضاري العربي الذي كان – من مئات السنين – منارة تنير طريق البشرية، نأمل اليوم ونعمل على أن تغدو كسابق عهدها، هادية شماء،

تكشف إشراقة النهار، وتطاول رفعة السماء!.. [1].

* * *

وفي رحلتي إلى القاهرة عام 1976 م سافرت إلى الإسكندرية وقصدت الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود. وحينما كنت في إيران طلب مني المترجم لكتابه:

" الإمام علي بن أبي طالب " باللغة الفارسية وهو الأستاذ السيد محمد مهدي الجعفري أن أدعو الأستاذ عبد الفتاح لزيارة إيران والمشاهد المشرفة فيها والوقوف على الآثار الإسلامية حسب الوقت الذي أراه مناسبا لهذه الزيارة واستجابة لذلك حددت الوقت معه للحركة نحو البلاد الإيرانية في أواخر شهر أكتوبر عام 1976 م حيث يصادف ميلاد الإمام الرضا (عليه السلام)

وهو الإمام الثامن من أئمة أهل البيت الاثني عشر (عليهم السلام) في أوائل شهر نوفمبر والمسلمون في البلاد الإيرانية يحتفلون في كل مكان بهذه المناسبة أروع احتفال، وبالأخص في مدينة مشهد التي تضم ضريحه المقدس فتوى الشوارع تزهو بالأنوار الكهربائية، والناس تتبادل التهاني والأفراح.

وكانت غايتي هو تحديد الوقت لمجيء الأستاذ إلى إيران ومشاهدته هذه الآثار الإسلامية ومشاركته للشعب الإيراني المسلم في أفراحه الدينية، والوطنية حتى أن هذا اليوم يتخذ عيدا رسميا تعطل فيه جميع الدوائر الرسمية.

وقد رحب الأستاذ كثيرا بهذه الدعوة، واستجاب لذلك غير أن السيدة حرمه

---

(1) تقدم النص الكامل - لرأي الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود عن كتابنا هذا مع رجال الفكر في القاهرة - في أوائل المجلد الأول من هذا الكتاب تحت عنوان: آراء حول الكتاب.

– المؤلف –

توجهت إلي قائلة:

لا يمكن أن نتوجه إلى إيران إلا إذا كنت أنت فيها، لأن صلتي بالأستاذ عبد الفتاح – قديمة – تقرب من عشرين عاما.

فاستجبت لرغبة السيدة حرمه وبعد إنهاء أعمالي الثقافية بجمهورية مصر العربية عدت إلى إيران. وبعد أيام من وصولي وردت إلي رسالة من الأستاذ وهذا نصها:

الأخ العزيز السيد مرتضى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فإنني قد سارعت بتكملة المقدمة على عجل وأرجو أن تكون مناسبة [1].

يهمني أن تكتب لي بمجرد وصولكم بسلامة الله، وأود أن تذكرنا في إيران، ولا تنسى أنني أنتظر لقاءكم على أحر من الجمر.

تحياتي لأهل إيران جميعا.

ومني ومن الأسرة لكم وللأسرة أطيب التمنيات.

وإلى اللقاء والسلام.

عبد الفتاح عبد المقصود

---

(1) يشير الأستاذ في رسالته هذه إلى التقديم الذي طلبته منه قبل مدة لكتاب فدك لمؤلفه صاحب السماحة آية الله الفقيد السعيد السيد محمد حسن القزويني كي نصدره به عند طبعه وقد تم بحمد الله طبع الكتاب في مطبعة دار المعلم بالقاهرة عام 1976 م وأعيد طبعه بطريقة الأوفست عام 1977 م.

– المؤلف –

وبعد وصول هذه الرسالة اتصلت بمترجم كتابه إلى اللغة الفارسية وأطلعته على الرسالة وذهبنا معا إلى قطع التذكرة للأستاذ وعائلته من شركة الخطوط الإيرانية في طهران وكلفنا الشركة بإيصال التذاكر إلى الأستاذ بالإسكندرية. وبعد استلامه التذكرة أخبرنا بوصولها إليه فكنت أنا في المطار والمترجم لكتاب الأستاذ، والأستاذ المدرسي خال المترجم، من الساعة العاشرة مساء حتى الساعة الرابعة من صباح الخميس 28 أكتوبر عام 1976 م الموافق 4 من ذي القعدة عام 1396 هجرية.

ومكث الأستاذ في إيران سبعة عشر يوما وفي خلالها اطلع على الآثار الإسلامية واتصل بالأساتذة والعلماء وراجع الفتيا في مدينة قم ومشهد وطهران، وزار ضريح الإمام علي الرضا (عليه السلام) في مدينة مشهد وشاهد الأستاذ ما في هذه المدينة من آثار إسلامية.

والمدن الإيرانية التي شاهدها الأستاذ وألقى فيها محاضرات في المدن التي تنقل فيها وهي:

طهران – قم – مشهد – أصفهان – شيراز – خرمشهر.

وقد أحيط بالتكريم والتقدير البالغ من قبل جميع الطبقات، خاصة العلماء ورجال الفكر والمثقفين.

وألقى محاضرتين في ليلتين في أحد مساجد العاصمة – طهران – وقد انتقد الكتاب والمؤلفين وحمل عليهم لتقصيرهم في نشر مبادئ أهل البيت (عليهم السلام) – على حد تعبيره:

إن رجال الشيعة في عزلة عن المجتمع الإسلامي فإنهم بنو حولهم جدارا، سياجا من الآجر والحديد والأسمنت ولا علم لهم بما يقول عنهم الخصوم فإنهم

مقصرون في أداء رسالة أهل البيت وعليهم تقع المسؤولية.

وعندما قصد الأستاذ مدينة مشهد بخراسان لزيارة الإمام الرضا (عليه السلام) ووصل مطار خراسان استقبل لدى وصوله المطار من قبل ثلة من رجال الدين الأفاضل وأساتذة الجامعة حيث قدموا إليه آيات الترحيب في صالة المطار وبعد تبادل التحيات توجه الأستاذ إلى زيارة المرقد المطهر الذي من أجله تحمل عناء السفر حتى يؤدي مراسم الزيارة، وبعد فراغه من الزيارة توجه نحو " هتل رز " المقر الذي اختير له مدة إقامته بهذا البلد المقدس وبعد مضي ساعات من نزوله " هتل رز " أخذ أساتذة الحوزة العلمية والطلاب الأفاضل يترددون عليه ويرحبون بمقدمه.

وفي صباح اليوم الثاني قصد الأستاذ مع جمع من مرافقيه زيارة صاحب السماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد عبد الله الشيرازي [1] مد ظله العالي – وعندما دخل دار آية الله الشيرازي – كانت الدار مزدحمة بجمع كبير من مختلف الطبقات – رحب صاحب السماحة آية الله الشيرازي بفضيلته وبدأ سماحته بالحديث مع سيادة الأستاذ حول كثير من القضايا العامة والأوضاع والعقائد ومدى تأخر المسلمين وأسباب هذا التأخر والانحطاط والخطوات التي يجب أن تتدارك هذا الانحطاط ومن ثم إلى رفع كيان المسلمين في هذه الظروف العصيبة الراهنة.

وهنا استأذن فضيلة السيد محمد علي نجل آية الله الشيرازي من سماحة السيد

(1) كان مقيما في مدينة النجف الأشرف - العراق وبعد وفاة سماحة آية الله السيد محمد هادي الميلاني الزعيم الديني للشيعة الإمامية في مشهد - خراسان، انتقل سيدنا الشيرازي من النجف الأشرف - العراق وحل محل آية الله الميلاني الفقيد في مدينة مشهد - خراسان - إيران وهو اليوم زعيم الحوزة العلمية في مدينة مشهد المدينة المقدسة وله عدة كتب علمية مطبوعة في الفقه والأصول وله محاضرات بأقلام تلاميذه.

– المؤلف –

والده للحديث مع الأستاذ فقام ورحب بقدوم الضيف الكريم ثم طرح عليه الأسئلة التالية:

1 – ما هي انطباعاتكم عن إيران وعن الشعب الإيراني وكيف وجدتم فيه الوضع الديني؟

الأستاذ: لقد أعجبت بإيران، وبالشعب الإيراني كل الاعجاب حيث رأيت أن الشعب الإيراني شعب مسلم حقا تتجلى فيه حقائق الإسلام وتشع منه أنوار القرآن، رأيت شعبا متمسكا بالقرآن وبالعترة فلم يترك أحدهما ويلزم الثاني بل يأخذ تعاليم القرآن عن طريق أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

والذين يقول في حقهم الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم):

" إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ".

2 – ما رأيكم بالنسبة إلى الشيعة وعقائدهم، وهل ترونهم عبر التاريخ من المسلمين الذين خدموا الإسلام وكافحوا من أجل توعية الشعوب المسلمة وأدوا خدمات نافعة في مختلف الحقول والميادين؟.

الأستاذ: إن في عقيدتي أن الشيعة هم واجهة الإسلام الصحيحة ومرآته الصافية، ومن أراد أن ينظر إلى الإسلام عليه أن ينظر إليه من خلال عقائد الشيعة ومن خلال أعمالهم، والتاريخ خير شاهد على ما قدمه الشيعة من الخدمات الكبيرة في ميادين الدفاع عن العقيدة الإسلامية. وإن علماء الشيعة الأفاضل هم الذين لعبوا أدوارا لم يلعبها غيرهم في الميادين المختلفة فكافحوا وناضلوا وقدموا أكبر التضحيات من أجل إعلاء الإسلام، ونشر تعاليمه القيمة وتوعية الناس وسوقهم إلى

القرآن منشأ السعادة الأبدية، ولو أن لغير الشيعة من المسلمين معشار ما للشيعة لكنا نرى كيف كانت ترفرف راية الإسلام على شرق الأرض وغربها، على العرب والعجم، والأبيض والأسود.

3 – فضيلة الأستاذ رغم أن الوقت ضيق إلا أنني أستأذن من سماحة سيدي الوالد وأقدم لكم السؤال الثالث وهو:

ما هو وضع الشيعة في مصر وهل لهم مكانة تتناسب وشأنهم؟ وهل لهم مركز ديني وثقافي؟.

الأستاذ: إن الشيعة في مصر لا مظهر لهم، وليسوا بتلك الكثرة الجالبة للنظر بل عددهم قليل جدا وقد يكونوا خارج القاهرة.

أما في نفس القاهرة فلا يتردد اسم الشيعي بكثير، وفي مختلف الأوساط بل قد يكون ذكرهم في محافل خاصة.

وإن الشعب المصري قد لا يعلم عن الشيعة شيئا وقد لا يفهم معنى الشيعة ومفهومها إلا القليل ممن امتحن الله قلبه بالإيمان وليس لهم مركز ديني وثقافي بالشكل الذي يناسب وشأنهم علما بأن المراكز الثقافية والعلمية في مصر تعود لهم من سابق الزمن فالأزهر الشريف أسسته الدولة الفاطمية وكثير من المساجد المهمة أنشأتها الدولة الفاطمية إلا أن الظروف السياسية آنذاك فرقت جمع الشيعة وشتت شملهم ونزعت من أيديهم ما كان لهم.

فضيلة الأستاذ: كنا نسمع بأن الشعب المصري يود أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين كثيرا ولقد رأيت خلال سفري إلى القاهرة في العام الماضي [1] أنهم كثيرا يتظاهرون بتمسكهم بحب أهل البيت وولائهم ويؤدون مراسم الزيارة لمقام الإمام

(1) يقصد بالعام الماضي عام 1975 م.

الحسين وللسيدة زينب وللسيدة نفيسة، وللسيدة أم كلثوم بالشكل الذي نؤدي نحن مراسم الزيارة للعتبات المقدسة للأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين فما هذا التظاهر بالحب والمودة؟! وما هذا الابتعاد عن مذهب أهل البيت؟! وما هذا النكران لمذهب أهل البيت؟ حتى أنني رأيت بعض الشباب الجامعيين، وبعض الأساتذة الجامعيين، رأيتهم لا يفهمون عن الشيعة والتشيع أي شئ؟!

لماذا مثل هذا الوضع يسود عندكم، وأنتم أرباب الفضل والفضيلة، وأصحاب الأقلام والألسنة الحرة!!

الأستاذ: أولا إنك قلت: إن الشعب المصري يتظاهر بحبه لأهل البيت وهذا ليس بصحيح وإنما يظهر، وفرق بين الإظهار والتظاهر.

فالتظاهر هو الإظهار دون الواقعية.

أما الشعب المصري فيحب أهل البيت واقعا، ويودهم حقا.

والجواب عن أصل السؤال: أن التبعة في هذا الابتعاد وفي هذا النوع من النكران تقع على عاتق أصحاب السماحة: العلماء الأعلام، ورجال الدين الأفاضل فإن واجبهم أن يبعثوا إلى مصر من يبين لهم الحق والحقيقة ويهديهم إلى الصواط، فإذا لم

يهتدوا ولم يقبلوا الحق يحتج عليهم.

والقرآن الكريم يقول: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الإسراء: 15.

فهل بعثتم الرسل إلى مصر حتى تحتجوا على أهلها؟

وهل أسستم مراكز ثقافية يتثقف فيها أبناء مصر بالثقافة الشيعية التي هي ثقافة أهل البيت وثقافة القرآن؟

إن عليكم علماء هذه الأمة، وقادتها أن توجهوا شطرا من طاقاتكم المعنوية نحو مصر وأبنائها الذين يشكلون عددا كبيرا من المسلمين وحينذاك ترون فيهم الثمر

اليانع، والأثر الطيب.

س: إذن ما هو الطريق لبث عقائد الشيعة التي هي العقائد الإسلامية السليمة من كل شائبة في صفوف أبناء مصر؟ ومن الذي يلتزم هذا الموضوع؟

ج: الذي أراه هو أن نعين معلمين يتكفلون تدريس المذهب الجعفري في المدارس سواء فيها: الابتدائية، والمراحل الأخرى التعليمية حتى تنغرس الأمور في أذهانهم وبهذه الطريقة يمكننا أن نقوم بخدمة دينية كبيرة في نطاق واسع جدا!

وبأسرع وقت ممكن ومن ثم يؤسس مركز ثقافي يكون وجها للشيعة في القاهرة وضواحيها يتردد عليه المسلمون من كل صوب وحدب.

ولما أن بلغ الكلام إلى هنا حان وقت رحيل الضيف الكريم فقدم إليه سماحة آية الله العظمى الشيرازي خاتما ثمينا هدية شخصية كما أنه أهدى إليه مجموعة كبيرة من الكتب المختلفة ودعا سماحته لفضيلة الأستاذ بالموفقية التامة لخدمة الدين والعلم، والعودة إلى إيران في فرصة سعيدة أخرى.

وفي ليلة الجمعة 19 من ذي القعدة الحرام المصادف 12 نوفمبر 1976 م أقمت للأستاذ حفلة في منزلي بطهران دعوت إليها عددا كبيرا من العلماء والشخصيات الأدبية البارزة ورجال الفكر وجرى الحديث حول الوصية، وهل أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى أم لا؟ فقال الأستاذ:

إن هناك وصية من حيث المبدأ سواء ظهرت في إيماءاته، أو سماته التي أعطاها للبعض ولذلك استند الخلفاء إلى هذا المبدأ حيث استند – على حد تعبير الأستاذ – الخليفة الأول في أمر الخلافة إلى الاجتماع بالصلاة وعلى هذا بايعه الخليفة الثاني.

ورى الأستاذ أن التعيينات في أمر الخلافة استندت إلى الاستفادة من ذلك.

ومن أبرز هذه الشواهد قول عثمان حينما خيروه بين الغزل، أو القتل قال: " لن

أخلع ثوبا ألبسنيه الله ".

وأراد الأستاذ أن يستند في رأيه هذا إلى الاستنتاج العقلي ليتخلص من النصوص التي يتعصب لها الطرفان.

ومن رأي الأستاذ: أن المغيرة بن شعبة كان المسبب الأصلي لقتل الإمام الحسين (عليه السلام) فبعد أن ذكر مواقفه النفاقية قال:

مر المغيرة على باب بيت علي، وذلك بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرأى أبا بكر وعمر جالسين على الباب فقال لهما.

أتنتظران " حبل الحبل " ليخرج فتبايعانه؟!

قوما واجعلا من أنفسكما خليفة:

وأضاف الأستاذ أن هذا الموقف من المغيرة هو الذي جر الويلات على أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى آل الأمر إلى قتل الإمام الحسين (عليه السلام).

وسئل الأستاذ هل أن المغيرة كان يعد من الصحابة العدول.

أجاب: إن الصحابي – في رأيي – هو الذي يحفظ الرسول في ذريته وشريعته وبعد هذه الأحاديث وغيرها ألقى الأستاذ " عباس الترجمان " [1] قصيدة أثنى فيها

---

(1) بكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من كلية الفقه النجف الأشرف - العراق ماجستير في اللغة العربية والعلوم القرآنية من جامعة طهران له: ديوان كبير باللغة العربية الفصحى، وديوان باللغة الدارجة العراقية، وديوان شعر باللغة الفارسية " ترجمة رباعيات الخيام شعرا باللهجة العراقية " " الدعاء أسلوب تربوي " " الواو مواردها وأحكامها " " صالح عبد القدوس: حياته - شعره " عبد الله بن معاوية الجعفري حياته - شعره " اللحن في اللغة العربية منذ ظهوره حتى نهاية العصر العباسي ".

ترجم كتبا عن اللغة الفارسية: أهل البيت في آية التطهير، الملكية في الإسلام وغيرهما، وهو الآن مكب على ترجمة المثنوي شعرا.

كثيرا على الأستاذ عبد الفتاح وذكر مواقفه المشرفة، ومؤلفاته التي قل لها نظير، وكان الأستاذ الترجمان قد نظم هذه القصيدة وأعدها لهذا الحفل واستعيدت القصيدة ثلاث مرات ونالت إعجاب الحاضرين جميعا، وكان الأستاذ الترجمان قد حررها في قرطاس ذكر فيه نظمه لهذه القصيدة وتاريخ إلقائها في الحفلة التي أقيمت للأستاذ وهذا نصها:

بسمه تعالى

ألقيت هذه القصيدة في الحفلة التكريمية التي أقامها سماحة السيد مرتضى الرضوي للأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود بمناسبة زيارته لإيران في مساء يوم الجمعة التاسع عشر من ذي القعدة الحرام لعام 1396 هجرية.

حييتك هاتيك المشاعر * من كل حساس وشاعر

ياناصر الحق المضام * بمقول كالسيف باتر

جردت عزمك للجهاد * بوجه دساس مكابر

وجهرت بالحق الصريح * مجردا عن كل ساتر

لم تخش لومة لائم * كلا ولا إنكار ناكر

حتى بدا كالصبح مجلوا * لذي عينين سافر

كشفت " سقيفتك " القناع * عن الأوائل للأواخر

حيتك هاتيك المشاعر * حييت من بطل مثابر

كدست جهدك للحقيقة *رائدا رغم الزواجر

واجهت من إحن الرواسب * قوة تعشى النواظر

ورأيت من جيش التعصب * فيلقا سد المعابر

ووجدت حولك في المحيط * مغاورا لك أو منافر

ونظرت مجتمعا * يخالفك الحقيقة غير عاذر

لم تكترث أبدا بهذا * كله ومضيت سائر

نحو الحقيقة أينما * كانت هناك الحق ظاهر

ولقد تقحمت الموانع * كلها وخرجت ظافر

يا من تخطيت القرون * ولم تخف خطر الكواسر

ووهبت عمرك للحقيقة * لا تريد جزاء شاكر

وطلعت منصور الإرادة * ظافرا، للحق ناصر

وعرفت أن الحق محجوب *ولا يبدو لناظر

إلا إذا زال الحجاب * بدا لكل ذوي البصاير

فذهبت تكشفه بنفسك * – غير هياب – مخاطر

حتى بدا، وعرفته * مع حيدر الكرار سائر

سجلت هذا الانتصار * بسفر تحقيق مجاهر

كرسته باسم " الإمام * علي " للنش ء المعاصر

ولكل نش ء بعده * ذكرا مدى الأجيال عاطر

يا من أتيت لإخوة * تواقة للقاك زائر

هاذي قلوب العارفين * أتت تبادلك المشاعر

نظراتها ضمتك من * فرط اشتياق في المحاجر

وافتك تمخر في عباب * من سنا التقدير زاخر

جاءتك والأجيال تأتي * خلفها من غير آخر

توليك من حسن الثناء * بكل معطار وزاهر

خذها تحية أمة * ما كللت إلا المفاخر

حيتك مأثرة محببة * تضم إلى المآثر

حيتك هاتيك المشاعر * من كل حساس وشاعر

عباس الترجمان / طهران

وكان من جملة المدعوين الذين حضروا الحفلة التي أقمتها بمترلي في ليلة 26 ذي القعدة الحرام 1396 هـ – تكريما للأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود –: الأخ الفاضل الشيخ محمد الخاقاني نجل صاحب السماحة العلامة الكبير الشيخ سلمان الخاقاني وقبل تناول طعام العشاء بساعة اتصل الشيخ محمد بسماحة والده في مدينة خرمشهر وأخوه بحضور الأستاذ عبد الفتاح فطلب صاحب السماحة الشيخ الخاقاني حضور الأستاذ عبد الفتاح إلى مدينة خرمشهر – إيران – لإقامة حفلة تكريم له في تلك المدينة فلبى الأستاذ هذا الطلب وغادر طهران في اليوم الثاني قاصدا مدينة خرمشهر وقد طبعت الكلمات والقصائد التي ألقيت في تلك الحفلة [1] وقد اخترنا منها قصيدة للأستاذ الشيخ حسين الطرفي وكلمة للأستاذ الخطيب الشيخ باقر المقدسي، وكلمة عبد الفتاح عبد المقصود التي ألقاها في ذلك الحفل وإليك ما يلي:

ويا أخا الصدق وافتنا ركائبه

للشيخ حسين الطرفي

اشدد بكفك كفا تروي الذهبا * تزجو عطاء واع يسكب الأدبا

يثري الأديب ولم يعبأ بثروته * من لا يرى عنده مالا ولا نشبا

وما درى إن من أدنى مواهبه * أن الزمامير تستجديه والكتبا

يستوكفان نداه فهو من كرم * أجل ما ابتغياه دون ما وهبا

فما النضار مذاباراق منظره * ولا سبائكه كالحبر منسكبا

والجيد قلد بالعقيان مزدهيا * أقل زهوي من القرطاس مكتتبا

(1) قد جمع الكلمات والقصائد التي ألقيت في الحفل فضيلة الأستاذ الشيخ محمد رضا الأنصاري أيده الله تعالى وطبعت باسم " في تكريم الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود " ونشرها نادي الخاقاني بمدينة خرمشهر برقم (12).

– المؤلف –

وما بنان بكف الخود مختضب * مثل الوراع أصاب الحبر فاختضبا

ورب قائلة ما الناس مؤمنة * بما تقول: فهل نجم الأديب خبا

فقلت: لم يخب لكن كان محتجبا * فالناس في ظلة مذ عنهم حجبا

واليوم آن له إشواقه فغدا * يغزو الدياجي وفيها ينثر الشهبا

أبا النجوم، وما أزكاه من نسب * وهل سوى البدر يدعى للنجوم أبا

البدر أنت، وهذا الحفل هالته * وما النجوم سوانا معشر الأدبا

خفت بنا في سماء الشعر أجنحة * لولاك كانت قداما ريشها زغبا

ويا أخا الصدق وافتنا ركائبه * وما سوى الحزم في هذا السوى ركبا

يممت منا رحابا نستريح لها * فألق عنك عصا التسيار والتعبا

وردتنا، فوردنا منك منتهلا * يروي ظمآنا. ولم يترك بنا سغبا

على ضفاف خضم زاخر وقفت * بنا الركائب تثني عنده الركبا

إذا لقيناك فانهلت مواهبنا * وورد البحر لا يستمطر السحبا

لقياك ذي، سوف نحيي ذكرها فعسى * نقوم بالبعض من حق لها وجبا

فتوع للذكرى نرددها * ومن نمير نداها نطفي اللهبا

نقيم برهان حب للوصي بها * من ادعاه، ولم يحفل بها كذبا

نحث خيل الهوى والحب منطلق * لمدعيه فمن لم يعتنقه كبا

إنا لقوم وجدنا فيك بغيتنا * وهل يريد امرئ غير الذي طلبا

ففي الإمام " علي " كنت ذا قلم * جرى. فما شط في قول ولا نكبا

صقلت من مقول سيفا نصرت به * في موضع لست فيه تحمد القضبا

علقت فيه فؤادا ملئه ثقة * أن الولاء سيضحى للنجا سببا

فلست تهوى الهوى لولاه منتجعا * ولست تحمد – إلا نحوه – الهربا

وما اعتززت بشئ قد نسبت له * إلا بأنك ممن للولاء نسبا

فلا تخاف على نفس كخيفتها * من أن يكون سواها في الهوى غلبا

الشيخ باقر المقدسي يلقي كلمته [1]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سادتي العلماء.

أستاذي الأكرم عبد الفتاح عبد المقصود.

إخواني الأدباء وأهل الفضل والفضيلة.

أقدم تحياتي الحارة في هذا النادي أو المنتدى أو المدرسة العلمية والأدبية بين يدي سماحة العلماء حفظهم الله.

الحديث يجري اليوم عن مصر. والحديث يجري اليوم عن العلم والعلماء، وعن الكتاب والباحثين.. وموضوع النادي وما يدور حوله موضوع الاحتفال والاحتفاء بمقدم عالم من علماء الإسلام، وكاتب من كبار كتاب الحق ورائدي الواقع. ونحن نقول: أننا منذ أن تعلمنا القراءة أخذنا نقرأ الكتب الكثيرة، ونحن في عقيدتنا وفي طريقتنا، لا نبقى على كتاب واحد جامدين، ولا على كتب جماعتنا.

وإنما نتوخى الكتب التي كتبت عن الإسلام وعن المسلمين وعن الحق أينما كتبت وبأي قلم التي كتبت. من هنا ترى مكتباتنا بصورة عامة مليئة بكتب الشرق والغرب، وخصوصا بكتب إخواننا السنة، وقلما تجد مكتبة شيعية إلا وتضاهيها الكتب الموجودة فيها من كتب علماء إخواننا السنة لأننا نعتقد أن الإسلام لم يقم على

---

(1) مع أن كلمته كانت ارتجالية، ولكنها أعجبت الجمهور كما أعجبت المحتفى به لتعدد المواضيع التي تطرق لها وأشبعها بحثا. وقد سقط منها بعض المواضيع التي لم تسجلها المسجلة فذهبت من المقال ونحن نأسف لذلك. والشيخ باقر المقدسي خطيب بارع وشاعر وأديب لامع تلقى الخطابة من أساتذة معروفين في عالم الخطابة في مدينة النجف الأشرف - العراق إضافة إلى دراسته الدينية في مدينة النجف الأشرف وهو خريج كلية الفقه بمعدل ليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

– المؤلف –

الشيعة فقط. وإنما قام على جميع علماء الإسلام ومفكريها، ولكل واحد منهم دور في أداء الحق ودفع عجلة الواقع، والإسلام إلى الأمام، وإن اختلفت بعض الآراء وبعض الاتجاهات. ولكن مع الأسف، الذي أخبرنا عنه من قبل مجموعة كبيرة من العلماء الذين مضوا إلى المغرب ومضوا إلى مصر، ومضوا إلى تونس أو إلى بعض البلاد العربية الأخرى التي طابعها الطابع السني، ما وجدوا من الكتب الشيعية في مكتباتهم إلا الشئ القليل. وإن البعض من علماء المغرب مثلا، كان يحدث المرحوم حجة الإسلام الشيخ محمد رضا المظفر (رحمه الله)، عندما مضى إلى هناك، فيقول له: ليس عندنا من فقه الشيعة شئ إلا كتاب واحد حصلت عليه من مكتبة باريس. هل هذا هو الحق؟ أن يبقى الإنسان جامدا على كتاب جماعته وعلماء الإسلام شيئا؟. ولماذا هذا الاقتصار على هذه الجهة؟ أو بالعلم المخصوص على مذهب واحد، أو على اتجاه واحد. وهل رائد الإنسان إلا الحق؟

ثم أخذنا نقرأ كتبا كثيرة ظهرت في مصر. لأن مصر وخصوصا جامعة الأزهر وجامع الأزهر من أركان الإسلام، من جملة الحوزات العلمية التي أدت ما عليها إلى حد كبير من نشر الإسلام والدفاع عنه. خصوصا في أوروبا وآسيا القارة السوداء.

بالإضافة إلى ما قامت به حوزة النجف الأشرف، وحوزة قم المقدسة، والحوزات العلمية الإسلامية الأخرى.

أخذنا نقرأ الكتب، نقرأ الكتب التي صدرت من القاهرة بالذات فوجدنا كتابا ودكاترة، وأدباء، وحملة ماجستير وأمثال ذلك. فقلنا لعل دراساتهم الحديثة خففت فيهم العصبية التي ورثوها من القدماء لكن طلع علينا محمد ثابت [1] وطلع علينا

---

(1) محمد ثابت في رحلته التي كتبها في طريقه إلى العراق وإلى إيران. جاء فيها من الكذب والافتراء ما لا يحصى. وقد رد على بعض افتراءاته، المرحوم عبد الوهاب عزام (رحمه الله)، بالإضافة إلى باقي العلماء.

– المؤلف –

الصفحة 168

أحمد أمين [1] ، وطلع علينا غيرهم بكتب لم نعهدها من قبل. وشتائم لم يشتمها إيانا حتى معاوية. وأخوا ساء ظننا بالكتاب المصريين. وصرنا لا ندري ماذا نقول؟

وكأننا من أولئك الذين آمنوا بالله بحق ولكنهم لم يؤيدوا على فطرتهم وعلى عقيدتهم. والإنسان إذا كان صاحب عقيدة، وعلم عقيدته عن صدق يريد من يساعده علميا، أدبيا، فكريا في عقيدته. ولا يتراجع عن عقيدته إلا بحجة منطقية وليست ثمة من حجة.

لهذا كنا نتوخى الكتب ونتوأها، فتطلع علينا بأشياء جديدة. وجديدة. مثلما كتب محمد حسين الذهبي عن التفسير والمفسرين ثم يقول عن بعض كتب تفسير الشيعة: بأنها مجموعة خرافات وأكاذيب.

أو ما يقوله غيره: عبد الحسيب طه حميدة عن الشيعة.

أو يخرج إنسان آخر في بقعة أخرى إسلامية عربية فيقول: الشيعة لا حياة لهم تحت الشمس. لماذا؟ أخرجنا عن الإسلام نحن؟ من الذي ينتشلنا مما وقعنا فيه؟

ومن يرفع عنا حجب سوء الظن هذا؟ صرنا ولا نستطيع أن نعتمد على كاتب، سواء كان كاتبا أزهريا، أو كاتبا دكتورا حاملا لشهادة لأنه يسير على الوتيرة التي سار عليها الأقدمون. ولكن في الأخير جاد علينا الزمن بمجموعة من الفحول الذين أدوا الحق وقالوا: كلمة الصدق ولم يخشوا من مجتمعهم، ولم يتأثروا برواسبهم وكانوا يتحلون بروح الصبر والشجاعة والإقدام والمرونة إلى حد كبير.. ورائد هؤلاء أولا

(1) أحمد أمين. في كتابه " فجر الإسلام " و " ضحى الإسلام " ولما عوتب على ذلك في زيارته للنجف الأشرف اعتذر بأنه لم يطلع على كتب الشيعة. وهذا عذر أقبح من فعل. وقد كتب - في آخر أيامه - كتابا قال فيه: بالمهم من مقالات الشيعة في الخلافة. ورد عليه الشيخ السبتي.

وقد نشر بالقاهرة عام 1398 هـ عام 1978 م كتاب: " تحت راية الحق " لفضيلة العلامة الجليل الشيخ عبد الله السبيتي صاحب الآثار الخالدة وقدم له الدكتور حامد حفني داود رئيس قسم الأدب العربي بجامعة عين شمس بالقاهرة.

– المؤلف –

الصفحة 169

وآخرا.. رائد هؤلاء والذي سار على وفق طريقته ومنهاجه الآخرون. وفتح لنا باب الخير، المرحوم حجة الإسلام الشيخ محمود شلتوت في فتواه فقد أدى خدمة عظيمة للإسلام لأن الشيعة ركن من أركان الإسلام، ولأنهم مئة مليون. وقد حاول أن يتوخى الحقيقة وأن علت الصرخات في وجهه ولم يبال بها [1] .

وإن كان لا ننسى أو يجب أن لا ننسى الأستاذ محمد حسين هيكل في كتابه:

" حياة محمد " ولكنه بعد ذلك هدد ونزولا عندرغبة المهددين والمغرضين، أو نزولا تحترغبة المغريات والتطميع والتهديد في الطبعات الأخرى، من الطبعة الثانية فما فوق، حرف بعض ما جاء به في الطبعة الأولى من كتابه [2] .

أظهر له الحق بعد حين؟

أم أثرت فيه المغريات والتهديدات؟وإذا كان الإنسان كاتب حق فليقل كلمة الحق مهما كان. وصدق أمير المؤمنين سلام الله عليه عندما يقول: " لا تستوحشوا من طريق الحق لقلة سالكيه ".

ثم طلع علينا الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود فكتب في الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه،وأجاد في كتابته.

إنه كتب عن الإمام سلام الله عليه وما يدور حوله من عقيدة، وموضوع

---

(1) وممن ذكره وسقط ذكره من المسجلة هو: المرحوم الشيخ محمود أبو رية صاحب كتاب:

" أضواء على السنة المحمدية " و " شيخ المضيرة " (*) و " علي وأنوار حياته " فقد أنصف الشيعة وأئمتهم في بعض كتبه المطبوعة وغير المطبوعة.

(*) هذان الكتابان نشرتهما دار المعارف بطبعتها الثالثة بمصر والكتاب الأخير مخطوط ولم يطبع وقد حققه وراجعه أحد الأساتذة اللامعين وسوف يطبع إن شاء الله تعالى.

– المؤلف –

(2) ذكرنا عدد طبعات الكتاب المحرفة بعد الطبعة الأولى من كتاب: " حياة محمد " في حديثنا مع الأستاذ خالد وقد تقدم في المجلد الأول من هذا الكتاب " تحريف صريح في حياة محمد وشرح نهج البلاغة ".

– المؤلف –

الإمامة، ومواضيع تاريخية أخرى التي أصابها الغموض بعد مئات السنين. وكنا نتوخى الحق فيها. وكانت الجبهة السنية أيضا تحاول أن تتطلع على الحق فيها،وأخرجوا كتب هذا الكاتب العظيم لنا الشئ الكثير عن الإمام: أمير المؤمنين وما يحيط به فرحنا لذلك. لأن الأشياء التي جاء بها مدعمة بالأدلة والشواهد العقلية والتاريخية وتأخذ بعنق كل إنسان يريد الحق ليعترف بالحق. ومن هنا نكرمه ونحترمه، لأنه رائد الحق أولا،ولأنه أظهر شجاعة وبطولة ومثابرة، وخرج على محيطه، كما خرج على رواسبه السابقة، رواسب المحيط والمجتمع. وهذا ليس بالأمر السهل على الإنسان من الناحية النفسية أو ما يؤكده علماء النفس.

ثم.. لماذا نحن نحب أمير المؤمنين؟ ونحب من كتب الحق في الإمام وما الذي ينفعنا " علي " اليوم وهو في قبره؟ وقد مرت السنين الطوال على وفاته.

ما الذي نستفيده اليوم نحن من علي سلام الله عليه، حتى نقيم الدنيا ونقعدها مدحا له، وذكرا لفضائله وإشادة بمجده وذكرياته. واحتراما لمن يكتب الحق فيه؟

إننا نحب عليا لأنه " صوت العدالة الإنسانية " كما يقول الأستاذ: جورج جرداق، وإذا كان الإنسان يحب العدالة والسعادة في حياته، ليسعد هو والمجتمع البشري، فيجب عليه أن يحب عليا سلام الله عليه.

إن العدل الذي كان عند علي سلام الله عليه هو الذي جرنا إليه.

إن الإنسانية التي كانت عند الإمام أمير المؤمنين، هي التي أدخلت حبه في قلوبنا.

ولو سار الناس على نهج أمير المؤمنين. ولو استفاد الناس من إصلاحات الإمام أمير المؤمنين، لعاشوا عيشةراضية مرضية. كما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

والله لو وليتموها عليا لوجدتموه هاديا مهديا يحملكم على المحجة البيضاء

والصواط المستقيم [1].

ومهما كان من أمر. إننا نحب أمير المؤمنين سلام الله عليه لأنه لو وليها لكانت الدنيا كلها مسلمة..

أنا لا أقول ذلك من نفسي.. وإنما أقولها عن خبير ألماني.

يقول – بعض أشراف مكة لما مضوا إلى برلين قبل اقتسامها: – التفت إليهم أحد المسؤولين الألمان. فقال لهم: هل لمعاوية صورة عندكم، أو تمثال؟ قالوا لا. ثم قال له:

ما أنت ومعاوية؟ قال: لو وجدنا له صورة لصنعنا له تمثالا من ذهب، ووضعنا التمثال في أكبر ساحة في برلين. فسألوه ولماذا؟ ما أنتم ومعاوية؟ فقال: لو لم يقف معاوية في وجه علي وإصلاحاته، لكانت أوروبا – ومنها ألمانيا – كلها مسلمة اليوم.

ولكن معاوية هو الذي وقف في وجه إصلاحات علي، وهو الذي منع الإسلام أن ينتشر ويكتسح الأديان الأخرى والمذاهب الأخرى.

إذا نحن نحب عليا سلام الله عليه، لأنه رائد الحق، ورائد العدل، و " صوت العدالة الإنسانية ". ومن يحب أمير المؤمنين علي يحب الحق ومن يحب العدل يحب عليا، ومن يريد سعادة الدنيا والآخرة فليحب عليا سلام الله عليه.

ونحن إذا لم نستحصل شيئا من أيام علي سلام الله عليه، فقد استحصلناها نظريا. فجمهورية أفلاطون وإن لم تطبق، لكنها بقيت في المكتبات ويقرؤها الأدباء والعلماء، لأنها أمثولة الخير. وأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إصلاحاته، وأقواله، وحكمياته، وخطواته، وأفكاره، كلها لأجل الإنسانية والخير والعدالة.

ونحن نحب الإنسانية، ونحب العدالة، ونحب كل من يدافع عن الحق والعدل.

(1) كما أكد ذلك الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عندما ترجم أعضاء الشورى قبيل وفاته - بقوله لعلي: ".. أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء ". شرح " نهج البلاغة " لابن أبي الحديد 1 / 186.

إننا نكرم الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود، لأنه وقف وقفةرجل شجاع في وجه التيارات الجارفة التي تؤثر على فكر

الإنسان وتوجد العصبية فيه وتمنعه من النظر إلى الواقع الحق. فخرج على مجتمعه، وخرج على رواسبه السابقة، وقرأ كتب الشيعة وكتب السنة وكتب المستشرقين، عن الإمام أمير المؤمنين، ثم غربلها جميعا، واستخلص منها الخير، واستفاد منها ما هو حري بالاستفادة، ثم كتبها هذه أسطرا في كتابه " الإمام علي (عليه السلام) " فحياه الله ونسأل الله أن يحفظه ويطيل عمره، ويوفقه كاتبا ورائدا للحق. وإنسانا شجاعا يدافع عن الحق أينما وجده. سواء وجده في بيته أو في بيت الآخرين، في مذهبه أو في مذهب الآخرين، في مجتمعه أو مجتمع الآخرين.

فالإنسان الذي يطلب الحق والعدل والنور، يركض وراءه أينما كان ولا يلتفت إلى من قال: أو ماذا قيل في أمره.

إذا الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود، فتح لنا أبوابا جديدة على عالم مصر وعلى العالم السني، وعلى العالم العربي والإسلامي، فصرنا نحن أن نقرأ كثيرا من الكتب التي أسأنا الظن بالنسبة إلى كتابها، وصرنا نستفيد منها أدبيا وتاريخيا وعلميا وأننا نطلب منه أن يكون همزة وصل بين الحوزات العلمية في عالم التشيع والحوزات العلمية الإسلامية في العالم الآخر.

فإذا كان همزة وصل، تمكن أن يوصل صوتنا إليهم، وتمكن أن يوصل أصواتهم إلينا أيضا. وبهذه الطريقة نستطيع أن نتكاتف جميعا لنخدم الإسلام، وخصوصا في عصرنا الحاضر خصوصا في أيامنا التي تلاحمت – ضد الإسلام – الكثير من قوى الشر...

ومن لا يحب المحجة البيضاء والصراط المستقيم؟ ومن الذي لا يحب العدالة والخير؟

إن الأزمات والتشنجات والمصائب التي ألمت بالعالم الإسلامي بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى يومنا، كلها لأنه أقصي علي عن الحق ولأنه أبعد عن الخلافة والحكم. فإن كان لبعض أصحاب النبي حق في الخلافة، أو بعض الحق. فللإمام أمير المؤمنين كل الحق.

وهل يضاهيه أحد في علمه، وفي شجاعته، وفي صبره، وفي إقدامه، وفي ورعه، وفي تقواه، وفي أي شئ آخر؟

وأظن اليوم. إنما رفعت الستائر عن حقيقة أمير المؤمنين، لأن العصر عصر الحرية في المبادئ والآراء والفكر. ولأن الديمقراطية – كما يقولون – الديمقراطية الفكرية تؤثر أثرها خصوصا بالنسبة إلى الحكم. فيعرف الناس إن عليا كان أولى من غيره.

ومهما كان فإننا نرحب به أولا وآخرا ونقول:

والأذن تعشق قبل العين أحيانا.

وقد عشقناه من كتابه ومن كتاباته، ومما قاله وكتبه في كتبه، واليوم رأيناه بأم أعيننا والفضل يعود لسماحة حجة الإسلام الشيخ سلمان الخاقاني. إذ سهل لنا الوصول إلى الأستاذ الكريم، والتعرف عليه عن كتب، ثم الاستفادة منه. ونسأل الله تعالى أن يجمع شمل المسلمين بكتابات روادها وعلمائها وكتابها وباحثيها الذين يحملون راية الإصلاح والحق وجمع الكلمة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود

أيها الإخوة الكرام كرم الغيث، الأغوة غوة الحق، القريبون إلى القلب كسويدائه، الأجلاء جلال العلم، أحييكم بتحية الإسلام فأقول:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم.. أتساءل. بأي لسان أستطيع أن أصل إلى مسامعكم؟ وقد سبقني الكثيرون بالنثير المسبوك، وبالنظيم المنضود. فملؤا أسماعكم، ولم يتركوا لي مكانا بها لتسمعوا كلمة مني...

ثم أتساءل أيضا.. كيف لي أن أشكركم وقد سبقوني ببلاغة غمرتني بتقدير لا أستطيع أن أقول: إنني أهل له.

أنا أقل مما قالوا كثيرا، وكثيرا جدا.

أقل من حسن ظنكم في.

أقل من تقديركم لي.

أقل من هذا العطف الذي ألمحه على كل وجه منكم.

أجل: أنا أقل من هذا بكثير وإذا كنتم رأيتم أن تهبوني كلمة تقدير إكراما لحق الإمام علي بن أبي طالب، فكرم الإمام علي قد غمرني غمرا شديدا حتى لا يمكن أن أنكره، أو أقدره.

بفضل الله تعالى قد كتبت عن الإمام.

بفضل الله تعالى حزت منكم هذا التقدير الجميل. ولكنني في الحقيقة لا أستطيع أن أقول: إنني كتبت عن الإمام شيئا يذكر. فالإمام أكبر من أن يتسع له سفر مهما كبر وضخم.

الإمام أكبر من أن يستطيع قلم أن يتناوله بسنه مهما فاض مداده.

الإمام أكبر من أن يصفه ويقدره حق قدره بليغ أو فصيح مهما بلغ من البلاغة ومن الفصاحة.

الإمام – أيها الإخوة – بحر لجي، وما أظنكم تجهلون هذا. وإذا كنت قد استطعت

أن أكتب شيئا رأيتم فيه ما يستحق التقدير، فلقد كتبت وأنا مؤمن تمام الإيمان بما كتبت لا من أجل أن الإمام كان شخصية عظيمة فقط، ولا من أجل أن أرضي هؤلاء الإخوة أو أولئك. وإنما من أجل أن أرضي نفسي، أرضي ضميري. فقد وجدت في الإمام ما لم أجده في إنسان قبل رسول الله، ولا وجدته في إنسان سوى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

الإمام (عليه السلام) كان مجموعة من الفضائل، من المثل العليا، من المكارم من القوة، من الشجاعة، من الولاء للإسلام، من الفناء في الإسلام.

لذلك حينما تناولت الإمام، حاولت – قدر جهدي المتواضع – أن أكتب عنه وأنا أريد أن أظهر منه ناحية واحدة أهم من

التاريخ الذي يعرفه الصغير والكبير أردت أن أظهر منه: أنه الرجل الذي عرف كيف يطبق الإسلام التطبيق الحقيقي في مقتبله بادئا بنفسه قبل غيره، متوخيا في كل سلوك يسلكه خطوات رسول الله عليه الصلوات والسلام.

كان الإمام في سلوكه يترجم الكتاب الكريم، كتاب الله، إلى أسلوب حياة يومية لكل الناس، لكل البشر.

كان لا يهمه أن يتبعه هذا المسلم أو يتبعه الآخر، إنما كان يهمه أن يفضح عما في القرآن من خفايا تستطيع أن تقود البشرية كلها إلى الخير والعدل والحق.

الإمام – أيها الإخوة – شخصية لم تجد بها البشرية قط، باستثناء محمد عليه الصلاة والسلام.

ولا عجب في ذلك. فمن هو الإمام؟

إن ابن رسول الله أخو رسول الله. ابن عم رسول الله. ربيب رسول الله. زوج ابنة رسول الله. والد أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ما من أحد في العالمين وصل إلى هذه المنزلة، وما من أحد يمكن أن يصل إليها.

إني عندما كتبت عن الإمام. لم أظن أن هناك من سوف يترصد لي بكلمة سوء من هنا، أو بكلمة من هناك. فما كتبت وما قلت غير ما اعتقدت أنه الحق. وما وجدت في الأسفار أنه حق، وما دلتني مقارناتي واستقراءاتي على أنه الحق.

فإذا وقف امرؤ من الناس فنالني بسوء، بكلمة سوء، بإشارة سوء بأي شئ من هذا القبيل، فليقل، ولينل كيفما شاء، فذلك لا قيمة له ما دمت أعتقد أن ما كتبته هو الصواب، وإنه لصواب فيما أظن. فبالأمس كنت أتكلم. فخاض بي الحديث في ذكر بعض الصحابة. الأذى الذي نالني في عقيدتي وفي سمعتي كان لأنني تكلمت عن بعض الصحابة في شئ من الصراحة ولم أكن جاوزت في حديثي عنهم ما قالوه هم عن أنفسهم، وما قاله معاصروهم أو ما فعلوه هم بأيديهم.

ومع ذلك: قال قائل: إنني في كتابي عن الإمام تطاولت على مقام أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

من هؤلاء الأصحاب الذين تطاولت عليهم؟

معاوية؟ عمرو بن العاص؟ المغيرة بن شعبة؟ إلى آخر هذا النمط من الناس.

معاوية على سبيل المثال: هل يمكن أن أقول عنه: إلا أنه قد قلب الحق إلى باطل، وقلب الباطل إلى حق واستطاع بهذا أن يجر الناس خلفه أو بعض الناس ليعينوه على باطله.

يدعي: أن الإمام (عليه السلام) قد قتل عثمان، ثم يدعي أنه حرض على قتل عثمان. هل هذا صحيح؟

الحق الذي يعلمه معاوية نفسه أن الإمام كان أكبر من دافع عثمان في محنته.

معاوية نفسه يعلم هذا، ثم يعلم: أنه هو – أي معاوية – بعث قوة من رجال

الشام، وأمرهم أن يقفوا خارج المدينة ولا يتدخلوا في الأمور. إنما ينظروا ما يحدث فإذا انتهت ثورة الأنصار كان بها، وإن قتل عثمان فليس لهم أن يتدخلوا بل عليهم أن يعودوا.

هل كان من الممكن أن أمدح عمرو بن العاص وهو القائل بنفسه، أو الآخذ بقول أحد أولاده، إن أردت الدنيا فكن مع معاوية. وإن أردت الآخرة فكن مع علي. فاختار الدنيا وذهب إلى معاوية.

هل يمكن أن أمدح مثل هذا الشخص؟

هل أقول عن المغيرة الذي كان أول هادم لحق آل بيت رسول الله في الخلافة؟

هل أقول عنه كما يقولون إنه كان داهية أريبا؟ لا بل أقول عنه إنه كان دساسا خسيسا خبيثا.

ومعلوم، إنه بعد وفاة رسول الله – كما جاء في بعض الكتب – مر المغيرة بن شعبة فوجد أبا بكر وعمر جالسين على باب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وسألهم ما تنتظران؟

قالا: ننتظر هذا الرجل ليخرج إلينا فنبايعه – وهما يعنيان عليا – فتهكم وسخر:

وقال: أو تنتظران حبل الحبلة من بني هاشم لتبايعاه؟ وسعوها في قريش لتتسع.

فلفتهما عن حق علي وجعلهما يسعيان في جانب آخر.

كل أولئك – كان يريد من كتب فغمز وآذى وأسوف في الإيذاء – كان يريد مني أن أقول إنهم كانوا رجالا مطهرين لا يأتون الباطل ولا يأتيهم الباطل وما كان لي أن أقول هذا إطلاقا. لا يمكن أن أدعي أن الشمس غير ظاهرة وهي ظاهرة.

ما كان لي أن أدعي ما ليس بحق. ولا هو من حقي أصلا. ولا هو من حقي أن أدعي.

وإذا كان أولئك النفر وأمثالهم قد سموا صحبا لرسول الله فهذا تجاوز مخالف

الحقيقة تماما.

فما هو الصاحب؟

هل صاحبك الذي تلقاه لساعة أو سويعات، ثم تمضيان كل في سبيله؟

هل صاحبك الذي يسكن إلى جوارك شهرا أو سنة أو اثنتين؟

هل صاحبك هو الذي يحادثك، طال الحديث أو قصر؟

هل صاحبك هو الذي يعيش معك في مجتمعك، ولو طالت مدة المعيشة؟

في رأيي. أن الصاحب، صاحبك هو الذي يحفظك في غيابك وفي حضورك.

يحفظك في أهلك. يحفظك في مالك. يحفظك في سرك. يحفظك في كل شئ لك. يقوم مقامك، ويدفع عنك، حضرت أم غبت عنه.

فمن من هؤلاء حفظ رسول الله؟ من حفظه في بنيه؟ في أولاده؟ في أهله؟ في سمعة الإسلام؟ – أي سمعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... – لا أحد على الإطلاق.

ومع ذلك أيها الإخوة. فإنني لا أحب أن أطيل الحديث في مهاجمة. إنما أقول:

إننا في مصر نحب أهل البيت حبا أستطيع أن أصفه بأنه حب غريزي خلق فينا، لا ندري كيف؟... انحدر إلينا في دمائنا على الأجيال المتعاقبة ولا ندري كيف؟ ولكننا نحبهم.

وقد يوجد منا من يسئ غير عامد إلى أهل البيت. لكنه يسئ إما عن جهل وإما عن مسايرة لبعض آراء المستشرقين الذين خرجوا لنا بأفكار تباين الحقيقة الإسلامية ولرجوكم أن تلتمسوا لهم العذر، وأنا ألتمس أيضا لهم العذر لكنني مع ذلك لا ألتمس لكم أنتم العذر.

دعوني أقولها بصراحة. إني – كما سبق أن قلت في مجتمع كهذا المجتمع أشكو

الشيعة إلى الشيعة – أشكوكم إلى أنفسكم.

الأخ تفضل فقال الكثير عن وجود الكتب الشيعية أو السنية – أقصد في مكتبات الشيعة – وعدم وجود الكتب الشيعية في مكتبات السنة.

هذا حق إلى حد كبير. لكن ليس المعول على وجود الكتب في المكتبات المعول على من هؤلاء الذين يقرأون هذه الكتب. فلتمتلئ المكتبة السنية بكتب شيعية. من تظنون سيقرأون مثل هذه الكتب العميقة الجادة التي تحتوي الكثير من البحوث والمناقشات. إلا أن يكون القارئ عالما من العلماء، باحثا من البحاث، يريد أن يصل إلى شئ ليقارن بينه وبين شئ آخر.

ومع احترامي للعلماء من الطرفين، إلا أنني أقول: العلماء ليسوا الأمة كلها، قد يكونون على رأس الأمة الإسلامية. ولكن ما يبلغ الناس العاديين عن السنة وعن الشيعة ليس بكثير...

أما السنة فكثرتهم أو كثرة توالي الحقب والعصور التي تولوا فيها الحكم في الدول الإسلامية المختلفة قد مكن للمذهب السني في البلاد أو في كثير من البلاد الإسلامية.

الشيعة – كما هو معروف – كانوا مضطهدين في كل الحقب الإسلامية إلا قليلا، حتى من بني عمومتهم بني العباس [1]، كانوا مضطهدين أشد الاضطهاد.

إذا. الذي أريده، والذي أرجوه، أن تكتبوا للرجل العادي المسلم، العادي الذي يشكل تسعة وتسعين في المئة (99 %) من الأمة الإسلامية، تسعة وتسعون في المئة (99 %) إن لم يكن من الأمة الإسلامية فمن السنة والسنة تجهل كثيرا...

إذا كتبتم لهؤلاء: الكتاب الميسر السهل الذي يستطيعون فهمه من الممكن جدا

(1) غرضه: بني عمومة أيمتهم (عليهم السلام).

أن يتبين لأهل السنة حقيقة الشيعة، من الممكن – بعد هذا – أن تمتلئ المكتبات بكتب الشيعة.

فقد كان لي رأي قاطع أحببت أن أسوقه، فسقته لبعض الصحاب وهو أن نبدأ بتنشئة جيل جديد يعرف حقيقة الشيعة من الطفل الصغير، من الصبي، من الشاب.

أن نقدم لهم كتبا ميسرة سهلة نطلعهم على حقيقة الشيعة.

إنكم تعلمون أن كثيرا من السنة لا يجهلون – فقط – كل شئ عنكم بل يتهمونكم اتهامات أنتم منها براء.

يتهمونكم – أحيانا – بالكفر، بالخروج عن الإسلام.. هذا ما يقال، بالخروج عن الإسلام. يتهمونكم – مثلا – بأنكم تقولون: أن الرسالة نزلت خطأ من السماء على محمد وكان مقصودا بها علي. يتهمونكم بأشياء كثيرة جدا وترون في العامة بل منهم من يتهمونكم بأنكم تؤلهون عليا.

سمعت هذا من أناس لا أقول: إنهم: جهلاء. بل أقول: إنهم متعلمون وبعضهم يعتبر من المثقفين.

ماذا عليكم لو بدأتم وكتبتم قصصا سهلة للأطفال الصغار... لا للرجال العظام، أي مشهد من المشاهد التي تعلم الطفل الصغير الذي يقرأ: إن الإسلام واحد، كما هو في السنة هو في الشيعة.

من السهل جدا أن تكتب هذه ومن السهل جدا – في سياق الكلام القصصي والروائي البسيط الذي يغوي الطفل ويستهويه – أن تدس المعلومات المطلوبة عن حقيقة الشيعة.

إني أرجو هذا رجاء منكم لا من أجل نشر المذهب الشيعي، وإنما من أجل التقريب بين المذاهب الإسلامية. بين المذهبين الكبيرين الذين يعتوان جناحي

الإسلام...

إذا تم هذا ففي اعتقادي أنه من الممكن أن يتآخى المسلمون بزيادة اقترابهم بعضهم من بعض، وبهذا يمكن أن يقف الإسلام على قدميه مرة أخرى. ولربما نستطيع أن نستعيد عصر الإمام علي بن أبي طالب الذي اعتبره امتدادا لعصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). والسلام عليكم [1].

* * *

(1) إلى هنا انتهت كلمة الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود التي ألقاها في الحفل الكبير الذي أعده له صديقنا صاحب السماحة فضيلة العلامة الكبير الشيخ سلمان الخاقاني في مدينة خرمشهر - إيران وبها قد تم ما أردنا الكتابة والحديث مع الأستاذ عبد الفتاح.

– المؤلف –

– 28 –

الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف

وكيل كلية أصول الدين بجامعة الأزهر

- ولادته: ولد في ديروط الشريف بصعيد مصر في 15 / 8 / 1906 م.
- تخرج من الأزهر الشريف.
- حاز على درجة الدكتوراه (العالمية) في الأزهر الشريف.
- عين: وكيلا في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف.
- أهم آثاره: " شرح الموطأ للسيوطي " برواية محمد بن الحسن الشيباني و " تدريب الراوي " في جزئين " المختصر في علم رجال أهل الأثر " " التكملة في تواريخ العلماء والنقلة ".
- من الأساتذة المرموقين، ومن ذوي الاختصاص في علم الرجال، ومن المعنيين بشؤون الحديث.

- توفي في 2 / 5 / 1970 ودفن في ديروط الشريف في وجه قبلي صعيد مصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرفت إلى هذا الأستاذ بواسطة الأستاذ شيخ محمد عبد المنعم خفاجي وفي أحد الأيام ذهبت برفقة الأستاذ خفاجي إلى داره القديمة في شارع اللبودية بدرب الجماميز بحارة عبد الباقي في نفس البناية التي يقيم فيها الأستاذ حسن جاد [1] شاعر الأزهر الشريف والمحقق المعروف. وعندما دخلنا عليه حيانا بأحسن تحية، ورحب بنا كثيرا، وأحضر لنا الشاي، وعمل لنا القهوة وحدثه الأستاذ خفاجي عني وقال له:

إن السيد مرتضى الرضوي من أصدقائنا في النجف الأشرف – العراق وله دار نشر باسم مكتبة النجاح في النجف وطبع كتبا كثيرة وجاء إلى القاهرة لطبع ونشر بعض الكتب الإسلامية المؤيدة لفكرة التقريب بين الشيعة والسنة، – فأيد فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف هذه الفكرة وشكرني كثيرا على هذا الشعور ودعا لي بالخير.

وصرت أتردد إليه في كثير من الأيام التي قضيتها في القاهرة.

وفي بعض زياراتي له في داره كنت ألتقي بالأستاذ الكبير، والشاعر العبقري.

والكاتب الألمعي الأستاذ حسن جاد حسن وكان الحديث الذي يدور بيننا هو مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية لدعم قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا).

وفي أحد الأيام كنت خارجا من دار الكتب المصرية ماشيا على قدمي قاصدا زيارة ضريح السيدة زينب بنت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإذا بي

(1) تقدم في محادثاتنا معه برقم 10 في القسم الأول من هذا الكتاب.

مررت على صيدلية (أخوا خانه) الملطوي قرب ميدان السيدة زينب سلام الله عليها وصاحبها هو الدكتور محمود الملطوي وهو رجل فاضل وطيب يتحلى بأخلاق إسلامية، وآداب سامية، وإذا بالأخ الأستاذ حسن جاد والأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف وغيرهما مجتمعين في الصيدلية (الاخوا خانه) وبيدهم أحد مؤلفات العلامة الكبير الأستاذ أحمد خوي بيك [1] وفيه أرجوزة يذكر فيها مساوئ معاوية بن أبي سفيان [2] ولما دخلت الصيدلية (الاخوا خانه) وسلمت قام الجميع ورحبوا بي كثيرا، وأحضروا لي كرسيا للجلوس وعند ذلك طلبت منهم إكمال الأرجوزة.

وذهبت مرة إلى داره الجديدة بشبرا [3] وأهديته " تفسير القرآن " للسيد عبد الله شبر الذي نشرته في القاهرة عام 1385 هـ 1965 م و " مصادر نهج البلاغة وأسانيده " بقلم العلامة المحقق السيد عبد الزهراء الخطيب وكان الدكتور حامد حفني داود قد كتب عنه كلمة رائعة نشرت في أوله فقرأ سيادته الكلمة بدقة وأعجب بها وأخذ يطالع التفسير بإمعان وتدبر فسر كثيرا وشكرني على هذا الإهداء.

وفي إحدى زيلاتي للأستاذ بدلره الجديدة بشوا قال:

هل للسيد مير داماد تأليف غير كتاب " القبسات " وكتابه هذا عظيم جدا وهو رجل عالم وكتابه في غاية الدقة والمتانة ولا أدري، لماذا أنتم الشيعة لا تهتمون في نشر مؤلفاته، وإحياء آثاره [4].

---

(1) تقدم ذكره في محادثاتنا معه في رقم 15 من هذا الكتاب.

(2) تقدم ذكر الأرجوزة هذه في محادثاتنا مع الأستاذ أحمد خيري باشا في القسم الأول من هذا الكتاب.

(3) شارع القرعة الولاقية – شارع المحمودي 27 الدور الثالث.

(4) من مؤلفاته: في الحكمة " القبسات " و " الصراط المستقيم " و " الحبل المتين " وفي الفقه " شارع النجاة " وله حواشي على " الكافي " في الفقه و " الصحيفة الكاملة " وغير ذلك توفي:

سنة إحدى وأربعين بعد الألف.

أنظر " سلافة العصر " ص 478 طبعة مصر، " روضات الجنات " 2 / 65.

وقدم لي كتابين هما:

1 – المختصر في علم رجال الأثر من أهل السنة والشيعة الإمامية والزيدية.

2 – التكملة في تواريخ العلماء والنقلة من أهل السنة والشيعة الإمامية والزيدية وكتب عليهما الإهداء تذكارا لهذه الصداقة.

وكان قد كتب فضيلته قبل أعوام بطلب مني كلمة عن " وسائل الشيعة ومستدركاتها " عبر فيها عن رأيه حول هذه الموسوعة الفقهية الخالدة وهذا نصها:

وسائل الشيعة

الشيعة والفقه الإسلامي [1]:

إختلفت مصادر الفقه الإسلامي وأصبح للشيعة أصول خاصة من تفسير أئمتهم لكتاب الله ومن السنة المتصلة برجالهم لأنهم الموثقون وعلى أخبار أئمتهم وتأويلها متولة الوحي لعصمتهم، وانقطعوا عن النظر في أخبار أهل السنة وقواعد استنباطهم في فقه آل البيت ما يكفل للمستفيد حاجته من الأحكام وشمولها لكل شئونه مع ورع وأدب منقول عن أئمتهم الذين لم تظهر منهم عصبية ولا إسراف.

وتجدون لعلمائهم اليد والفكرة الصائبة في كثير من الأحكام التي تتحقق بها مقاصد الشريعة وإن كانت لا تخضع كثيرا لقوانين الاستنباط عند أهل السنة.

---

(1) قد طبعت في أوائل المجلد الثاني من كتاب " وسائل الشيعة ومستدركاتها " في الطبعة الأولى بمطبعة دار العهد الجديد للطباعة لكامل مصباح في ص 10 و 11 تحت عنوان: آراء العلماء والكتاب حول الكتاب.

ومن مؤلفاتهم التي تتجلى فيها تلك الحقايق كتاب "وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة " فإنه جامع لشتات المسائل من هذا الفن ومؤلفه: الحر العاملي ممن جمع الفقاهة وإجادة التأليف – وقد كمل الانتفاع به بانضمام مستدركه " مستدرك الوسائل " للميرزا حسين النوري فإنه أرجع أحكامه إلى الأصول، وأفسح المنهاج به للمتعلمين والعاملين.

ومع ذلك فالخلاف في الفروع ليس بالشئ الكثير فمن قرأ كتاب: الإنتصار للسيد المرتضى علم أنه ما اختلف فيه الشيعة وأهل السنة من الأحكام قليل واختلاف الرأي بين العلماء لا يصح أن يكون سببا مانعا من العلم بأسرار الاستنباط، والوقوف على وجهات الأنظار في التخريج والاعتبار وليس هو كذلك مباعدا بين العلماء، ولا موسعا بهوة الخلاف.

فإن أهل السنة فيهم المذاهب الفقهية المتعددة ولكنهم يستفيدون ملكة الفقه بالاطلاع على الكتب التي تختص بعلم الخلاف والفقه المقارن.

وليس أضر على الدين من العصبية. ولا أشد فتكا بالعقول، والرجال من سوء الظن والأنانية.

فالفقه الإسلامي لكل المكلفين شريعة واحدة يتعبد بها أهل الأمصار على اختلاف الأنظار فيما حبذا لو تبادل الشيعة وأهل السنة ما عندهم من العلم حتى إذا امتزج البحران ظهر منهما اللؤلؤ والمرجان.

نسأل الله أن يجمع الشتات. وأن يخلص لنا النيات. وأن يوحد الكلمة ويجمع القلوب إنه على ما يشاء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه آمين.

القاهرة في: 15 من جمادى الآخرة سنة 1377 هـ

كتبه عبد الوهاب عبد اللطيف

المدرس في كلية الشريعة بالأزهر من يناير سنة 1958 م.

– 29 –

الأستاذ الشيخ محمود فرج العقدة

الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

- درس في الأزهر الشريف وتخرج فيه.
- كان أستاذا في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر.
- توفي في القاهرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرفت إلى فضيلته بمعرفة الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي وهذا الأستاذ زميل الأستاذ خفاجي في كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، والتقيت به أكثر من مرة مع الشيخ محمود النواوي المفتش بالأزهر الشريف – وغيره من الأساتذة والعلماء، وقدمت له مطبوعاتنا التي قمنا بطبعها في القاهرة.

وفي أحد الأيام كنت ماشيا مع الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي وكان قد عزم على الرواح إلى منزل الأستاذ الشيخ العقدة، وطلب مني الرواح معه للزيارة فذهبت بصحبته إلى دار الأستاذ ولما دخلنا عليه المنزل رحب بنا فضيلة الشيخ العقدة، وأدخلنا غرفة الاستقبال، وأحضر لنا الشاي وبعده عمل لنا القهوة وجلسنا معه مدة طويلة حتى حان وقت الصلاة – وكنت على وضوء – فطلبت من الأستاذ العقدة أن يحضر لي (مصلى) فجاءني بسجادة صنعت في إيران بسطها تجاه القبلة، وكنت حاملا قطعة من ورق الأشجار طرحتها على (السجادة). فتوجه نحوي الأستاذ العقدة وقال:

لماذا لا تسجد على السجادة؟

قلت: هذه ليست أرضا وعندنا – نحن الشيعة الإمامية – لا يصح السجود إلا على الأرض، أو ما ينبت منها من غير المأكول والملبوس.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا [1].

فقال: يا سبحان الله؟

إن هذه السجادة حينما وصلتني وأردت أن أصلي عليها فجاء الصبي وبال عليها ولم أصل عليها وقد تكرر هذا العمل.

قلت:

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسجد على خمرة [2] ولم يكن ليسجد على الفرش ونحن الشيعة الإمامية أتباعه.

وتعتقد الشيعة الإمامية بوجود الإمام المهدي (عليه السلام) وأن عمره الشريف لغاية هذا العام 1419 هـ يكون 1173 سنة وهو حي يرزق وغائب عن الأبصار يرانا ولا نراه.

وقد ورد في الحديث الشريف أن الخضر (عليه السلام) لا زال حيا.

وهكذا قد اقتضت المصلحة والحكمة الإلهية في امتداد عمر الإمام (عليه السلام) نظير نوح، والخضر (عليهما السلام) ولله سبحانه ما أراد وهو على كل شئ قدير.

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم عن نبيه نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أنه مكث في قومه: ألف سنة إلا خمسين عاما، وأن علماء الفيسيولوجيا في هذا اليوم يؤيدون هذه النظرية ويقولون: بنظرية إمكان أن يعمر الإنسان أطول مدة في هذه الحياة. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

(1) أنظر صحيح البخاري 1 / 13 ط مصر.

(2) أحاديث الخمرة متواترة مشهورة أخرجها الحفاظ في كتب الحديث والفقه كالشيخ في الصحيحين والبيهقي في السنن 3 / 421. وراجع حديثنا مع الدكتورة سعاد ماهر حول أحاديث الخمرة والسجود على التربة الحسينية وسيأتي برقم 35 من هذا الكتاب.

" إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما " [1]. رواه زيد بن أرقم عنه (صلى الله عليه وآله وسلم):

وقد جاء هذا الحديث بلفظ آخر:

وقال الشيخ عبد الجليل قاسم في كتابه: " المنار الهادي " في خصائص شيخنا القاضي ص 177.

قال: أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه):

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي.

وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفونني فيهما ".

فهذا دليل على حفظ أهل البيت وبقاء عترته إلى جنب الكتاب إلى يوم القيامة.

(انتهى).

وقد تبين من هذا الحديث " حديث الثقلين [2] " أن عترته (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تفترق عن

(1) أخرجه ابن الأثير الجزري في " أسد الغابة " 2 / 12 عن زيد بن أرقم وأخرجه النسائي في خصائص أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ص 31 طبعة مطبعة التقدم العلمية بمصر عام 1348 هـ، والحاكم في المستدرك 3 / 109.

(2) حديث الثقلين متواتر أخرجه الحفاظ وأصحاب السنن بعدة طرق في صحاحهم ومسانيدهم وجمع العلامة الكبير المحقق الثبت سماحة المغفور له: السيد مير حامد حسين الهندي اللكهنوي رواة هذا الحديث وطرق أسانيده وأثبته في كتابه الخالد: عبقات الأنوار في أكثر من مجلد وطبع في الهند.

وقد مر ذكر هذا الحديث تحت عنوان حديث الثقلين وعصمة أهل البيت (عليهم السلام) في المجلد الأول من هذا الكتاب ضمن حديثنا مع الدكتور طه حسين فراجعه.

- المؤلف -

الكتاب فما دام للكتاب وجود خالد، فلا بد أيضا أن يكون للعترة وجود خالد حيث أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قرنهما

معا.

ولذا نحن الشيعة الإمامية نعتقد بوجود الإمام المهدي [1] (عليه السلام) وهو: أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري (عليهما السلام) وقد قال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم):

من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية [2].

وأخرج القندوزي الحنفي عن ابن عباس قال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إن الله فتح هذا الدين بعلي وإذا قتل فسد الدين ولا يصلحه إلا المهدي [3].

وروى ابن الطقطقي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول:

لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي... الخ [4].

---

(1) وقد ألف وترجم فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ علي الدواني الخطيب الإيراني الشهير ثلاثة كتب حول الإمام المهدي (عليه السلام) أحدها باسم " مهدي موعود " يحتوي على 1284 صفحة بالقطع الكبير وثانيها باسم: " الموعود الذي ينتظر العالم ظهوره " طبع للمرة الرابعة باللغة الفارسية وثالثها باسم: " علماء السنة والمهدي الموعود " ذكر فيه اعتراف 117 عالما من علماء السنة في القرن الثالث الهجري إلى هذا القرن الحاضر - أي الرابع عشر - بأن المهدي الموعود هو محمد بن الحسن العسكري (عليه السلام) المولود في سامراء عام 255 هـ.

وتقدم تحقيق وتطبيق حديث خلفائي بعدي اثنا عشر على أئمة أهل البيت الاثني عشر (عليهم السلام) بقلم أعلام أهل السنة. في القسم الأول من هذا الكتاب ص 172.

(2) ينابيع المودة 2 / 445 طبعة الأستانة.

(3) راجع الآداب السلطانية للماوردي ص 148.

(4) أخرجه القندوزي الحنفي في الينابيع 2 / 483.

وبعد استعراض هذه النصوص وتوضيح ما تكتنفه من دلالات لا يمكن إنكارها لم ير بدا من التسليم لها، وكأنه لم يسمع بها من ذي قبل.

وبعد هذا كله طلبت من فضيلته أن يقدم لنا كلمة نفتح بها الجزء الثاني من الموسوعة الفقهية الحديثة " وسائل الشيعة ومستدركاتها " فتفضل سيادته مشكورا بهذه الكلمة الخالدة وإليك نصها.

الإسلام دين الوحدة الجامعة [1]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة على من أرسله الله رحمة عامة، وهداية تامة لجميع العالمين: سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد فإن الصورة الجامعة لمشاعرنا معشر المؤمنين، الصادقين بهذا الدين العظيم أنه دين الوحدة الجامعة: في الأصول والفروع، والوسائل والغايات والمشاعر والأفكار. بل والأخلاق والعادات (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له

عابدون).

ذلك بأن الله جمع هذه الأمة على كتاب واحد يسوه للذكر، وأنزله تبيانا لكل شئ وأكمل به الدين، وجعله هدى ورحمة وبشرى للمسلمين، ونعى فيه على أهل الكتاب اختلافهم في الدين بعد أن أنزل عليهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما

---

(1) قد طبعت في أوائل المجلد الثاني من كتاب " وسائل الشيعة ومستدركاتها " في الطبعة الأولى بمطبعة دار العهد الجديدة للطباعة لكامل مصباح في ص 10 و 11 تحت عنوان آراء العلماء والكتاب حول الكتاب.

– المؤلف –

اختلفوا فيه وجعل مزة هذه الأمة وفضيلتها عليهم هو اهتداؤها إلى وجه الحق فيما اختلفوا فيه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

لقد سررت من عهد قريب بإخراج وزارة الأوقاف لكتاب " المختصر النافع "وإن كانت أحكامه ليست في الصحة بسواء، ولا أقول بأن ذلك شعورا اختصصت به هذا الكتاب من كتب الفقه فإن هذا الشعور قد أجده في أي كتاب من كتب المذاهب الأخرى أمام حكم خاص، ولقد أجد من صباحة الحق، وصراحة في حكم من أحكام الشيعة ما لا أجده في حكم لغيرهم من الفقهاء.

ثم سررت أيما سرور حين أهداني " السيد مرتضى الرضوي " صاحب مكتبة النجاح في النجف الأشرف – الجزأين الأولين من كتابي " وسائل الشيعة ومستدركاتها " [1] اللذين بدأ في طبعهما مجتمعين لأكمل نفسي بما أدعو الفقهاء إلى التكمل به، ولأزداد بهما إراكا فيما نحن في أشد الحاجة إلى إراكه، وإني لأرى من قراءتي العاجلة، لبعض مباحثهما في كتاب الطهارة أنهما يمنحان المسلم في فقهه، ودينه ما لا ينبغي له – بوصفه طالبا للحق – أن يغفل عنه، ولا أن يحرم نفسه من

---

(1) قال الأستاذ العقدة بعد مطالعة الجزئين:

لقد ظهر لي بعد أن تيقنت أن أكثر الأحاديث في الصحاح الستة والمسانيد، وكتب الحديث الأخرى عند السنة كلها بل جلها واردة بالمعنى وليست باللفظ – أي أنها غير واردة بلفظ الرسول – وقد رأيت حديثا واحدا ورد ذكره عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه وذكره الرواة بألفاظ متعددة، ومتقاربة، ومختلفة، مع العلم أنه لم يتكرر ذلك الحديث منه صلوات الله عليه.

ولكن عندما أقرأ الحديث في كتب الشيعة المروي عن طريق أهل البيت عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أجد فيه متعة، ولذة والسبب في ذلك أنه ورد بلفظ الرسول (صلى الله عليه وسلم).

الأخذ به، ولا أن يجادل بالهوى والعصبية فيه.

ولعلي حينما يتم طبع هذين السفرين العظيمين اللذين يبلغان فيما رواه لي السيد الناشر عدة مجلدات، وحينما يتاح لي أن أقرأهما أعرف منهما ما ينبغي أن يكتمل به غيره، وما ينبغي أن يكمل بغيره لنخرج للناس – إن قدر لنا وللمسلمين الخير في

هذا العصر المنذر بالأخطار الجسام – بما عسى أن يكون أيسر فيما بعد على أولي النيات الصالحة في التقريب بين مذاهب المسلمين والحمد لله رب العالمين.

محمود فوج العقدة

أستاذ البلاغة والأدب

بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

القاهرة 12 جمادى الآخرة 1377 هـ

2 يناير 1958 م

– 30 –

الأستاذ عبد الله يحيى العلوي

من مشاهير الكتاب في العالم الإسلامي

- ولادته: ولد في ستعاموزه عام 1903 م.
- حصل: على الشهادة العالمية عام 1920 م في الأزهر الشريف.
- لجأ: إلى أندنوسيا عام 1947 م.
- مثل: " الملايو " في المؤتمر الإسلامي المنعقد في كراتشي باكستان عام 1951 م
- انتخب: عضوا في إدارة المجلس التشريعي بسنغافورة، ونائبا لرئيس جمعية الشبان المسلمين بها ورئيسا لجمعية الدعوة الإسلامية وللرابطة الإسلامية.
- هاجر: إلى القاهرة عام 1951 م.
- عين: مستشارا لأعمال سفارة اليمن أكثر من مرة وممثلا لحكومتها في أربعين مؤتمرا دوليا وشعبيا وفي جامعة الدول العربية بالقاهرة.
- انتخب عضوا في هيئة جماعة الكفاح ممثلا عن اليمن.

عين: سفيرا لليمن في أندنوسيا في أواخر عهد سيف الإسلام محمد البدر.

- عين: ممثلا لليمن لدى منظمة الشعوب الآسيوية الإفريقية بعد قيام العهد الجمهوري باليمن.
- حضر: المؤتمرات التي أقامتها المنظمة في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.

- أصدر: مجلة باسم " عكاظ "واشتوك في عدة صحف في سنغافورة كما ساهم في عشرات المقالات الأدبية في صحف القاهرة ومنها: " البلاغ ".
- أهم آثاره: " تقوير سياسي منظوم " عن الاجتماع العادي " 32 " لمجلس الجامعة العربية بالمغرب " تقوير سياسي منظوم " لوحات شعرية في قوالب فكاهية " أنيس منصور " آه منه وآه عليه " أخطاء المنجد " دواوين شعر منها: " المجاج " و " الشجاج " و " أحبها " وغيرها " العربية السعيدة " " منه وإليه " " فضل الكلاب على كثير من لبس الثياب " " الفاسيات " " ندوة شاهي في رحاب أهل البيت " وغيرها مخطوطة ومطبوعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرفت على هذا الأستاذ الكبير في القاهرة في عصر الخميس 23 ذي القعدة الحرام عام 1375 هـ الموافق 27 / 11 / 1975 بواسطة الأخ الأستاذ أحمد ربيع المصري سكرتير عام لجنة نشر المؤلفات التيمورية بالقاهرة وكنت أتردد عليه في اللجنة وفي أحد الأيام كنت في اللجنة إذ قدم لي الأستاذ أحمد ربيع كتاب: " المجاج ":

ففتحته فرأيت قد كتب عليه الإهداء باسمي بعبارة رقيقة فيها صفات لا تنطبق علي ولا أستحقها فحمدت الله تعالى على حسن ظن أستاذنا الكبير فذهبت لزيارته بداره العامرة بالزمالك بمعية الأستاذ أحمد ربيع المصري وتفضل مشكورا بإهدائه لي آثاره وكانت جلسة ممتعة ودارت بيننا أحاديث متنوعة.

وفي صباح الأربعاء 7 / 4 / 1976 اتصل بي الأستاذ أحمد ربيع وقال:

اتصلت بالأستاذ العلوي وعرفته بوصولك القاهرة ويمكننا مقابلته في منزله بالزمالك في غد، الخميس 8 / 4 / 1976 في الساعة السادسة بعد الظهر.

قلت: سأحضر في عصر غد بعد الساعة الخامسة وفعلا حضرت في الموعد المحدد وذهبت بمعيته إلى أستاذنا العلوي.

وفي تمام الساعة السادسة مساء وصلنا داره العامرة وضربنا على الجرس وإذا بأستاذنا الكبير فتح لنا الباب ورحب بنا كثيرا وأدخلنا في صالة الاستقبال وقدم لنا ما يقدم للضيوف ودار الحديث – في هذه الجلسة – عن أشياء كثيرة منها: الوفاء وقلت: إنني تعاملت مع أشخاص كثيرين هنا بمصر ومع الأسف لم أجد من أحدهم وفاء وبعد ذلك فتحت حقيبتي وأخرجت منها كتابي: " معرجال الفكر في القاهرة، وقرأت فيه على الأستاذ العلوي لقائي مع المرحوم أحمد خيري باشا وكان عنده كلب وقلت:

قد وضع العرب للكلب " 70 " اسما تدل على مختلف صفاته وحالاته وقد أعطاه الله تعالى صفات دلت على نبل سريرته فإذا ما وجدت واحدة منها في الإنسان دلت على طهارة نفسه وصفاء ضميره، وطهارة قلبه.

وقلت: بلغني أن بعض المذاهب الإسلامية يجوز أكل لحم الكلب؟! فهل عثرتم على مصدر.

قال: نعم. ثم قام من مجلسه وجاء بكتاب: " الفقه على المذاهب الأربعة "وإذا بالجزيري يقول فيه:

المالكية – لهم في الكلب قولان: قول بالكراهية وقول بالتحريم..

ثم قال الجزيري: ويحرم أكل الخنزير والكلب والميتة – وهي التي زالت حياتها بغير ذبح شرعي – وقال:

في مبحث ما يمنع أكله وما يباح، أو يحل وما لا يحل [1].

وحين قرب وقت الصلاة " صلاة المغرب " قال الأستاذ العلوي:

ما حكم الصلاة في السفر عندكم، الجمع، أو التقصير؟

قلت: المسافر إن نوى الإقامة في بلد يمكث فيه عشرة أيام تجب عليه الصلاة تامة ولا فرق بينه وبين المقيم فيها.

ولو أن المسافر دخل بلدا لأجل عمل له فيه ولا يدري متى يفرغ منه يومين أو أسبوعا أو أقل أو أكثر وحيث أنه لا يمكنه تحديده عليه أن يأتي بالصلاة قصرا لغاية 29 يوما وبعد هذه المدة يتم الصلاة ولو بقي يوما واحدا هذا: ما عندنا نحن الشيعة الإمامية ثم قال الأستاذ:

(1) راجع: الفقه على المذاهب الأربعة: 2 / 5 طبعة مطبعة الحضارة الشرقية بمصر.

الأسف أن الشعب هنا يجهل حقيقة الشيعة ولا يعرف عنها سوى ما صوره له أعداؤه!! وقال:

يا حبذا لو أنكم تفكروا بإصدار مجلة أو نشرة – وتباع بسعر رخيص تعرضوا فيها آراء الشيعة الإمامية ومفاهيمها حيث أن المصريين يجهلون حقيقتها ولا يعرفون عنها سوى ما صورها الأعداء.

وقلت: هل نص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على الخليفة من بعده؟

قال: نعم لقد نص عليها صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله بأحاديث صريحة صحيحة لا غبار عليها ويفهمها من تجرد عن التعصب وبغض الآل، كما نص عليها أيضا العقل السليم.

أما الأحاديث فمنها:

" أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ".

" أنت ولي كل مؤمن بعدي ".

" القرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ".

" من كنت مولاه فعلي مولاه ".

إن هذه الأحاديث فقط، وفقط لمن أمعن في ألفاظها وعمق معانيها لأكبر دليل على استخلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا في قومه حين خرج إلى غزوة تبوك، كما استخلف موسى (عليه السلام) هارون على قومه واستوزره، وأن تشبيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا بهارون من موسى فيه كل الاستدلال على أن يخلفه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وقصة الغدير المعروفة المتواترة وحدها، وحدها فقط صريحة في أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أثبت الولاية لعلي ليكون خليفته. وقد هم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكتب – في مرض

وفاته حين رأى الصحابة (رض) في هرج ومرج – كتابا يحول بينهم وبين الضلال والتفرقة، لولا أن عمر بن الخطاب حال بينه وبين كتابة الكتاب.

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) " من كنت مولاه فعلي مولاه " صريح في أن عليا أصبح منذئذ مولى كل مؤمن ومؤمنة.

أما الدليل العقلي: على أحقية الإمام علي بالخلافة كرم الله وجهه.

فهو أن الخلافة وتولي أمور المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يجدر أن يتولاها إلا من كان نسيج

وحده، وقويع دهره في الشمائل والفضائل، وقد فات أقرانه، وأربى على الأكفاء، وتميز عن النظراء، وترفع عن الأشكال، وانفرد عن مواقف الأشباه، لا تفتح العين على مثله ولا يلقى نظيره، ولا يدرك قرينه، كاملا في دينه، وفي عمله، وفي تقواه، لإعلاء كلمة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ونصرة سيد الأنام (صلى الله عليه وآله وسلم).

وكان أسبق الخلق إلى الإسلام، غير مدافع وأفضلهم وأشجعهم، وأتقاهم غير معارض.

وكل هذه الصفات مستجمعة في الإمام علي الذي ولد مسلما، وأسلم بأمر من الله تبارك وتعالى، وتخرج من مدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وترعرع وشب منذ نعومة أظفاره في رحاب سيد الوجود وإمام المتقين (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان جهاده في سبيل الإسلام فوق كل جهاد، وتقواه فوق كل تقوى، وبطولاته فوق كل بطولات، وإيمانه وزهده فوق كل زهد وإيمان، يصغي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهو يناجي ربه وخالقه فيرتوي من أقواله وعظاته ويعرف الفضيلة من مصدرها، والعرفان من ينبوعه، والإيمان من مقلعه، عرف كل ذاك.

وهو وليد في رحاب إمام المتقين (صلى الله عليه وآله وسلم) وحيث عنى بتربيته، يضعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجره ويضمه إلى صدره، ويكنفه في فراشه، ويمسه جسده الشريف (صلى الله عليه وآله وسلم) ويشمه

عرقه، ويريه نور الوحي.

إن شريط التاريخ حين يمر على العقل السليم، وهو يستعرض كبار الصحابة رضي الله عنهم، وأعمالهم فردا فردا، ويقارن بينه وبين أعمال الإمام علي كرم الله وجهه، وجهوده، وجهاده، ونشأته ومكانته من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلخ، ليحكم دون تردد، بأنه الأجدر بالخلافة، والأحق بها، دون ريب.

أي عقل يا ترى لا يقر أن عليا كرم الله وجهه، أحق بالخلافة، وقد أعطاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الولاية؟ وهو الذي ولد مسلما، وأخلص بالشهادة لله، وسبق إلى الإسلام بدعوة من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)؟.

أي عقل يا ترى لا يقول أن عليا كرم الله وجهه ليس أحق بالخلافة وهو الذي ولد بالكعبة، ولم يسجد لصنم قط، وشارك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أول صلاة صلاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

أي عقل لا يقول: إن عليا أحق بالخلافة وهو الذي كان في حروب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أولها إلى آخرها ما عدا غزوة تبوك حيث استخلفه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على المدينة.

أي عقل لا يقول إن عليا أحق بالخلافة وهو الذي قال فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) " برز الإيمان كله إلى الشرك كله "؟

أي عقل لا يقول: إن عليا أحق بالخلافة وهو الذي لم يدع بيتا في العرب، إلا ترك فيه ناعيا، أو ناعية من أجل: " لا إله إلا الله محمد رسول الله "؟

أي عقل لا يقول: إن عليا أحق بالخلافة، وهو الذي قتل وحده من جيش المشركين في يوم بدر النصف بينما قتل المسلمون بأجمعهم، وأكتعهم، وأبصعهم وأكملهم النصف الآخر؟

أي عقل لا يقول: إن عليا أحق بالخلافة، وهو الذي قال فيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) " أنا مدينة العلم وعلي بابها "؟

أي عقل لا يقول: إن عليا أحق بالخلافة وهو ظهيره، وأخوه في الدنيا والآخرة، وعيبة علمه ووارث حكمته، وسابق الأمة، وصاحب النجوى، وباذل الأموال سرا وعلانية، ووارث الكتاب وذو الأذن الواعية؟

أي عقل لا يؤمن بأحقية علي في الخلافة، وهو أمير المؤمنين، ويعسوب الدين، وزوج البتول وقاتل الفجرة. وصاحب الراية، وسيد العرب؟

أي عقل لا يؤمن بأحقية علي في الخلافة وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب (رض) " لولا علي لهلك عمر "؟

أي عقل لا يؤمن بأحقية الإمام علي في الخلافة، وقد تقدم الشيخان أبو بكر وعمر (رض) إليه يوم غدير خم، وكل منهما يقول: " بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة؟

أي عقل لا يؤمن بأحقية الإمام في الخلافة وهو الذي قال فيه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث طويل: " إن الحق معه حيث دار "؟

إن عليا كرم الله وجهه، هو الأحق بالخلافة، بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لتلكم الصفات المجتمعة فيه، ولا ريب.

ولم تك تصلح إلا له * ولم يك يصلح إلا لها

وتولي أبي بكر الصديق (رض) الخلافة من بعد الرسول، مع وجود الإمام الفاضل ليس دليلا على أفضلية أبي بكر على علي [1].

(1) قال ابن أبي الحديد:

قال النقيب: ومما جرأ عمر على بيعة أبي بكر والعدول عن علي ما كان يسمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم في أمره. وأنكر على الرسول مرارا أمورا... إلى غير ذلك من أمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث، ولو لم يكن إلا إنكاره قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه:

إئتوني بدواة وكتف أكتب لكم ما لا تضلون بعدي.

وقوله ما قال وسكوت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنه.

وأعجب الأشياء أنه قال له ذلك اليوم: حسبنا كتاب الله. فافترق الحاضرون من المسلمين في الدار فبعضهم يقول القول ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبعضهم يقول القول ما قال عمر. فقال رسول الله وقد كثر اللغط، وعلت

الأصوات: قوموا عني، فما ينبغي لنبي أن يكون عنده هذا التنازع فهل بقي للنبوة مزية، أو فضل؟!...

فمن بلغت قوته، وهمته إلى هذا كيف ينكر منه أنه يبايع أبا بكر لمصلحة رآها، ويعدل عن النص.

ومن الذي كان ينكر عليه ذلك، وهو في القول الذي قاله للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في وجهه غير خائف من الأنصار ولا ينكر عليه أحد... وهو أشد من مخالفة النص في الخلافة، وأفظع، وأشنع.

شرح نهج البلاغة: 3 / 117 - 118

وأخرج أبو يعقوب بن شيبة بن الصلت المتوفى سنة 262 هج عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب أنه قال:

لقد صالح نبي الله (صلى الله عليه وسلم) أهل مكة يوم الحديبية على صلح، وأعطاهم شيئا. لو أن نبي الله (صلى الله عليه وسلم) أمر عليا أمرا فصنع الذي صنع نبي الله ما سمعت له ولا أطعت...

مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص 55 ط بيروت تحقيق كمال يوسف الحوت

إنها السياسة في كل زمان ومكان، إنها حصيلة يوم السقيفة، إنها نتاج اختلاف الآراء يوم طلب سيد الوجود (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الحاضرين من أصحابه أن يؤتوه دواة وصحيفة، ليكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده.

ثم قلت: هل تنعقد الخلافة بالنص أم بالإجماع؟

أجاب: لاريب أنه إذا جاء النص بطل ما دونه وهو قاعدة أصولية.

وقلت: مارأيكم في فتح باب الاجتهاد، وما هو السبب في غلقه؟

قال: لقد ظل الاجتهاد مفتوحا منذ الفتح، ومازال عند الإمامية والزيدية ورثة أهل البيت إلى الآن ولم يسد بابه إلا في عصر المنتصر العباسي، وبأمر من عنده ولأمر يجيش في نفسه، ويخشى من تفاعله وأثره على دولته وحكمه. خصوصا عندما اشتد الصراع بين رجالات المذاهب الفقهية في ذلك العصر، وبين فقهاء الرأي وفقهاء الأثر بالأخص.

ومن الأسباب التي حالت دون استمرار الاجتهاد عند أهل السنة انقراض العلم وجمود الفكر، وخمول الذهن، وشلل الرأي، وقد يكون خوف السلطة الحاكمة من استمرار الاجتهاد، وتصدي المجتهد لأوضاعهم، والفتوى ضدهم، عاملا من عوامل غلق باب الاجتهاد وتفشي الجمود الفقهي.

ثم قلت: هل أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) باتباع أحد المذاهب الأربعة، ومارأيكم فيها؟

قال: كيف يأمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) باتباع مذهب معين في زمن لم تكن فيه تلكم المذاهب؟

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون في النوازل إلى الكتاب والسنة، وإلى ما يتمخض لديهم من النظر عند فقد الدليل، وكذلك تابعوهم، فإن لم يجدوا، نظروا إلى ما أجمع عليه الصحابة فإن لم يجدوا اجتهدوا، واختار البعض قول صحابي أو تابعي أو إمام حين يطمئن إلى الدليل ويأنس به، ولا يتعين على المسلم أن يتقيد بتقليد مذهب معين، ولم ينقل عن السلف

الحجز في ذلك، وتقليد أئمة المذاهب الأربعة، وعدم التقيد بتقليد مذهب، أو قول معين أمر جائز، والتلفيق بين أقوال المذاهب لا محذور فيه (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) والالتزام بتقليد إمام أو مذهب معين لم يحدث إلا في القرن الثالث من الهجرة وبعد فناء القرون التي أثنى عليهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن المؤسف أن الحكام في ذلكم العصر والسياسة لعبت دورها في تقييد

الشعب المحكوم عليه بتقيد مذهب معين، تمشيا على مذهب: " الناس على دين ملوكهم ".

على أنه قد تواترت الروايات عن الإمام مالك، أنه حين قال له الرشيد: أنه يريد أن يحمل الناس على مذهبه، نهاه عن ذلك. وكذلك الإمام الشافعي القائل: إذا صح الحديث فهو مذهبي.

وقال أبو حنيفة: لا ينبغي لمن لا يعرف دليلي أن يفتي بكلامي.

وقال أحمد: لا تقلدني ولا تقلدن مالكا ولا غيره.

لقد شوهت الحقائق، واتهم كل فريق الآخر بشتى التهم، ورماه بما ليس فيه وخلط الشيعة بين أهل السنة والنواصب، وخلط أهل السنة بين الشيعة والغلاة منهم. وكانت النتيجة الحتمية هي القطيعة بين مئات الملايين من المسلمين مع الأسف الشديد.

إن هناك ولا ريب خلافات في المذاهب ولكن لم تمس والحمد لله أركان الإسلام على أنها بفضل انتشار الشيعة، وتعرف بعضهم بعضا، وأخذ الحقائق الفقهية والعلمية من مصادرها، وقد وهنت خيوطها وضعفت أسبابها، وكادت تتلاشى في المجتمعين الشيعي والسني، وعرف كل منهم أن ما بين تلكم المذاهب من خلافات لم تمس الجوهر من كل مذهب، ولا تستوجب القطيعة والتكفير رغم تعصب الكثيرين من أهل السنة الذين يجهلون مذهب الإمامية، ويرمون الموبقات مع الأسف – عنهم.

إنها الآراء الجامحة، والأقلام الطائشة، والحكومات الحاكمة، والجهل المتفشي، والتعصب الأعمى، كل ذلك مجتمعة أو بعضها قد فعل فعله في الماضي ومازال عالقا بالأذهان، وضخمه وبالغ فيه. لا عن قصد ولكن عن جهل وعصبية.

وعلى علماء المسلمين، وهم المسئولون أولا أن يعطوا بكل ما أوتوا من قوة

وسلطان للتقريب بين المذاهب، وتبادل الزيارات، وتعرف بعضهم إلى بعض وليزيلوا تلكم الحوائط الثلجية ولا ريب مع الإخلاص في العمل. وإزالة الأتربة عن العقول المتحجرة، وعن القمت، سوف تذوب تدريجيا، ويتم اللقاء بين الطوائف الإسلامية على وجهه الأكمل إن شاء الله.

وسألت الأستاذ عن أبي هريرة وقلت:

ما رأيكم في أبي هريرة، وفي أحاديثه؟

أجاب: رأيي فيه رأي عمر بن الخطاب حين ضربه بالدرة، فلقد قال فيه:

(1)

" أكثرت يا أبا هريرة من الرواية، وأخرى بك أن تكون كاذبا على رسول الله " .

---

(1)

شخصية أبي هريرة

قال الأستاذ الكبير عبد الله يحيى العلوي:

" في كتاب " الأحكام " للآمدي: أنكر الصحابة على أبي هريرة كثرة روايته إلخ ".

ويقول ابن قتيبة: كانت عائشة (رض) أشد الصحابة، والسابقين الأولين إنكارا على أبي هريرة لتطاول الأيام بها وبه.

وكان الإمام علي كرم الله وجهه سيئ الرأي في أبي هريرة وقال عنه:

ألا إنه أكذب الناس. أو قال: " أكذب الأحياء على رسول الله لأبو هريرة ".

وممن اتهم أبا هريرة بالكذب: عمر، وعثمان، وعلي.

ولما قالت عائشة: إنك لتحدث حديثا ما سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم أجابها بجواب لا أدب فيه ولا وقار، إذ قال لها – كما رواه ابن سعد، والبخاري، وابن كثير وغيرهم –:

شغلك عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) المرآة، والمكحلة.

وقد أزعجت كثرة رواية أبي هريرة: عمر بن الخطاب فضربه بالدرة وقال له:

أكثرت يا أبا هريرة من الرواية وأحر بك أن تكون كاذبا على رسول الله ثم هدده، وأوعده إن لم يترك الحديث عن رسول الله فإنه ينفيه إلى بلاده.

وقد ذكر أبو محمد بن حزم أن مسند بقي ابن مخلد الأندلسي قد احتوى في حديث أبي هريرة على: 5274 روى البخاري منها: 446.

وقد استعمل عمر أبا هريرة على البحرين عام 21 ثم بلغه عنه أشياء تخل بأمانة الوالي العادل فعزله، واستدعاه وقال له:

هل علمت من حين أني استخلفتك على البحرين وأنت بلا نعلين.! ثم بلغني أنك ابتعت أفراسا بألف دينار، وستمائة دينار.

وفي رواية عن أبي هريرة نفسه أن عمر قال:

يا عدو الله، وعدو كتابه سرقت مال الله من أين اجتمعت لك عشرة آلاف دينار؟! ".

" تقرير سياسي منظوم " مطبعة دار التأليف بالمالية بالقاهرة.

ثم هدده وأوعده أن يترك الحديث عن رسول الله فإنه ينفيه إلى بلاده.

وقد أخرج ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد، لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس، أو بأرض القردة، وجاء مثل هذا في " البداية والنهاية ".

وقلت: هل زرتم مراقد أهل البيت في العراق، وما هي انطباعاتكم عنها؟

قال: لقد كان لي شرف زيارة تلك البقاع الطاهرة حيث يرقد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا،ولا أقول إلا:

تلك أرض قدست تربتها * واستقر المجد في أبوابها

كيف لا تصبح أسمى مشهد * وبنو خير النبيين بها؟

ثم قلت للأستاذ: هل اجتمعتم بعلماء الشيعة الإمامية المتمسكة بمذهب أهل البيت؟ وما هي انطباعاتكم عنها؟

قال سيادته: لا شك أن علماء الشيعة المتمسكين بمذهب أهل البيت الذين حملوا مشعل شريعة جدهم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) على هدى ونور من الله، وأأسف جد الأسف إذ لم يكن لي حظ التعرف بأولئك الأعلام، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يتيح لي زيارتهم في مدائنهم.

وسألت الأستاذ عن رأيه في الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق وفي فتواه بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية التي أصدرها عام 1959 م.

أجاب: التعبد بمذهب الإمامية لا يحتاج إلى استئذان من شيخ الأزهر أو عالم أزهر حسب أن مذهب الإمام جعفر الصادق، أعلم الناس باختلاف الفقهاء، وأكمل أهل زمانه وأورعهم، وأنصحهم لله.

ملأت آثاره دنيا العرب والإسلام. مذهب اعتصره صاحبه من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن أحاديث جده الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم قلت: ما رأيكم حول التقريب بين المذاهب الإسلامية؟.

قال: الدعوة إلى التقريب بين المذاهب مطلوب من كل مسلم، لكون المسلم أيا كان مذهبه أخوه: يحرم عليه عرضه، ودمه، وماله. والمسلم أخو المسلم، لا يخذله ولا يهجره، ولا يبغضه، والحب في الله، والبغض في الله من الدين.

ومن الأسف الشديد أن أكثر علماء السنة يجهلون حقيقة المذهب الإمامي ويتناقلون دائما عما سمعوه من تقولات حول الشيعة وورثوه جهلا عن آبائهم وأجدادهم، من تفشي زواج المتعة بينهم. وتأليههم للإمام علي، الأمر الذي ليس له وجود بينهم اليوم. رغم أن زواج المتعة [1] لو طبق اليوم لما وصل التفسخ بشباب

---

(1) " تحريف حديث المتعة في صحيح البخاري "

قال السيد الإمام الخوئي، روى هذا الحديث:

كنا نغزو مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وليس معنا نساء، فقلنا له: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل.

ثم قرأ عبد الله: * (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) *.

رواها عن البخاري جماعة من المحدثين، والمفسرين، والفقهاء بهذا النص، ولكن الموجود في صحيح البخاري المتداول الجزء 6 الصفحة 53 يخالف ما ذكره هؤلاء من وجهين:

1 – حذف كلمة: " ابن مسعود " من سند الحديث – وقد ذكره معظمهم – لأنه يقول: بجواز المتعة، حتى لا تكون قرينة على أن المراد بهذه الرواية هو جواز نكاح المتعة وترخيصه ".

2 – حذف كلمة: " إلى أجل " من آخر الرواية، لأنها صريحة في ترخيص نكاح المتعة، كما فهمها الشراح وفسروها، لأن الترخيص في النكاح في هذا المورد لا بد وأن يكون ترخيصا لنكاح المتعة، دون النكاح الدائم، خاصة وأن المقصود من:

" ليس معنا نساء " أي نساؤنا وزوجاتنا، لا مطلق النساء، وإلا لم يكن معنى للترخيص في النكاح في تلك الحالة، ويؤيد ذلك ما ورد في بعض المصادر " ليس لنا نساء ".

ولدلالة هذه الرواية على نكاح المتعة ادعى غير واحد من الفقهاء نسخ هذا الحكم الثابت في هذه الرواية بتحريم نكاح المتعة بعد ذلك بروايات أخرى تفيد تحريمها.

ومع أن ذلك لا يتم لهم لأسباب مرت عليك – عند مناقشة تلك الروايات في آية المتعة – فإن يد التحريف تناولت هذه الرواية فغيرتها عما كانت عليه من الصحة. ألا قاتل الله التحريف، وأهواء المحرفين.!

ومن المحدثين، والمفسرين، والفقهاء الذين رووا الحديث المذكور عن البخاري على وجه الصحة هم:

(ا) البيهقي: في سننه الجزء 7 الصفحة 300 طبعة حيدر آباد.

(ب) السيوطي: في تفسره الجزء 2 الصفحة 307 طبعة الميمنية بمصر.

(ج) الزيلعي: في نصب الراية الجزء 3 الصفحة 180 طبعة دار التأليف بمصر.

(د) ابن تيمية: في المنتقى الجزء 2 الصفحة 517 طبعة الحجازي بمصر.

(هـ) ابن القيم: فيزاد المعاد الجزء 4 الصفحة 8 طبعة محمد علي صبيح بمصر.

(و) القنوجي في الروضة الندية الجزء 3 الصفحة 16 طبعة المنيرية بمصر.

(ز) محمد بن سليمان في جمع الفوائد الجزء 1 الصفحة 589 طبعة دار التأليف بمصر ولهذه الرواية مصادر أخرى وهي:

(ح) مسند أحمد: الجزء 1 الصفحة 430 طبعة مصر 1313.

(ط) تفسير القرطبي: الجزء 5 الصفحة 130 طبعة مصر 1356.

(ى) تفسير ابن كثير: الجزء 2 الصفحة 87 طبعة مصر البابي الحلبي.

(ك) أحكام القرآن: الجزء 2 الصفحة 184 طبعة مصر 1347.

(ل) الاعتبار للحازمي: الصفحة 176 طبعة حيدر آباد.

وهناك مصادر أخرى كصحيح أبي حاتم البستي وغير ذلك من أمهات المصادر.

البيان في تفسير القرآن ص 546 للسيد الإمام الخوئي (قدس سره).

المسلمين إلى ما وصل إليه الآن.

إن علماء السنة كثيرا ما ينسبون إليه الشيعة كافة بما فيهم الإمامية. قولا لغلاة الشيعة أو لفقيه من الإمامية خالف علماءهم جميعا، أو قولا لجاهل لا يفهم عن التشيع شيئا. والشيعة الإمامية أنفسهم لا يقرون به. لأنه قول فرد أفراد خالفهم فيه أكثر فقهاء المذهب نفسه.

وقول مجتهد. أو جماعة من المجتهدين. لا يكون حجة على الآخرين.

ومن الخطأ أن ينسب إلى مذهب الإمامية قول وجد في كتاب عالم منهم.

ومن عرف طريقتهم. وتتبع كلمات علمائهم. تجلت له هذه الحقيقة بأوضح معانيها. وما أحوج علماء الشيعة والسنة اليوم إلى التقارب والتآلف ليعرف بعضهم بعضا على حقيقته. وليقطعوا دابر الساسة الذين فرقوا المسلمين إلى مذاهب.

ثم قمت بعد أن انتهت الجلسة فاستأذنته وانصرفت.

وفي مساء السبت 1 / 5 / 1976 م حضرت لجنة نشر المؤلفات التيمورية لمقابلة الأستاذ أحمد ربيع المصري سكرتير عام اللجنة حيث كنت على موعد معه من قبل وبعد لحظات تناول الأستاذ ربيع التليفون وتحدث مع أستاذنا السيد عبد الله العلوي

وأعلمه بحضوري فتفضل أستاذنا العلوي وكلمني وحددت معه المقابلة في داره العامرة في مساء الاثنين 3 / 5 / 1976 م.

وفي الموعد المحدد توجهت إلى زيارته وصحبت معي كتابين " أصل الشيعة وأصولها " بقلم الإمام كاشف الغطاء النجفي و " تحت راية الحق " للعلامة الكبير الشيخ عبد الله السبيتي العاملي [1].

وطلبت من أستاذنا أن يكتب انطباعاته عنه.

وقلت: لعلنا نوفق للقيام بنشره إن شاء الله، ومد أستاذنا يده وتناول " أصل الشيعة " وصار يتأمله وينظر فيه وقال:

لو يوجد تاجر ثري يطبع من " أصل الشيعة " آلافا من النسخ ويوزعها مجانا لكان أسدى بهذا أكبر خدمة إلى الإسلام لأن الكثير لا يعرفون عن الشيعة أي شئ والتقريب بين المسلمين ضروري في هذا العصر.

وبعد هذا: أثنى سيادته ثناء عاطرا على مؤلفنا " معركة رجال الفكر في القاهرة " وقد سبق أنني قدمته لسيادته في رحلتي السابقة إلى القاهرة وقال:

أي واحد يقرأ كتابك: " معركة رجال الفكر " يجد فيه الملح، والطرائف، والبيانات.

وفي هذه الجلسة المباركة جرى حديث الصلاة بالخفين أو النعلين فعرضت رأي

(1) تحت راية الحق: رد به مؤلفه على ما لفقه أحمد أمين المصري في فجر إسلامه من مفتريات واتهامات ألصقها بالشيعة الإمامية استوحاها من أسياده المستشرقين أعداء الإسلام. جمعها ونشرها بين المسلمين لتفتيت عضدهم خلافا لما أمر الله تعالى به من التمسك والاعتصام حيث قال تعالى: * (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) * فياله من موقف مخز يوم القيامة يوم يعض الظالم على يديه، يوم لا ينفع الندم، وعند ذلك يخسر المبطلون. وطبع تحت راية الحق الطبعة الرابعة منه في القاهرة في: دار التوفيقية للطباعة بالأزهر عام 1398 هـ.

الإمامية بجواز الصلاة في النعل العربي وقلت:

أورد صورا عديدة صاحب كتاب " فتح المتعال " في أوصاف النعال.

وعندنا تصح الصلاة في النعال إذا كان طاهرا وإن كان نجسا مشى به على الأرض وهي تطهر باطن القدم والنعل بالمشي عليها أو المسح بها بشرط أن تزول عين النجاسة إن كانت ويعتبر في الأرض أن تكون يابسة وطاهرة – والنجاسة الحادثة من المشي على الأرض النجسة. ولا فرق في الأرض بين التراب والرمال والحجر. وأن لا يمنع الإبهامين من الرجل حال السجود على الأرض بحيث أن تكون رؤوس الأصابع ظاهرة من النعال لإمكان مباشرتها الأرض.

وأما القير والأسمنت فلا يطلق عليه أرض ولا يطهر باطن القدم والنعل.

وكان النعال العربي في عصر الرسالة لا يستر ظاهر القدم ويمسكه بخيط رفيع وحديث أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مسح على نعليه: لأن المسح ببعض اليد مجز.

ثم قام سيادته وجاء بكتاب: " نفحات القرآن "، وكتاب " الأحاديث القدسية " بجزأيه من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة وتكرم سيادته بإهدائهما لي فأخذتهما شاكرا له هديته الثمينة وانصرفت.

وفي زيارتي للأستاذ العلوي قبل أسبوع كان قد حدثني عن ابن عمه المرحوم العلامة الكبير السيد محمد بن عقيل بن يحيى العلوي صاحب كتاب: " النصائح الكافية لمن يتولى معاوية " إنه اجتمع بالشيخ جمال الدين القاسمي في حفل قد أقيم تكريما لفضيلته عندما زار دمشق وهذا نصه:

بعد الحرب الأولى بسنة سافر ابن عمنا السيد محمد بن عقيل العلوي إلى العراق وإلى دمشق وفي دمشق أقيمت حفلة تكريم لابن عمنا السيد محمد بن عقيل

وحضرها لفيف من الزعماء والعلماء منهم الشيخ جمال الدين القاسمي [1] وفي أثناء الحفل سأل القاسمي لماذا رددت على: " النصائح الكافية " وأنت ممن يعرف ما فيها من أدلة صحيحة، وحجج قوية.

أجاب وكان الخجل قد أخذ منه مأخذه:

إنني أردت من تأليفي ورديّ على " النصائح الكافية " أن ألفت أنظار المسلمين إلى ما في هذا الكتاب من بينات وحقائق.

وقال هذا وهو خجل بأنه يؤلف كتابا وهو غير مؤمن بما فيه.

فأجاب السيد محمد بن عقيل العلوي:

إنما الأعمال بالنيات.

ثم قال أستاذنا العلوي: وفي ذلك الحفل سئل ابن عمنا هل لمعاوية فضل قال:

ليس يعرف لمعاوية أي فضل [2].

---

(1) الشيخ جمال الدين القاسمي من النواصب ومن ألد أعداء الشيعة وخصومهم ومن المناوئين للإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وأهل البيت وكان مقيما بدمشق ويقال له: " علامة الشام " وكان نظيره في القاهرة محب الدين الخطيب يحمل النصب والعداء السافر لأهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عامة ولشيعتهم خاصة أنظر تعليقه على الطبعة الثالثة من العواصم والقواصم المطبوع بالمطبعة السلفية عام 1387 هـ وحدثني عنه العلامة المحقق الشيخ محمد زهري النجار في القاهرة أنه كان حاضرا عنده من الظهر إلى المغرب وجده لم يؤدي الصلاة وكان تاركا لها وقد لقيا حتفهما الشامي، والخطيب.

نعوذ بالله من سوء العاقبة ويومئذ يخسر المبطلون.

(2) قال ابن أبي الحديد:

معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس وأمه هند وقال:

وكانت هند تذكر في مكة بفجور ونقل ابن أبي الحديد عن الزمخشري في ربيع الأبرار وقال:

كان معاوية: يعزى إلى أربعة: إلى مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة وإلى العباس بن عبد المطلب وإلى الصباح مغن كان لعمارة بن الوليد وقد كان أبو سفيان دميما قصيرا.

شرح النهج 1 / 111 الطبعة الأولى بمصر

وقال ابن عبد البر: قال أبو عمر قالوا فلما قتل حمزة (رضي الله عنه) وثبت عليه [هند] فمثلت به، وشقت بطنه، واستخرجت كبده فشوت منه وأكلت.

الإستيعاب بهامش الإصابة: 4 / 426 ط مصر

وذكر الدميري: أن معاوية رأى من الشرفة رجلا مع جاريته فدخل عليها وقال للرجل: ما جرأك على ذلك؟.

فقال الرجل: حلمك يا أمير المؤمنين. فحلم عنه معاوية وتركه.

حياة الحيوان 2 / 230 ط مصر

وقال السيوطي: الديلمي في التاريخ " حديث من خرج يدعو إلى نفسه أو إلى غيره وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فاقتلوه.

تاريخ الخلفاء ص 92 رقم الحديث: 88

وقال سبط ابن الجوزي: وقد سئل جدي أبو الفرج (رحمه الله) فقيل له:

أشهد معاوية بدرا؟ فقال: نعم. ولكن من ذلك الجانب – يعني من جانب الكفار –

تذكرة الخواص: 104

وأخرج نصر بن مزاحم عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود قالا:

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه ".

قال الحسن فما فعلوا،ولا أفلحوا. وقعة ص 216 ط مصر.

وذكر الشيخ محمود أبو رية معاوية وقال: معاوية بن أبي سفيان.

ومعاوية مطعون في دينه وقد كان في الجاهلية زنديقا، وأصبح بعد الإسلام طليقا. "وقد ورث عن أبيه قوته، وقسوته، وكيده، ودهاءه، ومرونته كذلك، ولم تكن أم معاوية بأقل من أبيه تنكرا للإسلام، وبغضا لأهله، وحفيظة عليهم، وهم قد وتروها يوم بدر فثار لها المشركون يوم أحد. ولكن ضغنها لم يهدأ، وحفيظتها لم تسكن، حتى فتحت مكة فأسلمت كارهة كما أسلم زوجها كارها ".

علي وبنوه للدكتور طه حسين ص 61

ويقول الشيخ محمود أبو رية:

وهند هذه هي التي أغرت وحشيا بحمزة عم النبي حتى قتله ثم أعتقته.

ولما قتل حمزة بقرت بطنه،ولاكت كبده، وفعلت فعلاتها بجثته!

وإذا كان معاوية قد ورث بغض علي عن آبائه مما حدثناك عنه فإن هناك أسبابا أخرى تسعر من نار هذا البغض منها: أن عليا قتل أخاه حنظلة يوم بدر، وخاله: الوليد بن عتبة وغيرهما كثير من أعيان، وأماثل عبد شمس.

ومن أجل ذلك كان معاوية أشد الناس عداوة لعلي يتربص به الدوائر دائما،ولا يفتأ يسعى في الكيد له سرا وعلانية، قولا وعملا.

شيخ المضيرة ص 174 ط دار المعارف بمصر

الصفحة 218

الصفحة 219

فقال جمال الدين القاسمي تريد أن يقطعوا راتبي وأنا موظف هنا؟!

وقمت مستأذنا أستاذنا العلوي وانصرفت.

الصفحة 220

الصفحة 221

- 31 -

الأستاذ علي عبد العظيم

الصفحة 222

- مدير دار الكتب سابقا ومدير الإدارة الفنية بالمؤتمر الإسلامي
- عمل مفهرسا ثم مديرا للفهرس العربية بدار الكتب المصرية.
- عين مديرا لإدارة المخطوطات بدار الكتب المصرية.
- عين مديرا للإدارة الفنية بالمؤتمر الإسلامي.
- أديب لامع يعني بشئون الثقافة.
- يتحلى بروح موضوعية، ويزع إلى إحياء التراث الإسلامي لمختلف المذاهب الإسلامية.
- يتميز بالموقف الودي تجاه الشيعة الإمامية وفكرتها وثقافتها.
- من الشعراء الموهوبين بمصر.

الصفحة 223

تعرفت إليه بالقاهرة عام 1965 م.

تعرفت إلى هذا الأستاذ في أحد شوارع القاهرة، كنت سائرا مع الدكتور حامد حفني داود وقد عزمنا على الرواح لمقابلة الدكتور شوقي ضيف وإذا بهذا الأستاذ قد جاء وسلم على الدكتور حامد، وأخذ يحدثه فأطال الحديث معه ثم التفت الأستاذ إلي وسأله عني فأجابه:

هذا هو " السيد مرتضى الرضوي " الناشر لكتب الشيعة الإمامية بمصر. فقال الأستاذ علي:

إني قبل أيام رأيت إعلانا قد نشر في جريدة المساء عن طلب إنشاء قسم خاص لكتب الشيعة الإمامية في دار الكتب المصرية وكنت بصدد التعرف على " السيد مرتضى " وسررت كثيرا على نشر ذلك الإعلان في الجريدة وإني الآن مصمم على السفر إلى " ليبيا " وسأغادر " القاهرة " بعد غد وأرغب في الاجتماع مع " السيد " في المنزل في عصر غد والمنزل 955

شارع كورنيش النيل فودعنا وانصرف.

وفي عصر اليوم الثاني ذهبت إلى منزله بصحبة الدكتور حامد حفني داود وقدمت له الكتب التي نشرتها في القاهرة ودارت أحاديث كثيرة بيننا حول الشيعة الإمامية.

ثم قلت للأستاذ علي:

إني قدمت طلبا لدار الكتب المصرية في المبنى الجديد المطل على النيل بتخصيص جناح خاص لكتب الشيعة الإمامية يوضع في قاعة المراجع وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد / مدير دار الكتب المصرية الموقر

السلام عليكم ورحمة الله

إستجابة لرغبة الكثير من الباحثين في أن تيسر لهم مصنفات الشيعة الإمامية ليستعينوا بها في دراساتهم وأبحاثهم العلمية.

فقد فوضتني الهيئة العلمية برآسة الإمام الحكيم [1] في النجف الأشرف – العراق – أن أعرض على سيادتكم رغبتها في تحقيق هذا الغرض السامي على الوجه الآتي:

1 – أن تقوم هذه الهيئة بإهداء دار الكتب المصرية [2] جميع ما يمكنها الحصول

---

(1) انتقل الامام الحكيم إلى جوار ربه عام 1970 م ودفن في النجف الأشرف.

(2) وردتني رسالة إلى القاهرة بتاريخ 2 / 9 / 1965 من صاحب السماحة آية الله السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) أرسلها سماحته من النجف الأشرف العراق وإليك نصها:

بسمه تعالى

فضيلة الأخ العزيز المجاهد السيد مرتضى الرضوي دام عزه

السلام عليكم زنة تقديري وإعجابي

وبعد فقد وصلتني رسالتكم الكريمة ففرحت بما توصلت إليه جهودكم المشكورة من افتتاح جناح لكتب الإمامية في دار الكتب المصرية فإن هذا الجناح له أهميته الكبيرة بالنسبة إلينا إذ يكون نافذة لأفكارنا، وفقهنا، وثقافتنا المكنوزة فجزاكم الله عن المذهب والدين أفضل الجزاء، وكتبكم في زمرة العاملين في سبيل إعلاء كلمة الله والإسلام في الأرض وحقق بكم الآمال المعقودة على همتكم وإخلاصكم. والسلام عليكم أولا وآخرا.

النجف الأشرف: العراق

محمد باقر الصدر (*)

(*) استشهد هو وشقيقته بنت الهدى على يد صدام التكريتي في ليلة الأربعاء 23 جمادى الأول عام 1400 هـ.

وكان اعتقاله الأخير يوم السبت 19 جمادى الأول وسلمت جثته بعد منتصف الليل للمرحوم السيد صادق الصدر ودفن في وادي السلام في النجف الأشرف في مكان مجهول تغمده برحمته الواسعة

عليه من مصنفات الشيعة الإمامية قديما وحديثا المطبوعة في " العراق " "وإيران " "وباكستان " "والهند "وغيرها من البلاد، وأن تستمر في موالاة الدار بكل جديد يظهر في هذا الموضوع.

2 – أن تقوم دار الكتب المصرية بأيفاد جناح خاص لهذه المصنفات في قاعة المراجع لتكون وحدة كاملة تحت يدي الباحثين والدارسين.

3 – أن تتفضل دار الكتب المصرية بإخراج نشرة بجميع هذه الكتب للتعريف بها والإعلام عنها.

4 – أن تتفضل الدار أيضا بأن تشمل هذه النشرة ما سبق أن اقتنته الدار من هذه المصنفات.

5 – أن تحصر الدار ما ينقص مجموعاتها من الأجزاء التي لم تحصل عليها لإمدادها على سبيل الهدية حتى تكتمل هذه المجموعات وتؤدي رسالتها.

وإني إذ أشكر لسيادتكم حسن لقائكم لأسجل لكم رغبتكم الشريفة في خدمة العلم وتراث المسلمين.

وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام.

مقدمه

مرتضى الرضوي

وبعد هذا قام الأستاذ علي عبد العظيم وجاء بورقة كتب فيها: عنوانه في ليبيا، وقال: إني سأغادر القاهرة إلى ليبيا – بنغازي لمدة سنتين وأعود وسوف أسهم في هذا الموضوع وأنا معك وسيتحقق هذا النبأ إن شاء الله.

وبعد أن قدم لنا الشاي والقهوة فشربنا وودعناه وخرجنا.

وإليك ما نشرته جريدة المساء المصرية بتاريخ 8 / 9 / 1965 م حول الجناح الخاص لكتب الشيعة الإمامية:

قسم بدار الكتب يضم كتب الشيعة.

رؤى إنشاء قسم خاص في دار الكتب المصرية العربية بالقاهرة للكتب الدينية للمذهب الإمامي الشيعي باعتباره أحد المذاهب الإسلامية والمقدر عدد أتباعه بأكثر من مائة مليون مسلم، وقد تم ذلك على أثر ما تلقته الدار في هذا الشأن من أحد زعماء المذهب وهو السيد الحكيم رئيس الهيئة العلمية في النجف الأشرف – بالعراق ومن هو عضو في هذه الهيئة السيد مرتضى الرضوي.

* * *

- 32 -

الشيخ عبد الرحيم أحمد العوابي

المدرس بوزارة التربية والتعليم

الصفحة 228

- ولادته: ولد بقرية عوابة أبي دوس محافظة سوهاج في: 14 / 3 / 1924 م.
- دخل الأزهر عام 1938 م، وتخرج عام 1953 م في كلية اللغة العربية.
- عين مدرسا في وزارة التربية والتعليم عام 1950 م، ومفتشا في اللغة العربية والدين عام 1973 م.
- أهم آثاره: له مجموعة من الشعر قالها في مناسبات.
- كتب رسالة عنوانها: بحث عن أبي نؤاس " الزاهد المفترى عليه ".
- له مقالات منشورة قديما في صحيفة (الرابطة الإسلامية).
- تعرفت إليه في القاهرة عام 1961 م.
- من علماء الأزهر الشريف.
- يتحلى بأدب المناقشة، وطيب القلب، ويحب أهل البيت ويقدسهم.
- يتميز بالتسامح الخلقي وحرية الفكر والمرونة.

الصفحة 229

زارني الشيخ حسن زيدان على عادته في مقر الكائن بفندق ميامي بشارع عبد العزيز أمام بناية عمر أفندي وقال:

إني كنت قد حدثت الأستاذ الشيخ عبد الرحيم أحمد عوابي عنك ويطلب مقابلتك. وهذا الشيخ عبد الرحيم من الأساتذة والعلماء والمدرسين بوزارة التربية والتعليم ففي أي وقت ممكن لك تعيينه أخوه وأحضر معه.

فأخرجت له مجموعة من مطبوعاتنا بالقاهرة [1] وكتبت عليها الإهداء له ودفعتها بيد الشيخ حسن زيدان على أن يوصلها إليه، فأعطاه الكتب.

وبعد أيام جاءني الشيخ حسن وقال:

إن الأستاذ الشيخ عبد الرحيم عوابي مشتاق إلى زيارتك ففي أي وقت نحضر.

فأجبته: في الليلة القادمة بعد العشاء.

وجاء بصحبته الشيخ حسن زيدان – في الموعد المحدد – حيث أنه كان المعرف له. وبعد أن جلسنا واستقر بهما المكان توجه نحوي الأستاذ الشيخ عبد الرحيم وقال:

هل أنكم تسبون الصحابة؟

(1) مر ذكرها ضمن محادثاتنا مع الأستاذ أبو الفضل إبراهيم، برقم (1) في أوائل المجلد الأول من هذا الكتاب.
– المؤلف –

فقلت: ليست هذه مسألة على حد تعبيركم مما هو مسئول عنه الشيعة،ولا هو محسوب عليها،ولا هو منبثق عنها – بل يا ترى – ماذا تؤدي إليه هذه النصوص،والحقائق التاريخية التي جاء بها أوثق المصادر، بل وجاء بها الكتاب والسنة،وأعظم رجال المسلمين وأقدمهم.

فهل تتكر حضرتك ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله:

" من آذى شعرة مني فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله " [1].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها [2].

وقال ابن قتيبة: قال عمر لأبي بكر انطلق بنا إلى فاطمة فإنا قد أغضبناها [3].

أليس هذا إحساس منهما بأنهما قد أغضباها وآذياها؟

قال الله تعالى: (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) التوبة: 61.

وقال تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) الأحزاب: 57.

وقال تعالى: (إن الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) الأحزاب: 58.

وقال الشهرستاني: الخلاف الثاني في مرضه أنه قال: جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه [4].

(1) أخرجه ابن عساكر كما في ص 24 من " أسنى المطالب " وص 114 من " الصواعق المحرقة " وفي ص 308 من " ينابيع المودة " للقندوزي الحنفي.

(2) راجع: " الإصابة " لابن حجر العسقلاني 4 / 378 و " أسد الغابة " لابن الأثير 5 / 533.

(3) ابن قتيبة: " الإمامة والسياسة ".

(4) الملل والنحل 1 / 23 تحقيق محمد سيد كيلاني وطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

وفي سير هذه النصوص نجد أن هناك لعنا [1] قد يتنزع به الكتاب أو السنة في التعرية أو الاستنكار بيد أنه لم يكن الكتاب ولا السنة ليتنزع بالسب أو النبز أو الوصم والتعيير.

فهل تتكر حضرتك تخلفهم عن جيش أسامة؟ فابتسم ضاحكا ثم قال:

مارأيكم في أم المؤمنين عائشة؟

قلت: قال الله تعالى: (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) النساء: 93.

وعائشة في حرب الجمل سببت قتل عشرين ألف من المسلمين .

ثم نقلت للشيخ عبد الرحيم كلام الدكتور طه حسين حولها [3] .

وقد تقدم في محادثاتنا معه في حرف الحاء برقم (10) فراجعه.

فقام الأستاذ الشيخ عبد الرحيم عرابي مستأذنا وخرج مقتنعا.

وقال ابن عبدربه [4] :

ودخلت أم أوفى العبدية على عائشة بعد وقعة الجمل فقالت لها:

---

(1) قال الراغب في " المفردات " في مادة لعن، اللعن: الطرد والإبعاد على سبيل السخط وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره، قال: " ألا لعنة الله على الظالمين - والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين - لعن الذين كفروا من بني إسرائيل - ويلعنهم اللاعنون ".

(2) أخرج ابن عبدربه عن سعيد بن قتادة قال: قتل يوم الجمل مع عائشة عشرون ألفا منهم ثمانمائة من بني ضبة كما في العقد الفريد: 3 / 105 ط المكتبة التجارية بمصر.

(3) كنت عند الدكتور طه حسين وكان معي الدكتور حامد حفني داود فسألته عن رأيه في عائشة فقال: كان أحد الأساتذة يقول: لو أدركت عائشة لأوجعتها ضربا حتى أقعدتها في بيتها لقوله تعالى: * (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) * 33 / 33.

(4) العقد الفريد 3 / 108 ط المكتبة التجارية بمصر عام 1353 هـ - 1935 م.

يا أم المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابنا لها صغيرا؟

قالت: وجبت لها النار.

قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفا في صعيد واحد؟

قالت: خذوا بيد عدوة الله.

وماتت عائشة في أيام معاوية، وقد قاربت السبعين. وقيل لها:

تدفنين مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

قالت: لا، إني أحدثت بعده حدثا فادفنوني مع إخوتي في البقيع، وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال لها: يا حميراء كأني بك ينبحك كلاب الحوأب [1] تقاتلين عليا وأنت له ظالمة.

وقال ابن عبدربه:

" أخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن أبزى قال:

انتهى عبد الله بن بديل إلى عائشة وهي في الهودج، فقال:

يا أم المؤمنين أنشدك بالله أتعلمين أني أتيتك يوم قتل عثمان فقلت لك:

إن عثمان قد قتل فما تأمرينني، فقلت لي: إلزم عليا، فوالله ما غير ولا بدل فسكتت، ثم أعاد عليها فسكتت، ثلاث مرات فقال: أعقروا الجمل فعقروه " [2] .

وقال ابن عبد ربه:

(1) الحوأب: في طريق المدينة إلى البصرة، وبعض الناس يسمونها: الحوب بضم الحاء وتثقيل الواو. العقد الفريد 3 / 108 ط مصر عام 1935 م.

(2) العقد الفريد 3 / 105 ط مصر.

وكتبت أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى عائشة أم المؤمنين: فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فقد هتكت سدة بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأمته حجاب مضروب على حرمته، قد جمع القرآن ذيولك فلا تسحبيها، وسكر خفرتك فلا تبتذليها. فالله من وراء هذه الأمة لو علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك.

أما علمت أنه قد نهاك عن الفواطة في الدين، فإن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا رأب بهن إن انصدع.

جهاد النساء: غض الأطراف، وضم الذيول، وقصر الموادة.

ما كنت قائلة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصة قعود، أمن منهل إلى منهل؟ وغدا تردين على رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وأقسم بالله: لو قيل لي: يا أم سلمة لأستحييت أن ألقى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هاتكة حجابا ضربه علي، فاجعليه سترك، وقاعة البيت حصنك، فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة ما قعدت عن نصرتهم، ولو أني حدثتك بحديث سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لنهشت نهش الرقشاء المطرقة والسلام [1] .

وفي اليوم الثاني قبيل الظهر عاد إلي الشيخ حسن زيدان وقال:

(1) العقد الفريد 3 / 99 - 100 ط المكتبة التجارية بمصر عام 1935 م.

وقال خزيمة يوم الجمل:

أعائش خلي عن علي وعيبه * بما ليس فيه إنما أنت والده

وصي رسول الله من دون أهله * وأنت على ما كان من ذاك شاهده

وحسبك منه بعض ما تعلمينه * ويكفيك لو لم تعلمي غير واحده

إذا قيل ماذا عبت منه رميته * بخذل ابن عفان وما تلك آيده

وليس سماء الله قاطرة دما * لذاك وما الأرض للفضاء بمائده

التقيت الآن عند مجئ إليك في الطريق مع الأستاذ الشيخ عبد الرحيم أحمد عوابي فقال:

إن مرتضى من آل البيت.

فقلت له: إزاي – من أين عرفت؟

قال: الشيعة مخلصون، الشيعة طيبون ويجب أن نخدمهم.

إني البارحة عندما فارقت السيد مرتضى وخرجت من عنده ذهبت إلى الدار ونمت فرأيت في عالم الرؤيا وفيما يرى النائم أن طارقا طرق علي الباب وقال:

النبي قادم.

هذا وإني منذ مدة مشغول بقراءة أدعية، وأذكار وأوراد كي أوفق لرؤية الرسول صلوات الله عليه في المنام. وعندما أخبرت قمت وفتحت الباب وخرجت فرأيت جماعة ويقدمهم واحد شبيه إلى السيد مرتضى فصرت أنظر إليه وأتأمله ورأى الناس يقولون:

هذا رسول الله فقلت في نفسي:

هذا مرتضى وهذه شمائله، هذا الذي كنت عنده، وبينما أنا في هذا الكلام إذ انتبهت من المنام.

وأخذ الأستاذ عوابي يحدث بهذه الرؤيا في كل اجتماع يضمنا ومجلس يجمعنا معه ويقول: الشيعة طيبون.

* * *

– 12 –

حرف الميم

33– الأستاذ الشيخ محمد محمد الفحام

34– الأستاذ محمد قطب

35 – الدكتورة سعاد ماهر

36 – الأستاذ أبو الوفا المراغي

37– الأستاذ عبد الهادي مسعود

38 – الأستاذ عبد الرحمن محمد النجار

الصفحة 236

الصفحة 237

– 33 –

الأستاذ الشيخ محمد محمد الفحام

شيخ الأزهر

الصفحة 238

- ولادته: ولد في مدينة الإسكندرية في 18 سبتمبر عام 1894 م.
- دراسته: تخرج من الأزهر الشريف عام 1922 م.
- عين: عضوا في مجمع اللغة العربية.
- عين: عميدا لكلية اللغة العربية عام 1959 م.
- تولى: رئاسة الأزهر الشريف في 17 سبتمبر عام 1959 م.
- عين: رئيسا لموسوعة الفقه الإسلامي عام 1970 م.
- أهم آثاره: رسالة في " الموجهات " في المنطق، ورسالة الدكتوراه " معجم عربي فرنسي في مصطلحات النحو والصرف في اللغة العربية "وهو بحث لغوي بحت.
- كتب فضيلته عن: سيبويه، وابن الحاجب، والشيخ خالد الأزهري، والسيوطي.

وله بحوث كثيرة نشرت في مجلة منبر الإسلام، ومجلة الأزهر وغيرهما من المجلات والصحف.

وله بحوث مخطوطة في مواضيع متعددة في اللغة والشريعة الإسلامية نحو مائتي بحث.

تعرفت إليه في القاهرة عام 1395 هـ، 1975 م.

يدعو إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية.

يؤيد فتوى الشيخ شلتوت في جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية.

يتميز بالإنصاف والمرونة والتجرد.

الصفحة 239

زرت فضيلته في رحلتي إلى القاهرة عام 1395 هـ – 1975 م وقد حضرت إحدى الندوات في ليالي شهر رمضان المبارك وجرى الحديث فيها عن علماء الأزهر الشريف وعن المشائخ منهم الذين نذروا أنفسهم للدعوة إلى الإسلام ولجمع

كلمة المسلمين الماضين منهم كالشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ سليم البشري، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد محمد المدني والحاضرين وهم قلة: كالشيخ محمد الفحام أمد الله في حياته وكثر في علماء المسلمين أمثاله فحنت نفسي لزيارته ورغبت في الاتصال به والتعرف عليه.

ففي أحد الأيام من أواسط شهر رمضان هذا العام زارني أحد إخواني السادة الأغواء وأخبرته بتحديد الموعد مع فضيلته في ليلة السبت 23 الشهر الجاري بداره العامرة في الساعة الثامنة مساء وحضرنا في الموعد وكنت قد صحبت معي مجموعة من الكتب التي نشرتها سابقا في القاهرة مع كتابين أهداهما مؤلفهما العلامة الكبير الشيخ محمد مهدي شمس الدين [1] لفضيلته وهما: " دراسات في نهج البلاغة "

---

(1) هو اليوم يشغل منصب نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في بيروت وله عدة تآليف مخطوطة ومطبوعة.

أما المطبوعة فهي: " نظام الحكم والإدارة في الإسلام " " دراسات في نهج البلاغة " " ثورة الحسين " ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية وترجم إلى اللغة الفارسية وطبع باسم " أرزيابي انقلاب حسين " نشرته مكتبة دار التبليغ الإسلامي في مدينة قم المقدسة – إيران وله:

" ثورة الحسين في الواقع التاريخي والوجدان الشعبي "، " بين الجاهلية والإسلام " " الموجز في عقائد الشيعة الإمامية "، " شرح عهد الأشتر " " الغدير " تحليل تاريخي لمسألة الحكم بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) " تفسير آيات الصوم " وقد تكرر طبع بعض هذه الكتب في كل من لبنان والعراق.

وأما المخطوطة فهي:

الاحتكار في الشريعة الإسلامية دراسة فقهية عن حكم الاحتكار في الشريعة الإسلامية على جميع المذاهب.

وكتاب: " ثورة الحسين " وبعد تبادل التحيات الإسلامية ذكر لنا فضيلته عن زيارته لإيران واتصالاته بأعلام الشيعة الإمامية بها قال:

إيران قطر إسلامي وآثار الإسلام ظاهرة هناك وأتمنى أن أزاها مرة ثانية.

وأخذ فضيلته يتحدث عن إعجابه بهذا القطر المسلم وعن أحوال المسلمين فيها وذكر اتصالاته بأعلام الشيعة الإمامية كالآشتياني في طهران، والشريعتمداري في قم [1].

---

(1)

أهمية مدينة – قم

قم من المدن المقدسة الآهلة، ومن الحواضر العلمية القديمة، وهي تبعد عن طهران " 150 " كيلو مترا تضم ضريح السيدة فاطمة ابنة الإمام موسى بن جعفر الإمام السابع من أئمة أهل البيت الاثنا عشر (عليهم السلام).

ويقصد زيارتها في اليوم عدد كبير من الشيعة الإمامية من جميع أنحاء إيران والعالم الإسلامي.

وهذه السيدة مشهورة ب " معصومة "وهي شقيقة الإمام " علي بن موسى الرضا " الإمام الثامن، من أئمة أهل البيت الاثني عشر (عليهم السلام).

ومدينة قم فيها الآن ما يربو على عشرة آلاف طالب، من طلبة العلوم الدينية وهم:

من إيران، وباكستان، والأفغان، والهند، وتركيا، وسوريا، ولبنان والعراق، والقطيف، وأوندنيسيا، وإفريقيا.

وفيها مدارس عديدة ومكتبات عامة كبيرة ك " مكتبة دار التبليغ الإسلامي ومكتبة الجامع الأعظم، ومكتبة المدرسة الفيضية، ومكتبة المدرسة الحجتية، ومكتبات أخرى وأهمها:

مكتبة آية الله المرعشي: التي تضم حوالي مائة ألف مجلد بين مخطوط ومطوع، وفيها:

الزعماء، والعلماء، والهيئة العلمية، ومراجع الفتيا في هذا العصر القاطنون فيها هم:

آية الله الكلبايكاني، وآية الله الشريعتمداري، وآية الله النجفي المرعشي.

وقد انتقلوا إلى رحمة الله ورضوانه الشريعتمداري عام 1406 والمرعشي النجفي عام 1411 والگلپايگاني عام 1414 هـ، تغمدهم الله برحمة الواسعة.

والميلاني في مشهد [1] وكانت جلسة ممتعة امتدت حوالي ثلاث ساعات وكان

---

(1)

مكانة مدينة مشهد

مشهد مدينة كبيرة جميلة تعتبر المحافظة الثالثة من محافظات إيران وسابقا كانت تسمى ب " سناباد " وكانت آنذاك قرية في ضواحي مدينة طوس.

وقد أنجبت كثيرا من أعلام الفكر الإسلامي كالشيخ الطوسي، والمحقق الخواجة نصير الدين الطوسي.

وفي مشهد ضريح الإمام " علي بن موسى الرضا " (عليه السلام) وهو الإمام الثامن من أئمة أهل البيت الاثني عشر (عليهم السلام).

ويقصد " مشهد " في اليوم ما يزيد على عشرة آلاف زائر من جميع المحافظات والمدن الإيرانية في إيران وفي غيرها من البلاد.

وفيها مدارس علمية كثيرة، وجوامع أثرية عديدة أهمها:

" جامع گوهر شاد " الواقع في جنب ضريح الإمام " علي بن موسى الرضا " (عليه السلام).

وتقام فيه صلاة الجماعة في أوقات الصلاة، ولا يشاهد مثل هذا التجمع الإسلامي في العواصم الإسلامية سوى ما يشاهد في الحجاز في أيام موسم الحج.

وفي " مشهد " مكتبات عامة أهمها:

مكتبة الإمام " علي بن موسى الرضا "والمعروفة ب " كتابخانه آستان قدس ".

تضم هذه المكتبة العامة أكثر من ثمانين ألف مجلد " 26000 " منها مخطوط والباقي منها مطوع، تحتوي على مخطوطات أثرية نادرة تكاد تكون منحصرة فيها.

وقد طبع من فهرسها – قبل سنين عديدة – ستة مجلدات كبار.

أسسها سلاطين إيران في العهد الصفوي الزاهر.

وهذه المدينة تحتضن الكثير من العلماء، والزعماء. وكان المرجع الوحيد الديني، والزعيم الروحي فيها للشيعة الإمامية في الآونة الأخيرة صاحب السماحة آية الله العظمى السيد محمد هادي الميلاني. وقد وافاه الأجل في يوم الجمعة 29 شهر رجب سنة 1395 هـ – 1975 م ودفن في إحدى أروقة الحرم الرضوي الشريف.

تغمده الله تعالى برحمته الواسعة، وحشره مع آبائه الغر الميامين أئمة أهل بيت الحق والصدق سلام الله تعالى عليهم أجمعين.

ودفن في " مشهد ": أبو القاسم الفردوسي، الشاعر الإيراني الكبير المشهور صاحب " الشاهنامة " ونقل " الشاهنامة " هذه إلى العربية الكاتب المصري الأستاذ: الدكتور عبد الوهاب عزام.

الحديث فيها يدور حول العلم والعلماء والتقارب بين المسلمين.

وأعتقد أنها كانت من أحسن أمسياتي التي حظيت بها في هذه الرحلة مع فضيلة شيخنا الفحام شيخ الجامع الأزهر السابق.

وحددنا الموعد معه للاجتماع بفضيلته ثانيا بعد عيد الفطر المبارك.

وبعد أن حضرنا وتبادلنا التحيات قلت:

ما هي انطباعاتكم عن إيران الإسلامية؟

أجاب فضيلته:

" الذي يرغب أن يطلع على الإسلام فليذهب إلى إيران ويرى المكتبات الإسلامية والمعاهد العلمية، ويرى العلماء فيها، وآثار الإسلام يجدها هناك.

وسألت فضيلته:

هل قرأتم كتاب " المراجعات " للإمام شرف الدين وما رأيكم فيه؟

أجاب: كتاب " كويس " أي جيد.

ثم قلت:

مارأي فضيلتكم بالأسباب التي دفعت إلى غلق باب الاجتهاد وحصوه بالمجتهدين أصحاب المذاهب الأربعة.

قال فضيلته:

لعله لم يكن عند هؤلاء الذين أغلقوا باب الاجتهاد معرفة بالعلوم التي يتزود بها المجتهد في دراسة اللغة العربية وأسرارها وإني أرى خدمة للعلم والدين والإسلام، والمسلمين أن تجتمع طائفة من علماء المذاهب الأربعة، وعلماء الشيعة الإمامية ويتداولوا الأمر فيما بينهم في المسائل الخلافية، ولا بد أنهم سيصلون في النهاية إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين.

وقلت:

هل ترون من الضروري فتح باب الاجتهاد في الوقت الحاضر؟

قال فضيلته:

إذا وجد العلماء الحائزين لشروط الاجتهاد بالعلم التفصيلي باللغة العربية، والتفسير للقرآن الكريم، وتفهم معناه الحقيقي والمجازي للقرآن، والعلم بالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول فلا مانع من ذلك.

ثم قلت لفضيلته:

لقد أفتى سلفكم المرحوم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية [1] فمارأي فضيلتكم في ذلك.

فقال: الشيخ محمود شلتوت أنا كنت من المعجبين به، وبخلقه، وبعلمه وبسعة

---

(1) تجد نص الفتوى في حرف الشين مصورة بالزنكوغراف ضمن لقائنا مع فضيلته وقد تقدم في رقم (23) في أوائل هذا المجلد.

اطلاعه، وتمكنه من اللغة العربية وتفسير القرآن، ومن دراسته لأصول الفقه، وقد أفتى بذلك فلا أشك أنه أفتى فتوى مبنية على أساس في اعتقادي.

وفي الحق: أننا مأمورون بالتقرب عملا بقوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وأنا أشعر بأنني بعد زيارتي لكثير من البلدان الإسلامية، ومخالطتي لعلمائها أشعر بشئ غير قليل من التعاطف والتفهم لوقوفهم على كثير من أسرار الإسلام، ورغبتهم الشديدة في التقرب بينهم وبين إخوانهم المسلمين في كل بقاع الأرض.

ونرجو الله أن يوفق المسلمين، ويؤلف بين قلوبهم، ففي هذا التآلف والتقرب، والتحاب خير كثير للمسلمين جميعا وخاصة في هذا العصر الذي عرفنا فيه إقبال كثير من البلاد الإسلامية التي لم تكن اللغة العربية فيها شائعة عندهم على تعلمها ونشرها ويتظافر على ذلك الشعوب وولاة الأمور.

وقلت لفضيلته: بصفتكم شيخا للأزهر وقد رأستم ثلاث مؤتمرات لعلماء المسلمين، وسافرتم إلى معظم البلاد الإسلامية، ما رأيكم في تقارب وجهات النظر بين أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف مذاهبها.

أجاب: هذا أمر يجب على كل المسلمين أن يتعاونوا، ويتظافروا على هذا التقارب بالسفر والزيارات المتبادلة. بل هذا:

أول واجب على المسلمين. والمعروف أن المسلم هو: كل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولا يخرجه من إسلامه تمسكه بمذهب من المذاهب.

وقد استفدت أو أفدت من زيارتي لكل البلاد الإسلامية استعداد الجميع لهذا التقارب، ويحثنا على ذلك قول الله تعالى:

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا).

فالتعارف قد دعى إليه الإسلام من قديم الزمان لأن التعارف يهدي إلى التآلف، والتآلف يهدي إلى المحبة، والمحبة تهدي إلى التفاهم والتفاهم يهدي إلى السلام، والسلام هو الغاية النبيلة التي دعى إليها الإسلام، والإسلام دين المحبة وهذا شعار يجب على كل المسلمين أن يعرفوه.

لهذا كان كثير من الأمور التي دعى إليها الإسلام وشرعها تدور حول محبة الناس بعضهم بعضا.

من شريعة الإسلام، البدء بالتحية الإسلامية:

السلام عليكم ورحمة الله. وهذه كما أسميها أنا كلمة السر بين المسلمين.

فإذا كان الإنسان في طريق من الطرق في صحراء أو غيرها، ليل أو نهار فقبل إلقاء السلام يحصل للمرء نوع من الخوف والاضطهاد والشك لمن يلقاه ولكن ما إن يسمع منه هذه التحية حتى يستحيل خوفه أمنا واضطرابه هدوء وسكونا.

ولا ننسى هنا أن نذكر ما قاله الشاعر العربي القديم:

كيف أصبحت؟ كيف أمسيت؟ مما * يغرس الود في فؤاد الكريم

ولا ننسى الأحاديث الداعية للتحاب والتواد والتعاطف بين المسلمين من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

وقوله عليه الصلاة والسلام:

مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ومما شرع الإسلام مما يساعد على المحبة والوئام:

الحث على إكرام الضيف فقال:

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. وأيضا الحث على إكرام الجار.

ومن ذلك الحديث المشهور مازال جبرائيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه.

وقوله: رحم الله امرئ سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى. وإذا اكترى.

والأحاديث في مثل هذا الباب لا تعد. وكل الأخلاق الإسلامية والفضائل التي أنذر بها المسلمون، كلها تدعو إلى التحاب، والتواد. والتعاطف.

والواجب على المسلمين أن يخالطوا غيرهم من يخالفونهم في الدين وليشرحوا لهم من فضائل هذا الدين وينزلوا من نفوسهم ما علق بها من الشبه التي أثارها الكثير من غير المسلمين.

وبعد هذا قمت مستأذنا فضيلته وانصرفت.

وإليك نص الرسالة التي كتبها الأستاذ الأكبر في ذي القعدة عام 1397 هـ إلى صاحب السماحة العلامة الكبير الحاج آقا حسن سعيد من كبار علماء الإمامية بطهران – إيران وهذا نصها:

سماحة الشيخ حسن سعيد من كبار علماء طهران – شرفني بزيارة في منزلي شارع علي بن أبي طالب ومعه سماحة العالم العلامة والصديق الكريم السيد طالب الرفاعي. وقد أهاجت هذه الزيارة في نفسي ذكريات جميلة ذكريات الأيام التي قضيتها في طهران سنة 1970 م فعرفت فيها طائفة كبيرة من طوائف العلماء الشيعة الإمامية وعرفت فيهم الوفاء والكرم الذي لم أعهده من قبل. وما زيارتهم لي اليوم، إلا مظهر وفائهم جزاهم الله كل خير وشكر لهم مسعاهم الجميل في التعريف بين المذاهب الإسلامية التي هي في الحقيقة والواقع شئ واحد في أصول العقيدة الإسلامية التي جمعت بينهم على صعيد الأخوة التي جسدها القرآن الكريم حيث يقول:

(إنما المؤمنون إخوة) هذه الأخوة من واجب علماء الأمة على اختلاف اتجاهاتها المذهبية أن يحرصوا على كمينها ونبذ كل ما يسوء إليها ويكدر صفوها من عوامل التفرقة والتي شجبها الله تعالى في كتابه العزيز (لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم).

ورحم الله الشيخ شلتوت الذي التفت إلى هذا المعنى الكريم فخلد في فتواه الصريحة الشجاعة حيث قال ما مضمونه:

بجواز العمل بمذهب الشيعة الإمامية باعتباره مذهبا فقهيا إسلاميا يقوم على الكتاب والسنة والدليل الأسد وأسأل الله أن يوفق العاملين على هذا الفتح القويم في التقريب بين الإخوة في العقيدة الإسلامية الحقة (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم والمؤمنون) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ".

21 من شهر ذي القعدة 1397 هـ.

محمد محمد الفحام

شيخ الأزهر السابق

* * *

الصفحة 248

الصفحة 249

- 34 -

الأستاذ محمد قطب

الكاتب الإسلامي الشهير بمصر

الصفحة 250

- أهم آثاره " جاهلية القرن العشرين "، " الإنسان بين المادية والإسلام " " معركة التقاليد "، " شبهات حول الإسلام "، " منهج التربية الإسلامية "، " التطور والثبات في حياة البشرية " " منهج الفن الإسلامي " " قبسات من الرسول " " في النفس والمجتمع "، " هل نحن مسلمون ".
- له كتب أخرى مطبوعة.
- تعرفت إليه بالقاهرة عام 1961 م.
- كاتب إسلامي يتصلب في أفكاره وآرائه.
- يؤمن بأبي هريرة، ويصدق أحاديثه على العكس مما يؤمن به النقاد من إسرافه في الحديث والطعن في خلقه و...

الصفحة 251

تعرفت على هذا الأستاذ والتقيت به مرارا في مكتبة الأخ وهبة حسن وهبة بشارع الجمهورية خلف المحكمة الشرعية وقصدته مرة إلى الدائرة التي كان موظفا بها وأهديته كتاب عبد الله بن سبأ وطلبت منه أن يكتب لنا كلمة يعبر فيها عن رأيه حول الكتاب، وأخبرته بأن المؤلف أثبت في هذا الكتاب أن عبد الله بن سبأ هذا شخصية خيالية فهو مختلق [1] ولا وجود له

وتحدثت معه حول أبي هريرة وكثرة أحاديثه.

فقال: أبو هريرة صحابي جليل.

قلت: صحابي جليل ويختلق الأحاديث، ويكذب على رسول الله كما يقول النقاد عنه وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار.

فرأيته وقد ظهر عليه آثار التأثر ولا يرغب سماع حديث كهذا عن أبي هريرة [2] فتركت الكتاب عنده واستأذنته وانصرفت.

---

(1) راجع لقاءنا مع الدكتور طه حسين وقد تقدم في حرف الحاء في المجلد الأول من هذا الكتاب وقال الدكتور طه حسين:

إن عبد الله بن سبأ شخصية خيالية أوجدها خصوم الشيعة للطعن بهم " ما فيش حاجة اسمها عبد الله بن سبأ " لم يخلق الله شيئا اسمه عبد الله بن سبأ... الخ.

(2) ظهر كتاب عن أبي هريرة باسم أبو هريرة للإمام شرف الدين العاملي وصدر كتاب عن أبي هريرة باسم شيخ المضيرة أبو هريرة بقلم فضيلة العلامة الكبير الأستاذ الشيخ محمود أبو رية (رحمه الله) مؤلف كتاب أضواء على السنة المحمدية وقد تكرر طبع هذين الكتابين في مصر ولبنان وإيران.

- 35 -

الدكتورة سعاد ماهر

عميدة دار الآثار بجامعة القاهرة

- أستاذة التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية وعميدة دار الآثار بجامعة القاهرة
- عميدة دار الآثار بجامعة القاهرة
- أهم آثارها: " مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف "
- تعرفت إليها بالقاهرة عام 1395 هـ - 1975 م.
- مؤلفة فاضلة وكاتبة مجيدة.
- تتميز بحرية الرأي في عرض آرائها.
- كاتبة أخصائية بالآثار الإسلامية.

- تتحلى بالمرونة وتتقبل الفكرة.
- لها خدمات كثيرة في إحياء الآثار الإسلامية.
- ترى أن مذهب الشيعة الإمامية مذهب له أصول ثابتة ومستمد من آل بيت الرسول (عليهم السلام).

الصفحة 255

تعرفت إلى هذه الدكتورة الفاضلة بواسطة التاجر الوجيه محمود علي رضا [1] والأستاذ المهندس محمد عزت مهدي رضا.

ففي صباح يوم السبت 18 / 10 / 1975 م اتصل بي الأستاذ المهندس [2] وقال:

إذا أردت أن تعمل حديثا مع الدكتورة سعاد ماهر عميدة دار الآثار بجامعة القاهرة فأنا منتظرك في صباح غد في الساعة الثامنة والنصف.

وحيث أني كنت أسمع دوما من أصحاب الفضيلة: الأساتذة والعلماء أحاديث كثيرة تدل على فضل هذه الدكتورة وعلمها وولائها لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) رغبت نفسي لزيارتها وللاستماع إلى حديثها.

(1) محمود رضا هو نجل التاجر الكبير المعروف محمد باقر القزويني المتوفى 8 / 2 / 1933 والمدفون في القاهرة وسبط التاجر الوجيه الحاج ميرزا محمد رفيع مشكي الذي كان رئيسا للجالية الإيرانية بمصر وقد ورد إلى القاهرة عام 1864 م وكان خلفه الأستاذ الكبير والأديب الفاضل الوجيه مهدي رفيع مشكي وقد تعين رئيسا للجالية المذكورة في القاهرة بعد رحيل والده إلى الرفيق الأعلى وإني كنت قد زرت هذا الأستاذ والتقيت به في عام 1960 م وما قبله وكنت قد أهديته بعض مطبوعاتنا في القاهرة وتوفي إلى رحمة الله ودفن بالقاهرة تغمده الله برحمته الواسعة وحشره مع أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

(2) رئيس جمعية أهل البيت اليوم بمصر ومدير الإدارة العامة للتنفيذ – شركة القاهرة العامة للمقاولات.

الصفحة 256

وفي صباح الأحد 13 شوال عام 1395 هـ الموافق 19 / 10 / 1975 م زرت الأستاذ المهندس بداره العامرة ومنها توجهنا إلى دار الوجيه محمود رضا ليكون معنا في زيارة الدكتورة.

وعند وصولنا الجامعة دخلنا غرفة السكرتارية وتكلم الأخ محمود رضا مع موظف هناك لتحديد موعد لمقابلة الدكتورة سعاد ماهر.

فكان التحديد من الدكتورة يوم الأربعاء 22 / 10 / 1975 م بعد الساعة العاشرة صباحا.

وفي يوم موعد المقابلة حضرنا الجامعة وقعدنا في غرفة السكرتارية حتى جاء دورنا وقصدنا مكتبها وإذا بها على بابه تودع زائريها وعندما شاهدتنا رحبت بنا كثيرا وحيتنا ومدت يدها لتصافحني فصافحتها من وراء منديل وقلت:

نحن الشيعة الإمامية يحرم عندنا لمس بدن الأجنبي للأجنبية ولا مانع عندنا من وراء حاجز [1] فضحكت وقالت تفضلوا.

فدخلنا المكتب وجلسنا فترة وبعدها قام الأخ محمود رضا وتكلم معها وقال:

السيد مرتضى الرضوي جاء إلى مصر وعنده أسئلة ويريد أن يتحدث معك حولها. فأخذت في إنهاء أعمال بعض الحاضرين وصرفتهم وأشارت إلينا أن نكون بالقرب من مكتبها، فجاءت إلينا ورحبت بنا وقعدت بالقرب منا.

فقلت: هل سافرت إلى العراق وإيران وما هي انطباعاتك عنها؟؟

(1) كل من يحرم النظر إليه يحرم مسه، فلا يجوز مس الأجنبي الأجنبية وبالعكس، بل لو قلنا بجواز النظر إلى الوجه والكفين في الأجنبية لم نقل بجواز مسهما منها، فلا يجوز للرجل مصافحتها. نعم لا بأس من وراء الثوب انظر " وسيلة النجاة " بتعليقة آية الله الفقيه الكلپايگاني 3 / 147، 148 طبع مطبعة مهر استوار - قم - إيران.

– المؤلف –

قالت: سافرت إلى العراق وإيران وذهبت إلى سامراء والكاظمية، وكربلاء، والنجف ومشهد وكتبت عن الآثار الإسلامية التي شاهدتها وكتبت شيئا لم يذكر في الآثار الإسلامية عنه في كتابي: (مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف) وسأقدم لك نسخة منه وقالت:

شاهدت في حرم الإمام علي في النجف وفي كربلاء (تربا يسجدون عليها).

سألتها عن رأيها في السجود على هذه التربة؟؟

أجابت: الرسول كان يستعملها وكان يضعها في قميص ويصلي عليها. وإني عندما أسافر أصحب معي التربة الحسينية في جيبي وأسجد عليها – في أوقات الصلاة.

قلت: كيف رأيت مذهب الشيعة الإمامية؟؟

قالت: مذهب فيه أصول ثابتة، وهو مذهب عظيم، وأئمته آل البيت ويكفي هذا ونحن نأخذهم وساطة إلى رسول الله. هم الشجرة المطهرة.

قلت: ما هي انطباعاتك عن الشيعة الإمامية؟

قالت: دراستنا للشيعة كمذهب من مذاهب الإسلام كانت ناقصة ولم نكن نقرأ المذهب الشيعي كما يجب. ودرست مذاهب أهل السنة، ومذهب الشيعة ولم أتعمق في دراستي لكلا المذهبين كما يجب لأن مدرس الدين لم يكن رجل دين وأنا لا أفرق بين الشيعة الإمامية من غيرها من المذاهب.

وقلت: متى قرأت كتب الشيعة؟؟

قالت بدأت هذه الدراسة منذ عام 1952 م وأدخل المذهب الشيعي إلى الأزهر والشيخ شلتوت وقف في المؤتمر وقال:

يجب أن تبحثوا عن المذاهب الإسلامية.

وقلت بعد أن قدمت لسعادتها مجموعة من مطبوعاتنا في القاهرة وغيرها والمراجعات ومن ضمنها: كتاب: (علي ومناوئوه):

أرجو أن تطالعي هذا الكتاب وتكتبي انطباعاتك عنه.

قالت: الإمام علي في القلب، وكل حاسد منافق، لأنه مناوئ للإمام علي.

ثم قالت:

مصر كانت شيعية وجامع ابن طولون جامع سني وجد فيه خمسة محاريب أربعة كتب فيها: آيات قرآنية وكتب على الباقي.

لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله.

ووضعت هذه المحاريب الدولة الفاطمية، ولولا قراءتنا لكتب الفاطميين لم نكن لنعرف شيئا عن الشيعة.

ورجال السنة قبل الثورة (كانوا يتحوجوا) من الصلاة أمام أي محراب.

وجاء صلاح الدين، وبنى مدارس وقضى على المذهب الشيعي.

وقلت: مارأيك في تحريم عمر المتعة مع أن الراغب الأصبهاني ذكر في كتابه (المحاضرات) رواية فقال:

سأل يحيى بن أكتم شيخا من أهل البصرة فقال له بمن اقتديت في جواز المتعة.

فقال: بعمر بن الخطاب، فقال له كيف وعمر من أشد الناس فيها!؟.

قال نعم: صح الحديث عنه أنه صعد المنبر فقال:

يا أيها الناس، متعتان أحلهما الله ورسوله لكم وأنا أحرمها عليكم وأعاقب

عليهما فقبلنا شهادته – من أنها كانت قائمة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) – ولم نقبل تحريمه انتهى – وقريب منها ما ينقل عن ابن عمر.

قالت الدكتورة: هذه اجتهادات شخصية، ما دام أفتى بها والحالة كانت قائمة، إذا تحريمها في عصر آخر لوجود ضرورة معينة.

ثم قالت: المتعة حلال، لأنها كانت حلالا، لما أفتى به في عصر الرسول والصحابة واستخدام هذه الرخصة جائز.

وفي مجرى الحديث مع الدكتورة سعاد ورد: ذكر أبي هريرة فسألتها وقلت:

مارأيك في أبي هريرة وكثرة أحاديثه.

أجابت: أخشى أن لا أستطيع أن أدافع عن رأيي وأرجو أن تعذرني وإنه خارج عن موضوعي، والدين من عصر الأمويين دخل في السياسة.

وقلت: هل كتبت بحثا عن موضوع التربة الحسينية:

قالت: إني أقول: التربة الزكية التي دفن فيها سيد الشهداء وأنا رأيت حديثا عن الرسول أنه كان يحمل معه ترابا ليسجد عليه.

ونشرت عن موضوع التربة في كتابي الذي نشرته دار المعارف بمصر [1].

ثم قالت: أنا مستعدة للإجابة على أسئلة إن كانت لديك.

فشكرتها كثيرا واستأذنتها وانصرفت:

وإلى القارئ ما نشرته الدكتورة في كتابها (مشهد الإمام) عن موضوع التربة الحسينية وهذا نصه:

(1) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف.

تربة كربلاء والنجف

(يحتفظ الشيعة بألواح من تربة كربلاء مما يصنع عادة في قوالب مختلفة يتخذون فيها لطهارة تربتها موضعا للجبهة ليتحقق السجود عليها لأداء الصلاة لله تبارك وتعالى، اهتماما بشأن الصلاة ومحافظة على صحتها.

وتزدحم مخازن مشهد الإمام علي، بآلاف من ألواح تربة كربلاء، والتي تعرف عند الشيعة باسم (التربة) الأمر الذي حداني إلى التعرف على أصل هذا التقليد الذي ينفرد به الشيعة دون غيرهم من عامة المسلمين فيما أعلم.

روى أبو نعيم في حديث (أن النبي رأى غلاما لنا يقال له: أفلح ينفخ إذا سجد فقال (صلى الله عليه وسلم) يا أفلح ترب وجهك.

وروى ابن عساكر عن أبي نعيم قال: (كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول لغلام أسود: يا رباح ترب وجهك)[1].

ويقول البيهقي[2] عن الخباب بن الأرت قال: (شكونا إلى رسول الله: (صلى الله عليه وسلم) شدة الحر في جباهنا، وأكفنا فلم يشكنا ولو جاز السجود على غير الأرض لأذن النبي لهم في أن يسجدوا على شئ يمنع عن وجوههم رمضاء الهجير).

وفي رواية أخرى للبيهقي[3] عن ابن الوليد قال: سألت ابن عمر عن سبب وجود الحصباء في المسجد؟ قال نعم: مطرنا من الليل فخرجنا لصلاة الغداة فجعل

(1) أبو نعيم: كنز العمال 3 / 212.

(2) البيهقي: السنن الكبرى: 2 / 105.

(3) البيهقي: السنن الكبرى: 2 / 440.

الرجل يمر على البطحاء فيجعل في ثوبه من الحصباء فيصلي عليه.

فلما رأى رسول الله ذلك قال: ما أحسن هذا البساط!!

فكان ذلك أول بدئه).

وتأييدا لرواية ابن عمر فإن المراجع التاريخية[1] تذكر لنا أن المساجد الأولى في الإسلام مثل مسجدي البصرة، والكوفة، ومسجد عمر ببيت المقدس، ومسجد عمرو بمصر، كانت على عهد الخلفاء الراشدين، وأوائل العصر الأموي، مفروشة بالحصباء.

كذلك روى البيهقي عن أنس بن مالك أن النبي (صلى الله عليه وسلم)، كان يسجد على بساط من جريد النخل.

وهناك أحاديث متواترة مشهورة أخرجها الحفاظ في كتب السنة والفقه كالشيخين في الصحيحين والبيهقي [2] تدل على أن النبي يصلي على الخمرة، وهي حصيرة صغيرة قدر ما يسجد عليه، ينسج من السعف، ففي الحديث لأم سلمة، أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لها ناوليني الخمرة. [3] وجاء في تاج العروس يقال: صلى فلان على الخمرة، وهي حصيرة صغيرة تنسج من السعف – أي سعف النخيل – وتزمل بالخيوط – وسميت (خمرة) لأن خيوطها مستورة بسعفها.

ويقول الشهرستاني في وصف الخمرة، وهي مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه

---

(1) الطبري: تاريخ الدول والملوك 3 / 103 . ابن دقاق: الإنتصار بواسطة عقد الأمصار 4 / 59 ، المعارف لابن قتيبة ص 124، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص 199، النجوم الزاهرة 1 / 68.

(2) البيهقي: السنن الكبرى: 3 / 421.

(3) البيهقي السنن 2 / 436.

في سجوده من حصير أو نسيجة، خوص ونحوه من النبات ثم يضيف:ولا تكون الخمرة إلا في هذا المقدار، وسميت خمرة لأن خيوطها مستورة " بسعفها ".

وهناك مع ذلك سؤال يفرض نفسه للإجابة عليه وهو:

ما حكم السجود على التربة شرعا؟ ومتى بدأ العمل به؟

فيجيب الشهرستاني عن الشق الأول عن السؤال بقوله:

(إن اتخاذ شئ معين للسجود جائز وغير بدعة من وجوه أخبار الخمرة السابقة إذ يفهم منها: أن اتخاذ قطعة صغيرة مما يصح السجود عليه كالنبات والحصاة، والطين، والتراب، لا مانع منه، بل راجح معمول به بين المسلمين منذ عهد الصحابة والتابعين).

ويجيب الشهرستاني على الشق الثاني من السؤال بما يلي:

" إنه في السنة الثانية للهجرة لما وقعت الحرب بين المسلمين وقريش في غزوة (أحد) وقتل فيها أقوى حماة الإسلام وهو: حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عظمت المصيبة على النبي وعلى المسلمين عامة ولا سيما وقد مثلت به هند أم معاوية، أمر النبي نساء المسلمين بالنياح عليه في مأتم واتسع الأمر في تكريمه إلى أن صاروا يأخذون من تراب قبره فيتبركون به ويسجدون عليه لله تعالى ويعملون المسبحات منه [1] .

* * *

---

(1) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف ص: 186 - 188.

- 36 -

الأستاذ أبو الوفا المراغي

مدير المكتبة الأزهرية في الجامع الأزهر

الصفحة 264

- ولادته: ولد بمراغة " محافظة سوهاج " إحدى بلاد الصعيد في يوم 26 / 11 / 1905 م.
- تخرج بتخصص في البلاغة والأدب عام 1933 م.
- درس بالمعاهد الدينية التابعة لجامعة الأزهر.
- عين مديرا لمكتبة جامع الأزهر عام 1946 م ثم أمينا مساعدا لمجمع البحوث الإسلامية في الأزهر عام 1969 م.
- أهم آثاره: فهرست " مكتبة الأزهر " في ثمان مجلدات، " المعجم الأصغر في تراجم علماء الأزهر "، تاريخ نشأة علوم البلاغة " – مخطوط – بمكتبة جامع الأزهر " الباب البحث " في شرح كتاب البعث لابن أبي داود السجستاني " اللباب " في شرح الشهاب للقضاعي " من رياض السيرة النبوية " " السلوك الخلقي الاجتماعي في الإسلام " " مبادئ الإسلام في تنظيم الأسرة " "رمضان والأعياد " " الشيخ المراغي بأقلام الكتاب ".
- حقق كتبا كثيرة منها: " إعلام الساجد في أحكام المساجد " للزركشي، كتاب " السماع " لابن القيسراني.
- له مقالات كثيرة نشرت في المجلات الإسلامية كمجلة " الأزهر " و " الوعي الإسلامي " بالكويت، و " الهدى النبوي " بليبيا، و " قافلة الزيت " في المملكة العربية السعودية.
- له أحاديث في التلفزيون والإذاعة.

الصفحة 265

تعرفت إليه في المكتبة الأزهرية بالقاهرة عام 1957 م.

وهو من رجال الفكر والثقافة.

يتحرق سيادته على الحرمان من كتب الشيعة وثقافتها ويدعو إلى نشرها في القاهرة ويحرض على تحقق ذلك، وينحى باللائمة على القوات الضائعة التي تمكن هذه الطائفة من أن تجد بها ثروتها العلمية، وهي معرضة عنها.

ولما دخلت القاهرة ومكثت فيها مدة تعرفت خلالها على المكتبات العامة والخاصة، وعلى العلماء والأساتذة والكتاب، بدأت أنشر مجموعة من كتب الشيعة الإمامية في مختلف العلوم والفنون: في التفسير، والفقه، والعقائد، والأخلاق: فحملت من هذه الكتب مجموعة وأتيت بها إلى فضيلة الشيخ المراغي مدير المكتبة الأزهرية مهديا هذه الكتب إلى مكتبة الأزهر فرحب بي كثيرا وقال:

نحن مستعدون لدفع ثمنها، والمكتبة الأزهرية لها رصيد لشراء الكتب.

فقلت يا أستاذ: إني أهديت كثيرا من هذه الكتب إلى جماعات كثيرة ومكتبات عامة ليطلعوا عليها ويسجلوا ما يبدو لهم عنها من وجهات نظر أو ملاحظات.

فأجاب: كتابكم يكتبون اللباب.

ثم سأل: هل الشيعة فيهم علماء وتجار؟؟

قلت نعم: فيهم علماء وتجار.

فقال: لماذا لا يأتون هنا، ويحضرون المؤتمرات العلمية التي تنعقد بمصر عندنا.

ثم قال: الوهابية يختلف معها جميع الطوائف الإسلامية، ومع ذلك فإنهم جاؤوا إلى مصر ونشروا كتب ابن تيمية وغيره، وأخذ المصريون في نشر كتب الوهابية، عندما تصوروا أن لها سوقا رائجة.

فهل ينتبه أحد منكم إلى هذا ليأتي إلى هنا ويطبع كتبكم وينشرها، فإن الكتاب الذي يطبع في مصر يصل إلى جميع أنحاء العالم،ولا أدري لماذا لا ينتبه علماؤكم،ولا يتحرك تجاركم؟!.

ثم أهدى فضيلته لي مؤلفه: " الشيخ المراغي " فأخذته شاكرا واستأذنته وانصرفت.

وفي جميع رحلاتي إلى القاهرة كنت أزوره في المكتبة الأزهرية الموقرة وفي داره العامرة.

* * *

- 37 -

الأستاذ عبد الهادي مسعود

بوزارة الثقافة والإرشاد القومي

ومدير الفهارس العامة بدار الكتب المصرية

- ولادته: ولد بمدينة الفيوم في 19 / 2 / 1924 م.
- حصل على ليسانس الآداب عام 1946 م.
- رائد دار المنتدى الثقافي وشعارها " الثقافة سبيل الحرية ".
- اختير: مديرا للمكتبات الفرعية بدار الكتب المصرية عام 1955 م.
- عين: وكيلا لدار الكتب المصرية عام 1968 م.

أهم آثاره: " شخصيات في السياسة والمجتمع " "والثورات الحديثة في الشرق " " ثورات مصر من أول عهد سعيد إلى آخر عهد توفيق " وله: مقدمة لكتاب " حقيقة الفلسفات الإسلامية " ومؤلفات أخرى مطبوعة.

- تعرفت إليه عام 1958 م.
- رجل الثقافة والعلم، والأبحاث العميقة في مختلف حقول المعرفة.
- له: مقدمة لكتاب " وسائل الشيعة ومستدركاتها " تعرض بها لما يمتاز به الفقه الشيعي من الأصالة والدقة والعمق.
- كتب مقدمة أخرى لكتاب " المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي " استعرض فيها أوجه ضرورتها للمجتمع الإسلامي وأصالة تشريعها في الكتاب والسنة.
- كتب مقدمة ثالثة لكتاب " علي ومناوئوه " عرض فيها الأحاديث الدالة على أحقية الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام أمير المؤمنين علي هو وزير النبي وخليفته من بعده، ثم ذكر معاوية بن أبي سفيان وأنه من شجرة الفساد " بني أمية "وأن أمه آكلة الأكباد وهي التي نهشت جسد حمزة عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولاكت كبده... إلخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرفت إلى هذا الأستاذ الكبير في مكتب الأخ حسين محمد كاظم [1] وكنت دائما على اتصال بهذا الأستاذ في دار الكتب المصرية، وفي داره العامرة، ودعاني كثيرا إلى تناول الطعام نهارا وليلا في شقته العامرة 14 شارع شوا – بعد الكوري – بميدان باب الحديد.

وكنت عنده ذات يوم في دار الكتب إذ دخل عليه بعض الأساتذة وسلم، وجلس ثم سأله عني فأجاب:

هذا رجل جريء؟

فقلت نعم: الذي يتكلم بالحق يجب أن يكون جريئا.

وفي إحدى الليالي زرته في داره بشوا، وجلسنا نتحدث إذ جاء نجله عصام – وهو طفل لم يبلغ الحلم – ووقف إلى جانبه وضربه على كتفه وقال لوالده:

قم هات الفاكهة للعم مرتضى.

وعند ذلك قام الأستاذ واقفا وقبل ولده عصام وضمه إلى صدره وقال:

أمرك يا سيدي:

ودخل إلى داخل الدار وبعد لحظة أحضر الفاكهة، وجاء بالشاي.

(1) صاحب زنكوغراف النصر 2 شارع دار الكتب. وتقدم ذكره في محادثاتنا مع الأستاذ العلامة الكبير الشيخ محمود أبو رية في حرف الألف في القسم الأول في هذا الكتاب.

وفي إحدى المرات التي قصدت بها دار الأستاذ حدثته بالحديث الذي دار بيني وبين الدكتور طه حسين وقد تقدم في محادثاتنا معه في حرف الحاء.

ثم قلت: وفي الحقيقة يا أستاذ عبد الهادي أن رجال الصدر الأول آثروا الدنيا على الدين كما قال الإمام الغزالي [1]: ولو أنهم آثروا الدين على الدنيا لكنا الآن في

---

(1) " الإمام الغزالي وحديث الكتف والدواة "

قال: وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته [في] يوم غدير خم باتفاق الجميع وهو يقول: " من كنت مولاه فعلي مولاه " فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي فهذا تسليم، ورضى وتحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة، وحمل عمود الخلافة [وعقود البنود] (*) وخفقان الهوى في قعقعة الرايات، واشتباك لزحام الخيول، وفتح الأمصار، وسقاهم كأس الهوى فعادوا إلى الخلاف الأول فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنا قليلا... الأمة.

ولما مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال قبل وفاته:

إيتوا بدواة وبيضاء و [بياضا] لأزيل لكم إشكال الأمر، وأذكر لكم من المستحق لها بعدي (1).

(1) سر العالمين وكشف ما في الدارين باب ترتيب الخلافة والمملكة. مخطوطة.

(*) ما بين المعقوفين في نسخة مخطوطة تاريخ كتابتها 1133 هـ تجدها بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم 180 مجاميع. أنظر: فهرست الدار: 1 / 316.

المؤلف: يظهر من كلام الغزالي لرتداد الصحابة لأجل حب الجاه والرئاسة فخالفوا الله تعالى ورسوله حيث قال: * (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) * الحشر: 7.

قال عمر (رض): دعوا الرجل فإنه ليهجر... الخ هذا الكلام نقلناه من الصفحة الثانية في الورقة السادسة من نسخة مخطوطة بخط جيد وقد كتبت عناوين الكتاب والأبواب بخط ذهبي جميل على ورق جيد أنظر فهرست دار الكتب المصرية 1 / 316 تحت رقم 204 مجاميع.

وأخرج البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي البيت رجال فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده...

صحيح البخاري: 6 / 11

وقال الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود (1):

لكن ذلك العاصم من الضلال.. ضيعوه..

ذلك الكتاب الذي ود محمد أن يمليه، أبوا عليه أن يخرج إلى النور.. حجبوه..

لكأنما مزقوه..

فعلى من تقع تبعة هذه الخسارة التي تكبدتها منذ تلك اللحظة أمة الإسلام، ومازالت إلى اليوم تتكبدها، وتدفع ثمنها من دمها وعرقها ونصيبها في الحياتين، جيلا وراء جيل..

من المسئول؟..

وهل عمر وحده الملوم؟..

ولأي غاية كان هذا السلوك؟..

كيفما كانت احتمالات الخطأ أو احتمالات الصواب في أي سلوك، فهذا السلوك الذي يبرز لنا من وراء قصته والصحيفة، كفة الخطأ هي الراجحة فيه كل الرجحان وإن ظن ظان إنه الخطأ المغفور الذي يثاب عليه صاحبه بأجر حين يكون لصاحب الصواب أجران..

إلى أن يقول:

ومع هذا كله.. ومع غيره من ألوان التبرير – لو حق تبرير – لا يعدم المرء أن يرى وجها آخر لهذا الموقف العمري يتعذر العثور على دواعيه..

أم من ذا الذي يسعه أن يغتفر لابن الخطاب تصديه لمعارضة رسول الله معارضة أدت إلى منعه، عليه الصلاة والسلام قبيل احتضاره ببضعة أيام، أن يمارس حقه الشرعي في الإيصاء بما يشاء لمن يشاء؟

إن الله سبحانه وتعالى قد كفل للمسلم حق الوصية في المال، بقوله عز من قائل في محكم التنزيل:

* (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف – حقا على المتقين) * فهلا يحق لرسول الإسلام – وقد حضرته الوفاة – أن يوصي لأمته من بعده بما هو خير لها في الدنيا والدين؟

ولماذا كان ذلك الموقف الغريب الذي وقفه ابن الخطاب وأدى إلى حرمان محمد حقه في الايصاء؟

ثم ما هو التفسير المقبول لهذا الموقف..

ونعود إلى ما أسلفنا، فنقول:

إن كثيرين كانوا يرون ولا يزالون إلى الآن، أن هذا الذي جاء نتيجة تدبير سابق أبرمه الصاحبان قبل وفاة الرسول الكريم..

بل قد جاء قبل يوم صحيفة الوصية التي طواها عن أعين المسلمين وعن سمع الزمان كنص مكتوب ومقروء ذلك الصاحب منهما المحسوب بين صفوة أصحاب محمد، وخيرة رجال الإسلام..

بل قد جاء قبل هذا وذاك من الأيام بوقت لم يتكشف لنا مداه، ربما يقصر وربما يطول..

الشيخان، كما يقال، عقدا اتفاقا وضعاه في الخفاء، وغلفاه بالأسوار. ثم مضيا إلى غايتهما على طريق رسماه.. ورافقهما

في هذه الرحلة " السلطانية " قدما بقدم، وكتفا إلى كتف، وساعة بساعة ثالث ثلاثتهم: أبو عبيدة بن الجراح..

ما قد نسب إلى الشيخين: أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب من اتفاق في قضية الخلافة.. يكاد يبديهما كأنما يستحوذا على إمرة المؤمنين غصبا بعد تدبير محكم دقيق ومن وراء الظهور والأبواب..

وهذا التدبير، في رأي من يقولون بحدوثه، يرجع إلى ما قبل موعد اجتماع السقيفة بوقت لا يذكرون مداه، لأنه لا يعرف على وجه التحقيق والتحديد..

لكنه يسبق وفاة رسول الله، بطبيعة الحال.

ويجمع أبا عبيدة بن الجراح إلى صاحبيه الكبيرين في رباط واحد، جمع قرين إلى قرين..

ويرسم الرجال الثلاثة كطلاب سيادة، ما أن تسنح لهم الفرصة التي ترقبوها حتى يلقفوا الإمرة المنتظرة، ليتداولوها من بعد تباعا، كل واحد بميقات إنه في رأي القائلين به، أفعال صورتها أقوال، وأقوال جسدتها أفعال.. والنماذج بادية بلا خفاء..

الصفحة 271

الصفحة 272

نعيم ولم تكن لهذه الخرافات عين ولا أثر.

وفي إحدى زياراتي له في داه قلت:

أجد في كتبكم خلافا بيننا في بعض المسائل والأحكام وغيرهما.

فأجاب الأستاذ: –زي إيه – نظير أي شئ.

فقلت: أشياء وخلافات تاريخية وفقهية كثيرة.

فأجاب قائلا:

الصفحة 273

الحديث الذي تراه وفي نظرك أنه فيه خلاف أثبته لي بمنطق العلم وأنا أكتب عنه ولا يهمني لو خالفت العالم كله، إنما المهم أن أقتنع به.

فقلت له: ومنها مسألة المتعة [1].

فهي عندنا – أي الشيعة الإمامية – جائزة وعندكم محرمة وقد أحلها الله تعالى في كتابه العزيز فقال:

(فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن) النساء: 24.

وهذا هو نص القرآن الكريم.

وأما السنة النبوية: فعن جابر: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله وأبي بكر حتى نهى عنه عمر [2] وأن ابن الزبير ولد من المتعة [3].

---

(1)) قال الراغب الأصبهاني في كتابه: " المفردات في غريب الحديث " ص 461 في مادة " متع " ومتعة النكاح هي: أن الرجل كان

يشارط المرأة بمال معلوم يعطيها إلى أجل معلوم فإذا انقضى الأجل فارقها من غير طلاق. " إنتهى " وقال زعيم الحوزة في جامعة النجف الأشرف " السيد الخوئي ": إن نكاح المتعة قد ثبت في الشريعة الإسلامية دون أن يثبت له ناسخ، فلم يبق للقائلين بتحريمه غير اتباع أقوال كتبهم دون كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

البيان في تفسير القرآن ص 584 الطبعة الثانية

(2) شرح مسلم المسمى بإكمال إكمال المعلم للوشتاني الآبي.

(3) وقال الإمام كاشف الغطاء طاب ثراه:

الراغب الإصبهاني من عظماء علماء السنة يحدثنا وهو الثقة الثبت في كتابه:

" المحاضرات " ما نصه:

إن عبد الله بن الزبير عير ابن عباس بتحليله المتعة، فقال له ابن عباس: سل أمك كيف سطعت المجامر بينها وبين أبيك، فسألها فقالت: والله ما ولدتك إلا بالمتعة. وأنت تعلم من هي أم عبد الله بن الزبير؟ هي أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصديق أخت عائشة أم المؤمنين وزوجها الزبير من حواري رسول الله وقد تزوجها بالمتعة، فما تقول بعد هذا أيها المكابر المجادل؟!

ثم إن الراغب ذكر عقيب هذه الحكاية (رواية أخرى) فقال: سأل يحيى بن أكثم شيخا من أهل البصرة فقال له بمن اقتديت في جواز المتعة فقال: بعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال له: كيف وعمر كان من أشد الناس فيها قال: نعم. صح الحديث عنه أنه صعد المنبر فقال:

يا أيها الناس متعتان أحلهما الله ورسوله لكم، وأنا أحرمهما عليكم وأعاقب عليهما فقبلنا شهادته، ولم نقبل تحريمه انتهى.

أصل الشيعة وأصولها ص 177 – 178 ط القاهرة عام 1377 هـ 1958 م

ووردت روايات كثيرة في الصحاح وغيرها مما تثبت حليتها، ولا يعرف سبب ذلك، ومع ذلك تفتون بحرمتها.

وأما عندنا – نحن الشيعة الإمامية أتباع أهل البيت – فهي مشروعة بل مستحبة. ثم بعد هذا كله طلب الأستاذ عبد الهادي مني مدة لمراجع النصوص ووعدني بكتابة مقدمة عن هذا الموضوع بعد المراجعة، وقد لبى سيادته هذا الطلب.

وفي إحدى الأمسيات ذهبت على عادتي إلى داره وصحبت معي الكتب التي نشرتها في القاهرة وأهديتها له مع كتاب " مصادر نهج البلاغة وأسانيده " وكتاب:

" النص والاجتهاد " للإمام شرف الدين الموسوي وقد تفضل مشكورا بإهدائي مجموعة من مؤلفاته القيمة وأطلعني على مقالاته التي نشرها في الصحف والمجلات، وطلبت منه أن يقدم لكتابين الأول كتاب " وسائل الشيعة ومستركاتها " والثاني: كتاب " المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي " فكتب سيادته التقديم للكتابين واعتبر ما كتبه هو من أهم ما كتب حول هذين الكتابين.

وفي إحدى زياراتي له في داره قلت:

وقد قيل: لأجل عين ألف عين تكرم.

نبي الرحمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يخلف سوى ابنته فاطمة الزهراء البتول وقال في حقها أحاديث مستفيضة منها:

قوله: (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني [1].

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو آخذ بيدها – أي بيد فاطمة –: من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي بضعة مني وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني [2].

وقد جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا نفسه كما جاء بنص القرآن الكريم:

قال الله تعالى: (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) آل عمران: 61.

وقال النيسابوري:

(ندع أبناءنا وأبناءكم) أي يدع كل منا ومنكم أبناءه، ونساءه، ويأت هو بنفسه وبمن هو كنفسه إلى المباهلة.

وإنما يعلم إتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس، ومن إحضار من هم أعز من النفس، ويعلم إتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة أن الإنسان لا يدعو نفسه.. [3] وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): خير رجالكم علي بن أبي طالب وخير نسائكم فاطمة بنت محمد [4].

وأخرج الطواني في الأوسط عن ابن عمر قال: آخر ما تكلم به النبي (صلى الله عليه وسلم) أخلفوني في أهل بيتي [5] وقال (صلى الله عليه وآله): علي خير البشر ومن أبى فقد كفر [6].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، والنسائي في خصائص أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ص 35.

(2) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 105 نزهة المجالس 2 / 228 نور الأبصار للشبلنجي ص 45.

(3) غرائب القرآن: 3 / 214 ط مصر (4) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه: 4 / 292.

(5) الشرف المؤبد لآل محمد النبهاني ص 97.

(6) كنوز الحقائق بهامش الجامع الصغير 2 / 16 كنز العمال 6 / 159.

وصح عن النبي (صلى الله عليه وسلم): قوله من أحب عليا فقد أحبني، ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله [1].

وقال تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) الأحزاب: 57.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): علي مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي [2].

وقال (صلى الله عليه وسلم): لفاطمة (عليها السلام) إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك [3].

وعن محمد بن علي بن الحسن عن أبيه عن جده أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: أتاني جبريل فقال يا محمد إن الله يحب من أصحابك ثلاثة فأحبهم: علي، وأبو ذر، والمقداد ابن الأسود.

يا محمد إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان (أخرجه أبو يعلى الموصلي) [4].

---

(1) الإستيعاب 2 / 461 ذخائر العقبى ص 65 الإصابة 3 / 103 نزهة المجالس 2 / 207.

(2) مسند أحمد: 5 / 356.

(3) مستدرك الحاكم 3 / 154 ذخائر العقبى ص 39 الصواعق المحرقة ص 105.

(4) وقال الأستاذ الكاتب المصري صالح الورداني:

ولعل هذا ما دفع بخصوم علي من الصحابة إلى إنكار ما سمعوه من الرسول بحقه بعد وفاته عندما احتدم الصراع على الحكم. فقد كانت القبلية لازالت مستحكمة في نفوس الناس آنذاك. كما أن المنافقون وهم قطاع بارز في المجتمع المدني في حياة الرسول قد برز أكثر بعد وفاته.

ويبدو أن هناك تحالف بين جبهة القبليين وجبهة المنافقين تم في مواجهة جبهة علي وشيعته من الصحابة انتهت بهزيمة جبهة علي...

عمر والإمام علي:

تعايش الإمام علي مع عمر كما تعايش مع أبي بكر من قبل. تعايش المغلوب على أمره

<=

=>

الإيجابي في مواجهة الواقع والأحداث. المستعد على الدوام لتقديم المشورة ونصرة المظلوم والبذل والعطاء من أجل صالح الإسلام والمسلمين..

وإذا كانت هناك ضغوط على الإمام في عصر أبي بكر فإن الضغوط عليه في عصر عمر أشد لأن أبا بكر كان سابقا هو رأس الأمر كله. وكان عمر هو الرجل الثاني في السلطة أيام أبي بكر إن لم يكن هو الحاكم الحقيقي ولم يكن أبو بكر سوى ظل له. فإذا ما تسلم عمر السلطة وهو ما كان يخطط له فلا بد وأن تكون له سياسة أكثر شدة في مواجهة آل البيت والإمام علي بحكم كونه يمثل جماعة ضغط فاعلة لها وزنها الشرعي والجماهيري وهي جديرة بالحكم.

فضلا عن اعتقاده بأحقيتها بإمامة المسلمين..

وأمر آخر يبرر موقف عمر المتشدد والعدائي من آل البيت هو قناعته بضآلة قدراته العلمية والقيادية أمام قدرات الإمام علي..

يقول عمر عن نفسه بعد أن كثرت أخطاؤه في الفتيا وقراراته التي تصطدم بأحكام الإسلام: كل الناس أفقه من عمر...

انظر قصة عمر مع المرأة حين صعد المنبر ينهي عن المغالاة في المهور حين قال أصابت امرأة وأخطأ عمر في الدر المنثور ج 1 / 133 / وتفسير قوله تعالى: * (وآتيتم إحداهن قنطارا) * في كتب التفسير.

ويقول مقوا بضآلته العلمية أمام الإمام علي: ما من معضلة ليس لها أبو الحسن...

أنظر مستدرك الحاكم ويروي الحاكم لم يكن أحد من الصحابة يقول سلوني إلا علي.

ويقول أيضا مبرزا حجم الموقف الإيجابي الذي التزم به الإمام تجاهه حفاظا على مصالح المسلمين: لولا علي. لهلك عمر..

أنظر الإستيعاب هامش الإصابة ج 39 . والرياض النضرة ج 2 / 194.

وكتب الحديث والتاريخ مليئة بالمواقف والممارسات والأحكام التي أصدرها عمر وتبين اصطدامها مع النصوص ومخالفتها لأحكام الإسلام مما يدل على ضآلة علمه وقلة فقهه وحاجته الماسة لمن يدعمه فقهيا..

أنظر النص والاجتهاد للسيد شرف الدين. ومعالم المدرستين ج 2 للسيد مرتضى العسكري.

وانظر لنا فقه الهزيمة فصل الرجل..

فهو قد حرم متعة الحج ومتعة النساء...

<=

=>

أنظر صحيح مسلم والبخاري يتبين لك أن زواج المتعة كان معمولا به على عهد رسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء..) أنظر سنن البيهقي وكتب التفسير. وانظر كتاب المتعة وأثرها في الاصلاح الاجتماعي بيروت. وانظر كتابنا زواج المتعة حلال.

وجعل الثلاث طلقات في مكان واحد طلقة بائنة بينونة كبرى لا تحل بعدها الزوجة حتى تنكح زوجا غيره...

أنظر صحيح مسلم وسنن البيهقي ومسند أحمد وكتب التفسير ويذكر أن الأزهر وأهل السنة وشرع لصلاة التراويح جماعة ولا جماعة في نفل...

كانت صلاة التراويح تصلى مثنى مثنى في البيوت على عهد الرسول وعهد أبي بكر حتى جاء عمر فجمع الناس ليصلونها جماعة وكان يقول: إنها بدعة ونعمت البدعة انظر البخاري ومسلم كتاب الصلاة.

وجعل التكبير في صلاة الجنائز أربعا بعد أن كان خمسا..

أنظر تاريخ الخلفاء للسيوطي

وأفتى في المواريث فتاوى تناقض بعضها بعضا..

أنظر البيهقي ج 6 / 245 حيث يروي عن عبيدة قوله: إني لأحفظ عن عمر في الجد مائة قضية كلها ينقض بعضها بعضا.

وتجسس على الناس بمجرد الظن مخالفا القرآن..

قصة تجسس عمر على البيوت مشهورة حين تسلق بيتا على أصحابه. والله ينهى عن التجسس وانظر سيرة عمر في كتب التاريخ.

عموما يطبقون رأي عمر هذا ويلتزمون به ويفتون على أساسه اليوم.

وأوقف إقامة الحد على المغيرة بن شعبة..

شهد مجموعة من الصحابة على المغيرة بن شعبة أنه زنى بامرأة محصنة ذات بعل ولم يقم عمر الحد عليه بل أقامه على الشهود بتهمة القذف انظر ترجمة المغيرة في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر وأسد الغابة لابن الأثير.

ورفض أن يورث أحدا من الأعاجم..

أنظر موطأ مالك ج 2 / 12.

ورجم حبلى ومضطرة وأقام الحد بغير وجه حق..

<=

=>

حاول عمر أن يقيم الحد على امرأة اضطرت للزنا ولا إثم على المضطر كما حاول أن يقيم الحد على امرأة حبلى من الزنا وامرأة مجنونة وامرأة حملت من ستة أشهر وقد تدخل الإمام علي ومنع إقامة هذه الحدود وأثبت جهل عمر. أنظر كتب السنن. وانظر قصة أخذ الدية بغير حق في الإستيعاب ترجمة أبي خواش الهذلي. وانظر جهله بأحكام الصلاة فتح الباري ج 3 / 69.

وأسهم في زرع الطبقية بين المسلمين وشاطر العمال أموالهم..

قدم عمر البدريين على من سواهم والمهاجرين على الأنصار وأمهات المؤمنين على غيرهن.

وكان يقتسم أموال العمال مثل أبو هريرة عامل البحرين. أنظر الأموال لأبي عبيدة وتاريخ عمر ابن الخطاب لابن الجوزي وكتب الفقه.

وغير ذلك من التجاوزات والمخالفات التي لا يتسع المجال لذكرها هنا والتي تؤكد عدم جدارة عمر لأمر الخلافة وأنه أقحم نفسه فيها..

ولقد كان للإمام علي دورا بارزا في التصدي لانحرافات عمر وتجاوزاته للنصوص وأحكامه الجائرة على الرعية وسياسة

البطش والإرهاب التي ألقت الرعب في قلوب الناس حتى أن امرأة حاملا أسقطت جنينها خوفا منه حيث بعث في طلبها وقد جمع كبار الصحابة ليشيروا عليه في حكم هذا الأمر..

أنظر تاريخ الخلفاء والبيهقي وكتب السنن وترجمة عمر في الإصابة وأسد الغابة والاستيعاب.

وعندما منع زواج المتعة هدد الصحابة من المؤمنين بوجوبه والقائلين به وعلى رأسهم ابن عباس الذي لم يجهر برأيه في هذا الزواج إلا بعد وفاته..

قال عمر لا أوتي برجل تزوج متعة إلا غيبته تحت الحجارة. يعني الرجم.. تأمل. أنظر القرطبي تفسير سورة النساء قوله تعالى: * (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن) * وانظر تفسير الخازن وروح المعاني للآلوسي وتفسير ابن كثير وكتب الفقه.

إن التهديد والتخويف علامة بارزة في سياسة عمر وشخصيته من أيام الرسول ((صلى الله عليه وسلم)) عندما كان يرفع شعار (دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله) وعندما هدد القائلين بوفاة الرسول.

وعندما هدد الأنصار والرافضين لبيعة أبي بكر في السقيفة.

وإذا كان عمر يمارس الإرهاب في حدود الأحكام الفقهية وفي حدود الرعية أفلا يمارسها ضد آل البيت الذين يشكلون خطرا على نفوذه وسلطانه...

السيف والسياسة ص 74 – 77.

=>

=>

وقال الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود:

المبدأ الذي التزمته قريش في اختيار خلفاء رسول الله كان خروجها دائما على أهل رسول الله، ونزعها حقهم من أيديهم...

هذه حقيقة أيدتها دائما وقائع الحال كانت في البدء يحجبها – حديثا – في حلوق أصحابها ستار، وإن بدت في الأفعال. ثم أخذت على الأيام تخرج من نطاق الأسوار إلى المجاهرة والكلام..

الإمام علي بن أبي طالب: 1 / 154 الطبعة الأولى بمصر.

وقال ابن أبي الحديد:

جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار، ونفر قليل من المهاجرين فقال:

والذي نفس عمر بيده لتخرجن إلى البيعة، أو لأحرقن البيت عليكم.

شرح نهج البلاغة: 1 / 134 الطبعة الأولى بمصر مطبعة الحلبي، عقد الفريد لابن عبدربه:

2 / 176 ط مصر، أنساب الأشراف للبلاذري: 1 / 286 شهوات النساء: 3 / 33 ، الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري: 1 / 20 شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1 / 119 الطبعة الأولى، الإمام علي بن أبي طالب عبد الفتاح عبد المقصود: 1 / 266 الطبعة الأولى، تاريخ أبي الفداء: 1 / 156 السقيفة والخلافة: ص 14 ط مكتبة غريب بالفجالة بمصر.

قد ذكرت هذه المصادر كلها هذه الواقعة وهي: أن عمر بن الخطاب أتى بالحطب ليحرق باب دار فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على من فيه.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) كما ورد في الحديث القدسي: من آذى لي وليا فقد استحل محاربتي.

كنز العمال: 1 / 230 رقم الحديث 1157 مسند الإمام أحمد بن حنبل 6 / 256.

وقال الأستاذ عمر رضا كحالة: وتفقد أبو بكر قوما تخلفوا عن بيعته عند علي بن أبي طالب:

كالعباس، والزبير، وسعد بن عبادة، فقعدوا في بيت فاطمة فبعث إليه أبو بكر عمر بن الخطاب فجاءهم عمر فناداهم، وهم في بيت فاطمة فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال:

والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها.

فقيل له: يا أبا حفص. إن فيها فاطمة. قال: وإن.

أعلام النساء: 4 / 114 ط بيروت، مشكلة القيادة في الحركة الإسلامية للدكتور أحمد عز الدين.

<=

وحين وقف الأستاذ على هذه النصوص وتدبرها، وأثرت فيه روح الحق والإنصاف وتأثر بأقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صرخ قائلا:

أنا معك وسوف لا آلو جهدا لانتصار الحق فقدم لهذه الكتب بما يزيغ عن العقيدة الحقة.

=>

وقال عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي:

ورأت فاطمة ما صنع عمر فصرخت، وولولت، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن فخرجت إلى باب حجرتها وقالت:

يا أبا بكر: ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله ثم روى ابن أبي الحديد عن داود بن المبارك قال:

أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ونحن راجعون من الحج في جماعة فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر فقال أجيبك بما أجاب به جدي عبد الله بن الحسن

فإنه سئل عنهما فقال:

كانت أمنا صديقة ابنة نبي مرسل، وماتت وهي غضبى على قوم فنحن غضاب لغضبها قلت:

قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبيين من أهل الحجاز أنشدنيه النقيب جلال الدين عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد العلوي قال: أنشدني هذا الشاعر وذهب عني أنا اسمه قال:

يا أبا حفص الهوينا وما كن * - ت مليا بذاك لولا الحمام

أتموت البتول غضبى ونرضى * ما كذا يصنع البنون الكرام

يخاطب عمر ويقول: مهلا رويدا يا عمر أي لرفق، وائتد، ولا تعنف بنا، وما كنت مليا، أي وما كنت أهلا لأن تخاطب بهذا وتستعطف، ولا كنت قادرا على ولوج دار فاطمة على ذلك الوجه الذي ولجتها عليه لولا أن أباها الذي كان بيتها يحترم، ويصان لأجله مات فطمع فيها من لم يكن فيها يطمع ثم قال:

أتموت أمنا وهي غضبى، ونرضى، نحن إذا لسنا بكرام فإن الولد الكريم يرضى لرضا أبيه، وأمه، ويغضب لغضبهما والصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر، وإنها أوصت أن لا يصليا عليها.

شرح نهج البلاغة: 2 / 109 الطبعة الأولى طبعة الحلبي.

الصفحة 282

وفي 25 / 8 / 1974 حينما وصلت القاهرة قصدت دار الأستاذ عبد الهادي مسعود في شبرا ومعي كتاب: " علي ومناوئوه " للأستاذ الكاتب الشهير الدكتور نوري جعفر وكنت أروم طبعه ونشره في القاهرة فطلبت من أستاذنا عبد الهادي مسعود أن يقدم لهذا الكتاب:

فأجاب سيادته:

أمهلني 48 ساعة ولا تستعجلني لحين إكمالها وبعد انقضاء هذه المدة زرته في داره العامرة وكان قد هيأها سيادته فأخذتها منه وشكرته على تلبيته فجزاه الله خير جزاء المحسنين.

وإليك نص ما قدم به للكتب التي نشرتها بمصر:

1 - وسائل الشيعة ومستدركاتها.

2 - المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي.

3 - علي ومناوئوه.

* * *

الصفحة 283

الدين الإسلامي ومذهب أهل الشيعة:

ليست كلمة الدين كلمة سهلةولا هينة، وليست حدوده ذوات أفق ضيق أو قريب... إنما الدين رسالة كبيرة تتصل بأدق المشاعر، كما تتعرض لأكبر المشاكل، ويكاد الدين يشمل ما جل وما عظم من خطوط الحياة، بل ويشمل في بعض الأحيان ما دق وما هان من أمور الوجود باعتبارها ذات صلة وثيقة بالخطوط الكبرى والمشاكل العظيمة، ومن هنا أصبح واجبا أن نعرض للدين عرضا واسع الأفق، فسيح المدى، لا تعصب فيهولا انحصارية تضر بكيان الأفراد والجماعات...

والإسلامية مذهب ديني فلسفي تتمثل خطوطه كما تتمثل أركانه وأسسه في كتاب الله هذه الإسلامية التي امتدت من طنجة على المحيط الأطلسي غربا إلى تين تس في الصين شرقا، والتي امتدت من أواسط أوربا شمالا، إلى الركن القصي من إفريقيا جنوبا...

الإسلامية التي تسود اليوم 17 سكان العالم أي حوالي 400 أربعمائة مليون نفس ... هذه الإسلامية التي خلدت على الزمن، وتحطمت على صخرتها كل القوى المعادية تحتاج اليوم إلى تجديد... وهي في حاجتها إلى التجديد تتطلب دعامة من الرجال الأشداء الذين صقلتهم التجارب وصقلهم العلم... وتابعوا في ثقافاتهم تطور الإنسانية والفكر...

ونحن إذ نجدد فهمنا للدين في هذا العصر. وإذ ننطلق بأبصارنا وأفهامنا لإدراك

الأسس الأصيلة فيه نستطيع أن نحدد لهذا الفهم مراحله، وأن نرسم لتحقيق هذا الهدف وسائله... وأول هذه المراحل، وأهم هذه الوسائل هو البحث فيما ورثناه عن أسلافنا كدين.. هل خلا من الشوائب؟! هل بانت معالمه وهل تكشفت لنا خباياه دون أن يدخل في أوساطرجال الدين مزيفون للحديث، موسعون لشقة الخلافات ليستطيع المستعمر أو المستغل أو الخصم أيا كان هذا الخصم أن يلعب دوره البغيض في الإفادة من هذا الزيف، أو في استغلال هذا الاختلاف؟!

إن الإجابة على مثل هذا السؤال واضحة لكل صاحب إيمان.. فاليهود كان لهم دور في بلبلة الفكرة الإسلامية.. ورجال الدولة الذين كانوا يحكمون على مر العصور كانوا يلعبون دورهم في إخفاء بعض الحقائق وفي تخريج معادن جديدة قد لا يكون لها أصل من الحق أو الصواب... والمستشرقون – وهم عيون الاستعمار – لعبوا دورهم الكبير في إفساد ذات البين وشق وحدة الدين لأسباب هي في حد ذاتها واهية ضعيفة وإن كانت نتائجها أخطر مما يظن الظانون...

هذه مرحلة من مراحل الفهم..

وثمة مرحلة أخرى تلك هي البحث الجاد في هذه الوقعيات التي اتخذت أساسا لخلاف لعله أن يكون خطرا وقد كان خطرا بالفعل في قابل الزمان...

علينا أن نقتل القديم بحثا لنخلق وعيا إسلاميا جديدا فما من حق لرجل غير درس أن يتحدث فيما لا يعلم... وليس من شك في أن المذهب الشيعي – وهو فرع من أهم فروع المذاهب في الإسلامية العامة – والذي يدين به أكثر من مائة مليون مسلم

في أنحاء الهند وإيران والعراق و... هذا المذهب الشيعي بحاجة إلى كل دراستنا لنستطيع فيما بعد أن نصل إلى هدفنا وهو التوفيق بين شتى المذاهب الإسلامية في داخل إطار من – كتاب الله – القرآن الكريم.

إن هذا المذهب الإسلامي له مقوماته الفكرية كأي مذهب آخر من مذاهب الدين، وله لولؤه الخفاق ما في ذلك ريب [1] .. والعلماء الشيعة كعلماء أهل السنة إنما يدركون كل شئ في حدود القرآن وفي حدود ما ورد على لسان نبي الإسلام.. وقد نظموا دراسات وبحوثا لها قيمتها في ميدان الإسلامية الكبرى، وكان لهم في إحياء التراث الديني مجالات ومجالات.. والواقع أنني ألمس فيهم نشاطا ممتازا، وثقافة نادرة وفطرة مستقيمة في تقدير الأمور.

وإذا كان الشيعة يرون أن عليا " كرم الله وجهه " كان أولى بالحكم من أبي بكر وعمر ابن الخطاب وعثمان فليس ذلك ماسا بصميم الدين، أو هادما لركن العقيدة، أو مخالفا لشئ ورد في كتاب الله وسنة رسول الله..

إنها مسألة رأي في حكام تولوا أمور الإسلام وهي مسألة متعلقة بنوازع الإنسان نفسه، وجهد بذله بعض الرجال عن إخلاص لإنقاذ الدين وحماية الدولة..

وليس من عيب أن يرى قوم من الأقوام أن رجالا آخرين كانوا أولى بهذا المكان من هؤلاء الرجال الذين تولوا بالفعل زمام الأمور.

لقد رأيت الكثيرين يتعرضون للشيعة وللتوفيق بين السنة والشيعة، ولكنهم يتهربون من صميم المشكلة دون مبرر ولا سبب... والأمر فيما أرى لا يحتاج إلى هذا التهيب ولا إلى هذا التردد... إذ ما حل التهيب مشكلة من المشاكل، ولا حسم التردد خلافا من الخلافات..

لأي من المسلمين – على مدى العصور – أن يعتقد ما يشاء فيما يتعلق بأمور دنياه..

---

(1) اطلعنا أخيرا على كتاب: " أصل الشيعة وأصولها " تأليف العالم الكبير آل كاشف الغطاء وهو كتاب قيم جدا على صغر حجمه، وكتاب " المختصر النافع " تأليف العلامة المحقق الحلي ولوزارة الأوقاف المصرية الفضل في نشره، كما اطلعنا على الجزء الأول من كتاب: " وسائل الشيعة ومستدركاتها " وأصول الجزء الثاني الذي نقدم له الآن.

– عبد الهادي مسعود –

وثمة خلافات أخرى في جوانب من الفقه.. هذا يرى أن لمس الزوجة ينقض الوضوء، وأن مس الذكر أيضا ينقض الوضوء..ولا أرى أنا شخصيا أن لمس الزوجة أو مس الذكر ينقض وضوء..وإذا رأى أهل السنة غير ذلك فلهم مطلق الحرية ولست مانعهم حين يتوجهون للوضوء مرة أو مرات.. ولكني أمنعهم حين يجعلون من هذا السبب مناطا للاختلاف بينهم وبين أهل الشيعة فيكون هذا الاختلاف وسيلة لإضعاف الإسلام..

لقد اتفقت جميع الأديان في أسس أصيلة هي الإيمان بوجود خالق للكون، وأن هذا الخالق العظيم يدعو الناس إلى الخير، وأن هذا الخير يتلخص في عدم الإضرار بالناس.. وقد أرسلت هذه الدعوة إلى الناس عن طريق الرسل..

وقد جاء الإسلام يخاطب العقل دائما، ويستحث التفكير وطالب به ويلح إلحاحا كثيرا في أن نتدبر في أنفسنا، وفي معاشنا ومعادنا، وأن الله لا ينظر إلى صورنا بل ينظر إلى قلوبنا، وأنه فرض علينا عبادات لا تقصد لذاتها وإنما لتكون لنا ذكرى تجدد أرواحنا، وتروضنا على الطاعة والامتثال لما فيه صلاحنا، فهي لم تكن –وإن تكن مفروضة علينا – هدفا في حد ذاتها.. فضلا عن أن تكون موضع خلاف أو اختلاف بين صفوفنا الموحدة..

ولهذا وعلى هذا الضوء يجب أن نتناول قضية المذاهب في الإسلام.. ننظر إلى الخطوط الكبرى، والأسس الثابتة:

هل يدعو مذهب من المذاهب إلى الظلم وإلى الاستبداد؟!

هل يدعو إلى السرقة.. أو إلى الزنا.. أو إلى الربا أو إلى كبيرة من الكبائر؟!

هل يختلف مع ما ورد في كتاب الله؟! هذا هو مقياسنا..وعلى هذا الضوء نستطيع أن نقرر مخالفة هذا المذهب أو ذاك لدين الله..

والشيعة حينما يحلون زواج المتعة مثلا إنما يستندون إلى الآية الكريمة: (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن) 24 / 4..

ومقياسنا في فهم آي القرآن هو اللغة.. ولغة هذه الآية واضحة لا لبس فيها ولا غموض، ولو احتكمنا إلى العقل –والعقل أصل من أصول الدين – لما رأينا في ذلك نقصا..

ولست أرى – من الناحية العلمية – فرقا كبيرا بين زواج المتعة والزواج الذي نأخذ به عند أهل السنة.. فزواج المتعة المحدود بزمان معين لصاحبه مطلق الحرية في أن يمده إلى نهاية العمر.

وزواج أهل السنة – ذاك الذي لا يتقيد فيه بزمان – لصاحبه أيضا وبنص القرآن الكريم أن يقطعه بالطلاق.

فالزواج المباح عند أهل السنة دائم إلى انقطاع، وزواج المتعة أيضا منقطع إلى اتصال..وهذا هو الفرق العملي بينهما.

وليس هذا الفرق يهمنا بقدر ما هو غير موجود بالفعل.

وإنما الذي يهمنا أن نسجله هو أنه في الوقت الذي يدعو فيه الإسلام إلى الشورى. ويدعو إلى حسن المعاملة، وانتزاع

عوامل الفرقة والسوء، ونزع الاستبداد من نفوس الناس، ونفوس القادة والزعماء:

(فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله) آل عمران: 159.

(والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) 38 / 42.

في هذا الوقت الذي يدعو فيه الإسلام إلى عدم الاستبداد بالرأي نرى البعض

يفهمون المذهبية فهما متعصبا، وكأنما انفصل عن الدين خصومهم في المذهب.

ونحن لا نرى هذا الرأي.. بل نرى عكسه تماما.. فالاختلاف في الرأي وسيلة الوصول إلى الصواب.

وفي الوقت الذي يدعو الإسلام فيه هذه الدعوات القوية نرى فئة تتلمس أوجه الخلاف في المذاهب، وتحاول التعمق فيها، وتسب غيرها دون وجه من الحق أو الصواب.

ونحن لا نرى السب أو الطعن وسيلة للإقناع والاقتناع... وإنما نراه وسيلة للقطيعة وسببا للكراهية... والله تعالى يقول:

(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الآية.

والذي نراه اليوم أن ندرس الدراسة الواعية دون الدراسة القائمة. والذي نستهدفه من ديننا أن نصل إلى الفهم الصادق عن طريق الثقافة المتعمقة لا السطحية.. وعن طريق النهوض بمجتمعنا إلى المكان الذي يتناسب مع جلال هذا الدين المتين.

ومن أجل هذا كله.. نكتب هذه المقدمة لكتاب يتناول فقه الشيعة ويتعرض للأحكام التي آمن بها الأئمة من الفقهاء عند الاثني عشرية أو الإمامية. حتى يرى أهل السنة أن ليس بينهم وبين الشيعة اختلاف أصيل.. وإنما هم جميعا وحدة واحدة.. يستهدفون رفعة الدين ونصرة المسلمين أجمعين.

القاهرة: عبد الهادي مسعود

مدير المكتبات بدار الكتب المصرية " سابقا "

- 2 -

المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي

الإسلام اليوم بحاجة إلى تجديد، ومن واجب المجدد إذا تجنب الهوى أن يدرس الموضوع دراسة متعمقة، وموضوعنا اليوم هو المتعة في الإسلام ونريد عرض هذا الموضوع عرضا محايدا، لا تحيز فيه ولا تهيب، ولا سطحية فيه ولا ابتسار.

والإسلامية مذهب ديني فلسفي تتمثل خطوطه كما تتمثل أركانه وأسسه في كتاب الله، هذه الإسلامية التي امتدت من حيث المكان من " طنجة " على المحيط الاطلنطي غربا، إلى أقصى الصين على المحيط الهادي شرقا، ومن أواسط أوربا شمالا إلى

الركن القصي من إفريقيا جنوبا. والتي امتدت من حيث الزمان من عهد محمد صلوات الله عليه إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم، هذه الإسلامية إنما امتدت هذا الامتداد مكانا وزمانا لأنها تتفق مع طبيعة البشر في كل زمان وفي كل مكان، ولأنها توافق الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وتضمن للإنسان نوعا من السعادة، وتوفر له جانبا كبيرا من الاستقرار والاطمئنان.

ومعنى الإسلام القريب هو الخضوع والاستسلام لأوامر الله، فالمسلم هو الذي يسلم لله ويخلص له، فيأتمر بأمره ويخضع للحق مهما خالف هواه، ومهما خالف ما ورثه عن أهله ومن حوله من آراء.

إن الخضوع المطلق لله تعالى يوجب الصدق المطلق مع ذات نفسك، كما يوجب، الصدق المطلق مع آلك وأولادك والصحاب والإخوان، وغير الإخوان، ما لم يكن ذلك متعارضا مع أمر من أوامر الله.

ولعل أول ما نتابعه في تاريخ الإسلام أن نتابع الوحي الذي نزل على قلب رسول الإسلام، ولعلها أن تكون لفتة قوية تلك التي يسوقها الله إلينا في أول آية نزلت من القرآن:

(إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم).

كانت أول آية نزلت علينا من الملأ الأعلى هي قوله تعالى " إقرأ " هذا الأمر الذي يعتوه المسلمون، أو يجب أن يعتبروه شعارا لهم يقرونه ويخضعون له، فتصبح الكلمة المقروءة والكلمة المكتوبة وسيلتهم وأدائهم في كل مكان ومجال.

وقد حدد الله تعالى معالم الطريق: نبدأ أولا بإدراك ماهية الإنسان منذ يولد، هذا الإنسان الذي خلق من علق... هذا الإنسان كيف ومتى وجد، وكيف ومتى ينتقل في مراحل التكوين من العلقة إلى المضغة المخلقة إلى غير ذلك من أطوار...

وأن ندرس خصائص هذه الأطوار جميعا.

إن من واجبنا بمقتضى القرآن الذي هو كتاب الإسلامية الأكبر أن نبحث وأن نقرأ، وأن نتابع البحث والقراءة والاستزادة منهما حتى ندرك الإنسان الذي خلق من علق، وحتى نكتب بالقلم، ونتعلم به ما لم نكن نعلم، ذلك لأن الله تعالى هو الذي يعلمنا، وهو الذي يهذبنا، وهو الذي يثقف أفهامنا وأفكارنا لندرك بعض ما لم ندركه إلى اليوم، وإلى ما بعد اليوم من أجيال وقرون.

والحق إن الإسلام اليوم في محنة، فهو في موضع التجربة اليوم أكثر من أي وقت مضى، واليوم حيث تقدم العلم، وتقدم الإنسان، وتعلم هذا الإنسان كثيرا مما لم يكن يعلم، تعلم الزراعة والصناعة، وتعلم السيارة والطيارة، وتعلم الطب والهندسة والتجارة، وتعلم الفلك، وتعلم الجدل، والشعر والأدب، وتعلم الاحصاء بالقلم، كما

تعلم حساب السنين والأيام، بل تعلم كيف يتدخل في الطبيعة فيفجر الذرة، وكان هذا من مكامن الخطر.

ويقف المسلمون: حائرين، أيظلون على إيمانهم بكتابهم أم يتراجعون ليؤمنوا بالعلم الذي أدهشهم وكشف لهم عن كل غريب؟!

أيتعارض هذا القرآن مع العلم أم يتفق معه؟!

أيوافقه في كل ما يذهب إليه، أم يدعو إلى تثقيفه وتهذيبه؟!

بل أيتفق هذا العلم بالأشياء والغرائب مع القرآن الذي ندين به أم يتعارض ويعارض ويواجهه المسلمين بغير ما يريدون وغير ما يؤمنون؟!

ولم يثبت المسلمون أمام تيار العلم الجارف، واعتبروا – لمدة من الزمن – أن تقدم الشعوب الأخرى بالعلم دليل على جواز تخلف الإسلام عن الحضارة واضطرتهم قوة الدفع الاستعماري إلى التخلف بالفعل عن ركب الإنسانية الزاحف، ولكن بعض المسلمين لم يجرفهم التيار ولم يدهشوه، وعكفوا يقرأون ويبحثون، وفهموا أن الإسلام ليس هو الإيمان والطاعة فحسب، وإنما هو الإيمان عن وثوق، والطاعة عن اقتناع، وهو فوق ذلك علم وبحث ودراسة واستقصاء وهو بعد ذلك دعوة يجب نشرها وإذاعتها بين الناس.

أخذ الاستعمار يبسط سلطانه، وينثر ذهبه، ويضع الجلادين على رؤوس الشعوب ليخضعها وينحرف بها عن دينها، وأخذ يبث صنائعه في كل بلد وفي كل قطر، وانتشر الباحثون المسلمون فامتصوا آراء المستعمرين وعلومهم، وتمثلوها وأدخلوا عليها ما شاءوا من الاصلاح والتعديل، كما سلطوا عليها أضواء من الدين لصقلها وجعلها أداة للإفادة دون التدمير.

وتحركت جموع المسلمين يمنة ويسرة، بعضهم يواصل رسالة الحق، وبعضهم

يستبد برأيه، وبعضهم يهلك كالفراش المبثوث... وأصبح لزاما علينا أن نسهم في كل هذا الطوفان نتلمس للإسلام وللمسلمين سفينة نجاة.

وقد رأينا أن الإسلام دعا إلى الفكر، وجعله عماده وأساس دعوته، وجعل مرتبة المسلم الذي يرث الإيمان مرتبة دنيا... ومرتبة المؤمن بعد البحث والشك مرتبة لا تعلى في مراتب اليقين...

كان الإسلام ولا زال دين حق.. يبحث عن الحق ويسعى إليه، ويدعو الناس إلى الدفاع عنه.. دين جاد يواجه الحياة ويرسم الحلول لما بها من مشاكل...

دين جاد يدعو الناس إلى الاستسلام للحق وحده، وإن أتى من أقصى الأرض، ويدعوه للإذعان لسلطان الحق فلا سلطان إلا للحق أينما كان...

يدعو الإنسان إلى الإيمان الجاد الذي يواجه الحقائق قبل أن تأتيه الحقائق فتهز في الإنسان أصول إيمانه، بل قبل أن تواجهه المشاكل فتقضي على ما تبقى في نفسه من اليقين...

والقرآن يرفع شأن العلم بطريقة لا تخلو من التحريض والتحقير لكل جهالة، قال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟).

ويقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

" من تعلم بابا من أبواب العلم ليعلمه للناس أعطي ثواب سبعين صديقا ".

رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن ابن مسعود.

ولا يعلم غير المسلمين ما مقام الصديقين عند الله... إنهم بمنزلة الشهداء الذين يموتون في سبيل المبدأ والعقيدة والإصلاح، بل إنهم ذكروا بعد الأنبياء وقبل الشهداء في آيات من القرآن... وذلك أنه تعالى جعل العلماء ورثة الأنبياء في الأقوال والأفعال وجعل الشهداء منفذين لأقوال العلماء حين يؤمنون بما يقول العالم المخلص

فيقتنع ويعتقد ويؤمن، ثم يندفع ليموت في سبيل العقيدة والمبدأ...

وبعد فإننا بصدد بحث عن " المتعة " ومشروعيتها في الإسلام...

"والمتعة " يدعو لها " الشيعة "... والشيعة بالنسبة لأبناء إقليمنا بحاجة إلى تعريف...

ولا بأس من أن أرجع في تقديمي لهذا الكتاب إلى مقدمتي التي صدرت بها كتابا أخر لإمام من فقهاء الشيعة المتقدمين وهو: " الحر العاملي " في كتابه " وسائل الشيعة " والذي كمل الانتفاع به بانضمام " مستدركاتها " إليها للميرزا " حسين النوري " قلت: في تقديمي لهذا الكتاب في تعريف موكز عن الشيعة تعرضت من خلال لقضية " المتعة ":

ونحن إذ نجدد فهمنا للدين في هذا العصر، وإذ ننطلق بأبصارنا وأفهامنا لإدراك الأسس الأصيلة فيه نستطيع أن نحدد لهذا الفهم مراحله وأن نرسم لتحقيق هذا الهدف وسائله...

وأول هذه المراحل، وأهم هذه الوسائل هو البحث فيما ورثناه عن أسلافنا كدين.. هل خلا من الشوائب؟ هل بانت معالمه وهل تكشفت لنا خباياه دون أن يدخل في أوساطرجال الدين مزيفون للحديث، موسعون لشقة الخلاف ليستطيع المستعمر أو المستغل أو الخصم أيا كان الخصم أن يلعب دوره البغيض في الإفادة من هذا الزيف، وفي استغلال هذا الاختلاف؟!

إن الإجابة عن مثل هذا السؤال واضحة لكل صاحب إيمان... فاليهود الذين كان من مصلحتهم أن يخضع الناس لسلطان المال بأكثر من خضوعهم للدين والحق، لهم دور كبير في بلبلة الفكرة الإسلامية، ورجال الدولة الذين كانوا يحكمون على مر العصور كانوا يلعبون دورهم في إخفاء بعض الحقائق، وفي تخريج معان جديدة قد لا

يكون لها أصل من الحق أو الصواب...

والمستشرقون – وهم عيون الاستعمار – لعبوا دورهم الكبير في إفساد ذات البين، وشق الصفوف لأسباب هي في حد ذاتها واهية ضعيفة وإن كانت نتائجها أخطر مما يظن الظانون.

هذه مرحلة من مراحل الفهم..

وثمة مرحلة أخرى تلك هي البحث الجاد في هذه الوقعيات التي اتخذت أسبابا لخلاف لعله أن يكون خطوا، وقد كان خطوا بالفعل في قابل الزمان...

علينا أن نقتل القديم بحثا لنخلق وعيا إسلاميا جديدا، فما من حق لرجل غير درس أن يتحدث فيما لا يعلم. وليس من شك في أن المذهب الشيعي – وهو نوع من أهم نوع المذاهب في الإسلامية العامة – والذي يدين به أكثر من مائة مليون مسلم في أنحاء الهند وباكستان والعراق وإيران... هذا المذهب الشيعي بحاجة إلى كل دراستنا لنستطيع فيما بعد أن نصل إلى هدفنا، وهو التوفيق بين شتى المذاهب الإسلامية في داخل إطار من كتاب الله – القرآن الكريم.

إن هذا المذهب الإسلامي له مقوماته الفكرية كأي مذهب آخر من مذاهب الدين، وله لولؤه الخفاق ما في ذلك ريب. والعلماء الشيعة كعلماء أهل السنة إنما يدركون كل شئ في حدود القرآن، وفي حدود ما ورد على لسان نبي الإسلام. وقد نظموا دراسات وبحوثا لها قيمتها في ميدان الإسلامية الكبرى، وكان لهم في إحياء التراث الديني مجالات ومجالات.. ".

ولقد تابعت كثيرا من كتب الشيعة، وتابعت مختلف الآراء التي قيل بأنها تختلف عما يتجه إليه أهل السنة فوجدته خلافا على شكليات لا أصل لها من جوهر الأمور، فالخلاف حول تفضيل " علي " كرم الله وجهه خلاف لا يمس صميم الدين

ولا يهدم ركنا من أركانه، فضلا عن عدم جدوى إثارة مثل هذا الموضوع وقد قبض النبي صلوات الله عليه إلى ربه كما قبض الخلفاء الأربعة وغيرهم من جلة الصحابة والتابعين، ولن يفيد الخلاف والاختلاف في إعادة واحد منهم أو غيره إلى الحكم، ولو افترضنا أن إماما سيظهر في قابل الأيام فالعالم كله في انتظاره لأنه سيكون مؤيدا بروح الله.

ولعل من أخطر وجوه الخلاف ذلك الذي دار حول " المتعة ".. التي يحلها فقهاء الشيعة [1] في الوقت الذي يحرمها فقهاء السنة.

وقبل أن أناقش هذا الموضوع أحب أن أضع أمام الأنظار إحصاء كان اتحاد الأزهر قد طبعه ووزعه منذ حوالي خمسة عشر عاما يقرر فيه ما يلي:

1 – بلغ عدد الحوادث سنة 1941 في مدينة القاهرة وحدها 354046 حادثة بينها 1359 جناية " إحصاء سكرتير نيابة مصر – الأهرام في 27 فبراير سنة 1942 ".

2 – عثر في القاهرة على 1005 غلام في 100 فندق وحمام مصابين جميعا بأمراض خبيثة – وثبت بالتحقيق أن عصابة قبض منها على سبعين فردا كانت تتجر في الغلمان وتبيع الغلام بثلاثة جنيهات " عن المقطم والأهرام في 24 و 25 ديسمبر 1941 م ".

(1) قال أبو جعفر محمد بن حبيب المتوفى سنة 245 هجرية في كتاب المحبر: ص 289 تحت عنوان: " من كان يرى المتعة من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم).

خالد (*) بن عبد الله الأنصاري و "زيد " بن ثابت الأنصاري وسلمة بن الأكوع السلمي، وعمران بن الحصين الخزاعي، وعبد الله بن العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) " انتهى " – المحبر ط بيروت: المكتب التجاري.

(*) كذا في الأصل ولعله جابر عن هامش " المحبر " ص 289.

3 – جاء في تقوير مكتب الآداب عن أعماله خلال شهر سبتمبر 1941 م في القاهرة ما يأتي:

4 – قبض المكتب على 719 – غلاما مشردا.

94 – امرأة تحوض على الفساد بينهن 8 فتيات قاصرات.

105 – امرأة في منزل سوية.

65 – بنسيونا وفندقا يدار للدعارة.

34 – بلطجيا.

112 – مرة دهم فيها بيوت الدعارة.

13 – قضية فعل فاضح في الصالات.

1054 – شكوى هتك عرض حقق فيها المكتب.

3 – قضايا بيع كتب مخلة بالآداب.

وهذه هي حصيلة شهر في مدينة كبرى هي عاصمة البلاد... فما بالنا بحصيلة الأيام والشهور والأعوام التي تلت ذلك...

وقد كانت هذه الحصيلة في وقت كان فيه البغاء العلني المصرح به موجودا وقائما ويمارس خدماته الوضيعة. فما بالنا وقد ألغي هذا البغاء...؟

لقد بلغ عدد المصابين بالزهري من بيوت الدعارة سنة 1931 م ربع مليون من الزناة أي 250 ألف نسمة...

ولا تقول إن هذا يمثل الحقيقة في بلادنا في الماضي وفي الحاضر، وإنما هو يمثل جانبا من الحقيقة، وما خفي كان أعظم.

إن ما يحدث في المدارس الداخلية بنين وبنات لا يخفى على الناس...

وما يحدث في داخل البيوت بين الأقارب والصحاب لا يخفى على الناس...

وتجارة الرقيق يمارسها جميع الشباب في السن الذي ينتظرون فيه الزواج، ولا نقصد المعنى الحرفي لتجارة الرقيق، وإنما نقصد علاقة الذكر بالأنثى بالطريقة التي لا يسيغها العقل ولا يسيغها الدين، ولا تسيغها الأخلاق...

وما تعرضه الجرائد والمجلات من مآسي تتكرر صورها وتتكرر وقائعها لا يحتاج إلى بيان.

بل إن ما يحدث في أعماق الريف يفوق كل ذلك في النوع وفي المقدار.

وآخر ما قرأت في جريدة الأخبار منذ أيام... أن موظفة بمصلحة التليفونات في القاهرة استغاثت عن طريق إحدى زميلاتها بالنجدة حيث هاجمت منزلا في دائرة عابدين وجدت به الفتاة، ووجدت معها شابا عثر معه على قطعتي حشيش، وحبوب تخدير، وحقن طبية لمنع الحمل، وتولى المقدم " علي الحديدي " مأمور قسم التحقيق حيث قررت الفتاة أنها كانت تقف على محطة الأتوبيس بشارع الجلاء فشعرت بالدوار، وحينما أفاقت وجدت نفسها في مسكن الموظف، وحينما أرادت

الانصواف حبسها، وحاول هتك عرضها، واستبقاها في منزله أربعة أيام...

والحادث خطير في مدلوله، خطير في خطته الجديدة المثيرة...

حبوب تخدير يمكن أن تستخدم مع أية أنثى تسير في الطريق...

وقطعتان من حشيش، رغم المقاومة الجبارة لتجارة الحشيش...

وحقن طبية لمنع الحمل قد تكون آثارها الصحية مدمرة بالنسبة للمرأة وللفتاة على حد سواء..

وكل هذا يحدث في " القاهرة "وهي مدينة كبيرة، حيث الحراسة متوفرة، وحيث الشوارع تضج بالناس..

ويقوم بهذا كله موظف يقرر بأنه أخذها معه لإسعافها، وأنها رفضت الانصواف من منزله على حد ما ذهب في اعترافاته، أو ما ذهب إليه من أقوال..

وليس هذا الحادث فرديا.. بقدر ما هو حادث يتكرر.. ويتكرر ما هو أسوأ منه في كل وقت... وقد سمى حادثا لأنه ظهر سواء كان باختيار البنت أو رغمها...

وسواء أقتلها أهلها، أم وقع القانون على المعتدي.. أو أخذ بثأرها واحد أو آخر من إخوتها أو الأقربون...

كل هذا وغيره لا ينهي الموقف، ولا يحل المشكلات..

ونزل القرآن لإصلاح المجتمع وحمايته، ورعاية الأسرة والدفاع عنها.. نزل ليضمن سعادة الإنسان، ونزل مناسبا لجميع الناس على اختلاف ظروفهم وأحوالهم..

وقد أوجب الزواج عند خشية الزنا، ولكن الزواج يحتاج إلى المهر وإلى الاستعداد، وفي الإنسان طاقات تتنفس، ولا بد أن تكيف علاقات الذكر بالأنثى تكييفا سليما لا تتحطم معه خلقية الإنسان، ولا تنهار معه الأسرة حين يرتبط الرجل بعلاقات.. وترتبط الأنثى بعلاقات.. وسواء أكان هذا بالإغراء من طرف من الأطراف المعنية أو من الطرفين معا فالنتيجة هي النتيجة..

والحل ليس هو الزنا أو اللواطة أو السحاق بأية حال من الأحوال.. هذه الأمراض التي نشأت لأننا لم نفهم ما في القرآن من مثالية نتلمسها في " التصوف ".. وما فيه من واقعية معتدلة صافية نتلمسها في وقوله تعالى:

(خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها).

وما فيه من واقعية أكثر في مرونتها من ذلك، أو قل أقرب إلى طبيعة الإنسان بما فيه من هذه الغريزة المقيمة حين يجيز له الزواج من اثنتين وثلاث ورباع، بل إنه

يفتح للمسلم بابا آخر هو هذا الترخيص الوارد في قوله تعالى:

(والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم).

ثم يقول جل من قائل عقب هذا النص من الآية مباشرة:

(وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة،ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة، إن الله كان عليما حكيما).

وبهذه الآية (وأحل لكم ما وراء ذلكم...) تمسك فقهاء الشيعة من المذاهب الإسلامية الكبيرة...

ويحاول بعض الدارسين من معتنقي مذاهب أهل السنة أن يقول: بأن " المتعة " هنا هي الزواج العادي الدائم، ومثل هذا الكلام مردود، إذ من المحقق أن اصطلاح " المتعة " معروف ومقرر، ومن المقطوع به أنه أبيح على عهد رسول الله صلوات الله عليه، وعلى عهد أبي بكر، وجانب من خلافة عمر..وهو عند الشيعة لا يزال مباحا إلى اليوم..

كما يحاول بعض الدارسين على اتجاه أهل السنة أن يفسره أحيانا على أنه " ملك اليمين "وهي محاولة ساذجة للتهرب من الحقيقة، فملك اليمين لا يحتاج إلى بيان، وليس هو المقصود بهذه الآية على وجه من الوجوه، وملك اليمين هو ملك اليمين وليس شيئا آخر، هذا كله فوق أنه مذكور في صدر هذه الآية الكريمة موضوع الاستشهاد.

أما " ما وراء ذلكم " فما استمتعتم به منهن، ومن واجبكم حينئذ أن تلتزموا شروط ذلك، وأول هذه الشروط والأوامر:

" فآتوهن أجورهن فريضة ".. " محصنين غير مسافحين " متعففين غير مرتكبين للزنا، ملتزمين لكل شروط " المتعة " التي لا تضيع حقا لذي حق، إذ " المتعة " لا تتم

إلا بشروط وضعها الشارع الأكبر وبينها للناس...

هذا هو التفسير الذي وضحه لنا أئمة المجتهدين من الشيعة، وكل تكلف في التفسير والتخريج على غير هذا الوجه – إنما هو عندهم من باب تحريم ما أحل الله، وهو.. فيما نرى تعسف لا يحتمله النص على وجه من الوجوه..

وقد رأينا أن نختار نصا من كتاب " المحلى " للإمام ابن حزم المتوفى عام 654 هـ بالجزء التاسع في باب أحكام النكاح يتميز بعرض واضح، وتعريف محدد للمتعة.

وقد أشار الأستاذ الفكيكي إلى هذا النص في ص 38 من هذا الكتاب، غير أنني أنصح بالرجوع إليه كاملا في كتاب " ابن حزم " حيث يعرضه هذا الإمام بين يدي القارئ الكريم وعقله ليكون موضع الاحتكام.

على أننا نضيف إلى هذا بعد الدراسة الطويلة – أن أكثر من تسعين في المائة من المجتهدين، من سنة وشيعة أجمعوا على أن " المتعة " المذكورة في الآية الكريمة هي الزواج إلى أجل، وأن هذه الآية هي المرجع الأول في الإباحة.

أما النسخ فالمجتهدون من السنة يقررون أنه ورد بحديث عن النبي صلوات الله عليه، ونهيه عن ممارسة هذا الحق الذي منحه القرآن الكريم.

وقد عودنا القرآن حين يحرم شيئا أن يفصله ويكرره ويؤكده، بل غالبا ما يضع العقوبات للمخالفين...

قال تعالى: (وقد فصل لكم ما حرم عليكم).

وترتيبا على ذلك محال أن يحرم الله تعالى علينا ما لم يبينه لنا، وما لم يفصله على حد تعبيره تعالى في هذه الآية

المحكمة...

وإذا كانت المتعة قد أبيحت بنص من القرآن فلا بد من أن تحرم – إذا كان ثمة تحريم – بهذه الطريقة من البيان والتفصيل.

قد يقول قائل بأن فتح الباب لزواج المتعة سيغلق باب الزواج الدائم، وسيدفع الشباب إلى زواج المتعة دون الزواج الدائم، ولكنها حجة واهية لا تحتاج إلى نقاش ذلك أنه بالرغم من إباحة المتعة في كثير من أقطار الإسلام كالعراق وإيران وغيرهما، فلا زال الزواج الدائم هو السائد في غالب الأحيان.

ونقول إنه على الرغم من إباحة الطلاق عند أهل السنة وأهل الشيعة على السواء فلا زال كل متزوج حريصا على عدم استغلال هذه الرخصة المباحة حفاظا على الولد، ورعاية لجمع الشمل، ولا يلجأ إلى استخدام الطلاق إلا جاهل؟؟؟، أو رجل لا يقدر المسئولية، أو في حالة الاضطرار وهو الأمر الذي من أجله شرع هذا الترخيص.

وكم من زوجات آذين أزواجهن بالحق حينا، وبالباطل أحيانا بل غالبا، ألحقن بأزواجهن أضرارا جسيمة نتيجة لغيرة مفاجئة أو تحريض محكم من حماة أو جارة أو زميلة لا تريد بها وبزوجها إلا الشر والسوء لسبب أو لآخر من الأسباب، ومع ذلك آثر الأزواج المحافظة على البيت حرصا على ولد صالح أو بنت يؤذيها الانفصال كل الايذاء...ولأمر ما جعل هذا الترخيص في يد الرجل ولم يترك لأهواء المرأة حتى لا تكون –ولا نقول حتى لا يكون سببا للنكبات...

وجاءني صديق من أصدق شباب العراق، وهو أخي " مرتضى الرضوي " وطلب إلي أن أقدم هذا الكتاب، " وكنت قدمت له كتاب " وسائل الشيعة " من قبل وترددت، أستخير الله وأطلب السداد في الرأي، وطالعت الموضوع وتابعته أياما وشهورا وأنا أخلف موعد التسليم " المرتضى "وهو يلتمس الأعذار، وساعدني زميل مصري بإدارة الثقافة هو الأستاذ سعيد عبده، وأحضر لي بعض مخطوطات مصورة نادرة من كتابين جليلين هما:

1 – ناسخ الحديث ومنسوخه لأبي حفص ابن شاهين.

2 – نواسخ القرآن لابن الجوزي.

وأوجب علي الموقف بعد المطالعة والبحث أن أعرض هذا الموضوع هذا العرض العلمي الحيادي الإيجابي معا، لعله أن يكون موضع الدراسة لدى المختصين على منهج مثل هذا المنهج، واتجاه يتقارب مع هذا الاتجاه..

وليس من شأني في هذا التقديم أن أتعرض لتفصيلات " المتعة " ولها شروطها وقيودها التي بينها لنا العالم أو المحامي " توفيق الفكيكي " في كتابه الذي نقدمه الآن.

أما المتعة عند الشيعة فهي تدفع جرائم عديدة تهدد المجتمع كله بالدمار. وقد أوردنا إحصاء يكشف عن بعض هذه الجرائم، فيها المتزوج وفيها المتزوجة، وفيها الجران، والقريب الذي يدخل البيت مستظلا بقرابته، والصديق المستظل بصداقته.

والذي يغري المرأة، والذي تغريه المرأة.

وثمة ألوان غير هذه الجرائم من الشذوذ يعرفها الجميع، بل ويرونها حتى بين أولادهم وفلذات أكبادهم، فيخفون رؤسهم في الرمال دفعا للأخطار وما هكذا تحل مشاكل المجتمعات..

المتعة تقضي على الدعارة الرسمية، ونصف الرسمية، وغير الرسمية. وتقضي على الزاني الذي ينطلق كالحيوان إلى هذه وتلك.. والزانية التي تسلم نفسها لهذا وذاك دون عقد ودون شهادة من الشهود، ودون اعتبار " للعدة " التي تستغرق في المتعة المباحة عند الشيعة حيضتين كاملتين أو خمسا وأربعين يوما كاملا " حتى إذا كان ثمة " حمل " انكشف في خلال هذه المدة فألحق بأبيه، وصار مسؤلا عنه مما يدفع إلى إستدامة العلاقة الزوجية بالفعل..

أما الإسلام فقد وجد ليحارب كل هذا، لا ليحاربه بالسيف.. فالسيف أضعف

من أن يحل المشكلات. وإن قال الشعراء بغير ذلك.

السيف حين يحارب السرقة ينسى أن الرشوة أشد نكاية في هدم الشعوب من السرقة.

والسيف حين يحارب البغاء بالإلغاء – دون خطة واعية وتيسير للزواج والإحصان – ينسى أن الطبيعة البشرية أقوى من الإلغاء، وأقوى من المياه الهادرة، والأمواج الثائرة، والنيران المشتعلة.

والسيف حين يسلط حده على الظهور يتهرب الناس – جموع الناس – بظهورهم ليزحفوا إلى الرذيلة والفساد على بطونهم، متظاهرين بالتزلف إلى جلاديهم، والتقرب إلى الطغاة والمفسدين.. إلى أن ينفسخ كيانه وكيانهم..

وأساس الإسلام هو العقيدة قبل السيف..

وهو الفكرة القوية التي نعتقد أنها أقوى من كل الجيوش في أرجاء الأرض..

وهي أساس تكوين الشعوب في أي ركن من الأرض.. وهو بفكرته الثقافية يساير طبيعة الإنسان لينظمها ويشرع لها لا ليشرع ضدها أو يعترض طريقها.

وأخيرا وليس آخرا نقرر الفرق بين زواج المتعة، والزواج الذي نأخذ به عند أهل السنة:

فزواج المتعة المحدود بزمان معين لصاحبه مطلق الحرية في أن يمده إلى نهاية العمر.

وزواج أهل السنة – ذاك الذي لا يتقيد فيه بزمان – لصاحبه أيضا وبنص من القرآن أن يقطعه بالطلاق.

فالزواج المباح عند أهل السنة دائم إلى انقطاع، وزواج المتعة أيضا منقطع إلى اتصال.. وهذا هو الفرق العملي بينهما.

وليس هذا الفرق يهمنا ما هو غير موجود بالفعل.

وأخيرا نقول بأن: هذا الدين متين، وعلى الدارسين أن يوغلوا فيه برفق، وعليهم دراسة المشكلات دراسة متحررة من كل جمود، محررة من كل شوائب، وعرضها من كافة وجوهها بحيث لا يوجد بين المسلمين خلاف يفضي إلى ضرر أو ضرار.

القاهرة: عبد الهادي مسعود

* * *

– 3 –

علي ومناوئوه

لقد كان من واجبي أن أعترف على نفسي بالتقصير أو القصور إذ كتبت ترجمات عديدة من شخصيات أوروبية أو أجنبية ولم أتمكن من الكتابة عن عظماء التاريخ الإسلامي، وعلى رأس هؤلاء الإمام علي (عليه السلام).

ولم يكن بد – كما يحدث غالبا – أن ألقى بظلال هذا العتاب على الظروف والملابسات التي مرت ولا زال تمر بي لأدفع عن نفسي هذا القصور والتقصير أمام جمهور أحبه كل الحب – بل أحبه إلى حد العشق – وهو جمهور القارئين في الأقطار العربية والإسلامية الشقيقة.

وتقدم إلي الأستاذ " مرتضى الرضوي " لأكتب مقدمة لكتاب الدكتور نوري جعفر " علي ومناوئوه "، وكان ذلك في منتصف شهر شعبان 1394 هـ الموافق لأواخر الشهر الثامن أغسطس 1974 فقلت ما لنا ومناوئيه ولست منهم ولا شك أيها القارئ الكريم، كما وأنني لست منهم على التحقيق، ولقد أقبل الموسم القضائي – أيها الصديق مرتضى – ولنا فيه معارك على ساحة مجلس الدولة مما قد يشغلنا عن كثير مما يتوجب بذل الجهد والوقت فيه من قضايا الفكر والعقيدة والإيمان.

كنت أتوقى إلى الكتابة عن الإمام علي بن أبي طالب – منذ أمد بعيد – وهو أول فتى في الإسلام وفارس فرسانه، وكنت ولازلت أتوق لأن تكون الكتابة عنه تمهيدا لي وتمهيدا وللقراء أن أكتب عن الرسول (صلى الله عليه وسلم).

والكتابة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كتابة عن الإيمان وكتابة عن

الحكم الإسلامي في ظل الإيمان، وكتابة عن الإسلامية الصحيحة، ودفاع عن المسلمين على مر العصور، ومن حضر منهم في عهد علي (عليه السلام) ومن حضر بعده أو قبله، منذ تولت الرسالة على رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم).

وكان علي أن أنتظر سانح فرصة لأسجل بعض ما خطر في ذهني عن هذا الرجل العظيم.

وكان علي بن أبي طالب (عليه السلام) كما ورد في " الإصابة ": قد اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام " فهل كانت شهرته قاصرة على هذا المجال فحسب؟!

لقد أجمع الرواة – وروى ذلك متواترا طبقة عن طبقة –: أن علي بن أبي طالب هو أول فتى دخل في الإسلام، وسارت الركبان بهذا الحديث يسوقونه على أنه منزة لعلي، بمعنى أنه لم يعش الجاهلية، وإنما يكاد يكون مسلما – منذ أدرك – فهل كانت هذه هي منزته فحسب؟!

كان علي ابن عم الرسول الأعظم ومتبناه.

وكان علي أخا لرسول الله والرسول أخوه [1] كما يروي الرواة الثقات – نقلا عن

---

(1) حديث مؤاخات الرسول مع الإمام علي (عليهما السلام) تجده في المصادر الآتية:

1 – الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: 2 / 507 ط مصر.

2 – البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي: 7 / 348 حديث المؤاخاة.

3 – إحياء العلوم لأبي حامد الغزالي: 2 / 173 الباب الثالث في حق المسلم والرحم ط دار القلم بيروت.

4 – أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير: 2 / 221 ط مصر.

5 – إسعاف الراغبين للصبان: ص 149 – 155 بهامش نور الأبصار للشبلنجي ط مصر عام 1321 هج.

6 – الإستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: 3 / 1103 تحقيق علي محمد البجاوي ط نهضة مصر بالقاهرة.

7 – أسمى المطالب للجزري الدمشقي: ص 62 ط بيروت.

8 – الأعلام للزركلي: 4 / 295 طبعة سابعة عام 1986 م بيروت دار العلم للملايين.

9 – الإمام جعفر الصادق لعبد الحليم الجندي ص 20 ط مصر عام 1977 (توفيق عويضه).

10 – تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري: 2 / 217 الطبعة الأولى المطبعة الحسينية بمصر.

11 – تاريخ الخلفاء للشيخ عبد الرحمن السيوطي ص 166 – 170 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط القاهرة.

12 – تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص 30 ط مؤسسة أهل البيت بيروت عام 1401 هـ.

13 – ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: 1 / 117 – 125 ط بيروت.

14 – ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: 2 / 442 ط بيروت – لبنان.

15 – تلخيص المستدرك للذهبي: 3 / 14 ط حيدر آباد – الهند.

16 – جامع الأصول لابن الأثير الجزري: 9 / 468 ط مصر.
17 – جريدة السياسة المصرية ملحق عدد 2751: صادر في 19 مارس عام 1932 م بالقاهرة.
18 – حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني: 7 / 256 ط مؤسسة الخانجي بالقاهرة.
19 – حياة محمد، محمد حسين هيكل: ص 104 الطبعة الأولى بمصر عام 1954 م.
20 – خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ص 18 – 19 ط مصر عام 1348 هـ.
21 – ذخائر العقبى للمحب الطوي: ص 65 ط حسام الدين صاحب مكتبة القدسي بالقاهرة.
22 – الرياض النضرة للمحب الطوي 3 / 111 – 113 دار الندوة الجديدة بيروت.
23 – السنن لابن ماجة القزويني: 1 / 44 ط مصر تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
24 – سنن الترمذي لأبي عيسى محمد: 5 / 636 تحقيق إبراهيم عطوة عوض ط مصر.
25 – السيرة النبوية لابن هشام: 2 / 505 تحقيق مصطفى الصفا، ط مصر.
26 – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1 / 284 – 399 الطبعة الأولى عيسى البابي الحلبي بمصر.
27 – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2 / 61 – 429 الطبعة الأولى عيسى البابي.
28 – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 3 / 259 – 261 الطبعة الأولى.
29 – شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: 1 / 274 ط بيروت.
30 – الشرف المؤبد لآل محمد للنبهاني: ص 62 ط بيروت عام 1309 هج.
31 – شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: 1 / 50 ط القاهرة.
32 – شذرات الذهب لابن العمار الحنبلي: 3 / 383 ط القاهرة.
33 – الطبقات الكبرى لابن سعد: 3 / 14 ط ليدن 3 / 22 ط بيروت.
34 – علي وحقوق الإنسان جورج جرداق: 1 / 60 ط بيروت.
35 – علي بن أبي طالب عبد الكريم الخطيب ص 110 ط مصر عام 1969 ط دار الفكر العربي.
36 – فرائد السمطين للحموييني الشافعي: 1 / 111 – 117 – 121 طبع بيروت.
37 – فيض القدير لمحمد بن عبد الرؤوف المناوي: 4 / 355 ط مصر.
38 – كفاية الطالب للگنجي الشافعي: ص 168 – 193 – 238 ط دار إحياء التراث – بيروت.
39 – كنوز الحقائق للمناوي: 1 / 51 بهامش الجامع الصغير للسيوطي ط القاهرة.
40 – كنز العمال للمتقي الهندي: 11 / 598 رقم الحديث 23879 ط مؤسسة الرسالة. بيروت.
41 – مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد لابن حجر الهيثمي: 9 / 111 – 112 – 209 ط مصر.
42 – مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري: 3 / 14.

43 – مسند الإمام أحمد بن حنبل: 1 / 159 – 230 ط مصر.

44 – معجم المؤلفين عمر رضا كحالة: 7 / 112 ط بيروت.

45 – مناقب علي بن أبي طالب للمغازلي: ص 37 – 39.

46 – منتخب كنز العمال للمتقي الهندي: 5 / 32 – 46 – 117 ط مصر.

47 – معجم الشيوخ لابن الأعرابي: (مخطوط) الورق 17 كما في ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر.

48 – ترك الأوطار للبدخشي: ص 65 ط بمبئ – الهند.

49 – نظم درر السمطين للزرندي: ص 94 ط – العراق.

50 – نور الأبصار للشيخ مؤمن الشبلنجي: ص 5 ط مصر.

51 – وفيات الأعيان لابن خلكان: 5 / 231 ط مصر.

52 – ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: 1 / 56 ط استانبول عام 1301.

الرسول " نفسه حينما كان يتحدث عن ابن عمه علي.

وكان بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لم يكن ثمة نبي بعد محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم).

وكان هو وزير النبي وخليفته من بعده [1].

وتلك نصوص قاطعة عن الرسول، قاطعة الدلالة على إمامة علي فهل تكفي هذه الإشارات اللامحة للكشف عن أحقيته في الإمامة (عليه السلام)؟

قال ابن مسعود في شأن الإمام: كنا نتحدث عن أن أفضل أهل المدينة هو علي ".

بل إن عمر نفسه كان يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن، وكان يقول: " لولا علي لهلك عمر ".

وهناك جوانب أخرى عديدة يجب أن نجليها لأنفسنا وللعالم كله على السواء...

لقد نقض بعض الذين بايعوا عليا، ونقضوا ما عقدوا عليه العزم وكانت الحروب بين المسلمين إلى أن انتهى صراعها بانتصار الأقوياء، ولم تنته المعارك بانتصار الحق، إذ لو انتصر الحق لكان علي (عليه السلام) هو الحقيقة المجسدة، وكان نصوه فوق كيد الكائدين، وقوة المال والسلاح، وسطوة البغي والغرض، والدهاء والإغواء..

ولأمر ما أراد الله أن تدخل دولة المسلمين في محنة كبرى، ولما تستقر أصول الإسلام في نفوس الناس،ولا سرت روحه في دمائهم على الوجه الذي كنا نظنه في أول براءة لنا لقضية صدر الإسلام، ومن المعلوم الذي يجب أن يكون بديهة في نفوس الباحثين أن نعلم أن الإسلام هو صحوة المستقبل للعالم كله. ولم يكن – كما كنا نتخيل أحيانا – دعوة الزمن الذي ظهر

فيه وحده... لأن إطاره المكاني هو العالم كله، والإطار الذي يتحرك من خلاله – من حيث الأزمنة والعصور – هو كل الأزمنة

(1) أنظر " المستدرك على الصحيحين " 3 / 109، " مسند الإمام أحمد " 4 / 281 الطبعة الأولى " خصائص الإمام علي " للنسائي ص 21 طبعة مصر - " تفسير الفخر الرازي " 13 / 48، 49 - " أسباب النزول " للواحدي ص 125 طبعة مؤسسة الحلبي - " حياة محمد " للأستاذ محمد حسين هيكل الطبعة الأولى ص 104 - " جريدة السياسة المصرية " ملحق عدد 2751.

وكل العصور، منذ ظهر الرسول – صلوات الله عليه – حتى يرث الله الأرض ومن عليها..

ولقد علمنا من الصراع بين علي (عليه السلام) وبين معاوية أن السلطة قد انتقلت إلى معاوية بن أبي سفيان بن حرب... وأمه هند آكلة الأكباد.. التي نهشت جسد عم الرسول حمزة (عليه السلام)، وفلقت رأسه.. وأكلت كبده... شفاء لحقدها على الرسالة وأهلها – حينذاك – واستبد معاوية بالناس، وأحال الخلافة ملكا عضوضا، واستحصل من الناس – جبرا وقسرا – على عهد لابنه " يزيد ".. ونحن نعلم من هو " يزيد " وما كان عجبا أن يكون هو " يزيد " لأنه ورث القسوة والفجور، ومستمد الفساد من شجرة الفساد... والعرق دساس... ونحن لا نجري الأبحاث – مع الأسف الشديد – عن شجرة الرجال، وأصول الرجال.

لقد عمل اليهود – من خلال كل الجهود – على تدمير علم الأنساب لتختلط العائلات ويمكن من خلال هذا الاختلاط أن يندس في وسط كل قطر من أقطار الإسلام طبقة من اليهود يدعون الإسلام ليفسدوا فيه، وكانوا يناصرون كل من يدعو للفتنة.

ولكن بنية الإسلام القوية رغم كل ما مر بها لم تتوقف عن النماء ولم يزعزع عقيدة الإسلام ما مارسه بنو أمية من طغيان.

ولقد أحاط المفسدون بحكام الدولة الإسلامية ليحولوا بينهم وبين كل إصلاح ... محاولين إيقاع الفتنة في دولة المسلمين.

لقد قيل إن بناء الجماعة تصدع على عهد علي، ومن قبله كان الثائرون محاصرون بيت " عثمان " فهل قرر هذا أو ذاك: مصير الإسلام والقرآن؟!

إن هذا الدين الخالد مر بهذه المحنة وبغيرها من المحن وخرج منها أقوى مما كان

قبلها، ذلك أن بنية العقيدة أقوى من أن تحطمها الرضوض والآلام.

أكلت الحروب بين علي وخصومه عددا كبيرا من المسلمين ولم يكن متوقعا أن يحدث ذلك على وجه من الوجوه إلا أن اتساع الملك والسلطان كان يقتضي ذلك، وكان يقتضي غيره من ألوان الصراع... وكانت هذه المحن – في رأيي – هي درجة الغليان التي أحاطت بالدين الجديد فحفظت الشعب أن ينهار أمام الحضارات المجاورة، وأمام الفتوحات الوسيعة المدى بما تحتويه من أفكار جديدة واتجاهات متعددة مختلفة الألوان والأحجام.

إن علينا أن ندرس كل أولئك حين ندرس شخصية هذا البطل العظيم في تاريخ الإسلام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وعلينا أن نعلم: أن انفصام عرى الوحدة بين المسلمين، وتفرقهم في الآراء والمذاهب والأحزاب كل ينصر رأيه بالقول

وبالعمل على رأي خصمه، وكل يصطرع في سبيل عقيدته هذه أو تلك بالفكر حينا وبالسلوك أحيانا، وعلينا أن ندرك أن هذا كله وغيره ليس إلا دلائل صحة، لا دلائل وهن أو هزيمة، وأن الصراع دائما يدل على اليقظة لا على الموت، ما دام لا يفضي إلى انشقاق في صفوف الأمة، أو مواجهة عدائية بين الطوائف.

وقد اكتمل الدين حينما اكتمل نزول القرآن، ولقد كان الإسلام على عهد الرسول دعوة وفكرة – أكثر منه دولة وسلطانا، وإذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم) قد أقام دولة على أساس من التشريع القرآني، فقد كانت دولة صغيرة الحدود على أية حال، ولكنها كانت نوبة قوية، قابلة دائما على النمو والازدهار، وبقي أن تكتمل الدولة بعد ذلك فتوسع من آفاقها وتنشر من سلطانها على هذه الأسس السليمة، كانت نواة في مثل صلابة " الجرانيت " يحمل لواءها نفر من المؤمنين الأتقياء لا يبالون أين يكون

الموت، إذا هو – عندهم – دور من أدوار الحياة، ومرحلة من مراحل الوجود، فهم لا يخشون شيئا ولا أحدا ولا دولة من الدول، ولا حكومة من الحكومات، وإنما يذيعون نظريتهم في مجال الفكر وفي مجال التطبيق على السواء، وقد بدأ صفوة المسلمين – وعلى رأسهم – علي (عليه السلام) يتوقون إلى بناء الدولة الوليدة، على أساس من النظرية والعقيدة، واختلفت الآراء بين الصفوة وبين عامة من المسلمين، ممن لم تتدخل العقيدة في مسرى دمائهم.

كانت الدولة وليدة في المهد، وقد تعرض الوليد لكل ما يتعرض له الوليد من محن تكبر في عينه هو، وإن صغرت في عين الزمن، الذي أثبت دائما أن البقاء للأصلح وأن الخلود للإيمان.

مرت دولة المسلمين في محنة كبرى فآذت المحنة دولتهم، ولم تنل من دينهم، وللنشأة الجديدة ثورات وحركات وصراعات، سنرى جوانب منها حين ندرس الإمام، وما أحاط به، وبالمسلمين من حوادث، وأحداث...

وسنرى جوانب منها حين نطالع صفحات هذا الكتاب.

عبد الهادي مسعود

وكيل وزارة الثقافة والإرشاد القومي

القاهرة في: 18 شعبان 1394 هـ 5 سبتمبر 1974 م

وفي 10 / 5 / 1970 م أرسلت من النجف الأشرف – العراق خطابا للأستاذ عبد الهادي مسعود إلى القاهرة طلبت منه أن يكتب تقديما لكتاب " المدخل لدراسة التشريع الإسلامي " لمؤلفه العلامة الكاتب القدير الشيخ محمد مهدي الآصفي

صاحب التآليف الكثيرة وكنت قد عزمت على طبعه ونشره في القاهرة فاستأذنت المؤلف حفظه الله تعالى – في ذلك – وبعد موافقته أرسلت خطابا ثانيا للأستاذ عبد الهادي مسعود مطالبا إياه بكتابة التقديم عن الكتاب فجاءني منه هذا الخطاب وإليك نصه:

أخي الأستاذ السيد مرتضى الرضوي:

بكل ما في نفسي من مشاعر الود والمحبة أحييك وأرجو لك – أيها الصديق الصدوق – كل سعادة وهناء.

أرسلت إلي منذ أشهر تطلب مقدمة لكتاب " المدخل إلى دراسة التشريع الإسلامي " وتهاونت من جانبي في الرد لأن في قلبي ونفسي شيئا بالغ الخطورة نحوك، ولقد مكثت في القاهرة طويلا وسألت عنك كثيرا ولم تكلف نفسك بالنسبة لي سوى زيارة يتيمة، ولم تكن سيادتكم تمكث في " اللوكاندة " إلا سويعات نومك وما أقلها والتليفونات لا تجدي فتيلا، فهل بمثل هذه المعاملة تنتظر مني أن أتوجه إلى القلم لأكتب إليك بمجرد وصول خطابك؟ سامحك الله.

المقدمة: اقتنعت بها وبدأت أسطرها وما أظنني منتهيا منها إلا بعد ثلاثة أسابيع – أخطرني فورا بأنك لا زال تنتظرها ولم تكلف أحدا غيري بها، وإلا فأخطرني بعكس ذلك إذا كان الأمر قد أحوجك إليه.

تحياتي إليك وإلى السادة: السيد الأستاذ محمد تقي الحكيم، مشكور الأسدي والسيد جواد شبر، والقصصي الكبير جعفر الخليلي وكل الأحباء في العراق، وقد

جعلت من كتابتي إليك متنفسا لأشواقي إلى العراق، وأدباء العراق، وكتاب العراق.

وأساتذته والنابهين من علمائه، ورجالات الشيعة الأجلاء نفعنا الله بهم.

والسنة أيضا أيها الحبيب أنا أعلم مقدار ثورتك حين تثور ولكن الحب يعمو ولا يخص، وكل عراقي بالنسبة لي شقيق ما دام مخلصا لقضية الإسلام، ذائدا عن حوضه، منبعثا عن إيمان صادق بالله وبالمستقبل الوضيء.

منتظر خطابك بعنواني: 14 شارع شبر " وتحياتي لك.

القاهرة: 28 / 6 / 1970

عبد الهادي مسعود

الإبيلي

وقد وصل هذا الخطاب إلى شقيقي المهندس السيد مهدي الرضوي حفظه الله تعالى وأبقاه، وكنت حينذاك في باكستان استكمل أداء الرسالة التي وضعت كل جهودي لتدعيمها، وكان الوالد تغمده الله برحمته الواسعة يعاني من مرض ألم به، ورأى شقيقي أن يسارع بالرد على هذا الخطاب خشية أن يمتد حبل العتاب فكتب إلى سيادته يقول:

بغداد في 10 / 8 / 1970

سيادة الأخ الأستاذ عبد الهادي مسعود.

تحية عطرة مفعمة بالمودة والتقدير.

وبعد.. فهذه الرسالة يا سيدي العزيز من شخص يعرفك على البعد ومنذ زمن غير قصير، وإن لم تتح له فرصة التشرف

بلقائك، والتي أرجو أن تتاح لي في المستقبل إن شاء الله.

ولا أشك أن سيادتك عرفت بعد هذه المقدمة أني تعرفت عليك من خلال كتبك وبحوثك وهذا صحيح إلا أن معرفتي بكم تمتد إلى أبعد من معرفة القارئ بالكاتب فطالما كنت أسمع اسمكم الكريم مشفوعا بالذكر العاطر والثناء الجميل من شقيقي الأكبر " مرتضى الرضوي " الذي يعتز برباط الأخوة الصادقة التي جمعتكمارغم بعد الديار، وهكذا فقد وجدت الفرصة سانحة لأقوم بواجب الرد على رسالتكم الكريمة نيابة عن أخي الذي مضى على سفره شهران وبضعة أيام وأظنه الآن في " باكستان " إذ لم يصلني منه خلال هذه المدة غير خطابين، ومن هذا ترون سيادتكم إننا معا محقان في أن نعتب عليه كما أننا متفقان على سؤالكم الله أن يسامحه، وأؤكد لكم أن أخي إن تهاون يوما في أداء الواجبات تجاه إخوانه فهو لا ينساهم أبدا.

بالنسبة لي فأنا أعيش في بغداد، وأقول " أعيش "ولا أقول " أعمل " لسبب بسيط هو إنني دون عمل، فقد تخرجت من كلية الهندسة قبل زهاء شهرين ولم أرتبط

بعمل حتى الآن، وخلال الأسبوع الماضي قصدت " النجف الأشرف " حيث مقر عمل أخي وفتحت كافة الرسائل التي وصلت بعد سفره وتركتها – ليقوم بالرد عليها بعد عودته إن شاء الله – إلا رسالة واحدة هي رسالتك أيها السيد النبيل فقد حملتها معي إلى بغداد لأكتب لكم عن وصولها يفوض علي ذلك مودتكم الصادقة لأخي وإياكي أن تأخير الرد حتى عودة الأخ قد يوحي إليكم بأن في الأمر تهاونا من قبله، ويعز علي أن أدع أخا مثلكم يتصور شيئا كهذا فليس للسيد مرتضى ذنب في التأخير لأنه في السادس من تموز "وهو تاريخ وصول الرسالة إلى المحل " كان قد غادر " النجف "وأؤكد لكم إنه سيكتب لكم بعد عودته إن شاء الله.

أما بالنسبة للمقدمة التي طلبها الأخ فلا أذكر أنه حدثني بشئ عن موضوعها ولكنه بالطبع ينتظرها. وأود أن أضيف لكم أنه ليس وحده الذي ينتظرها. كما وإني واثق أنه لم يطلب من غيركم ذلك، وأكثر ثقة بأنه لن يطلب من سواكم تقديم الكتاب خاصة بعد اقتناعكم بفكرتها وابتدائكم بكتابتها كما تفضلتم بذكره في رسالتكم.

يوم أمس وفي سوق الكتب ببغداد قابلت السيد جواد شبر وبلغته سلامكم أما الباقون فسأترك ذلك إلى الأخ لأن معرفتي بأكثرهم لا تتعدى الأسماء، ويجهلني من أعرفه منهم إلا الأستاذ " جعفر الخليلي " فهو من أقربائنا وهو بالضبط ابن خال جدي لأمي!

أخيرا أود أن أشير إلى الكلمة اللطيفة التي ختمتم بها رسالتكم "وإن كنت لم أجد في كل كلماتها إلا اللطف " تلك هي قولكم: "وأنا أعلم مقدار ثورتك حين تثور إلا أن الحب يعمو ولا يخص ". حقا يا سيدي الفاضل إن الحب يعمو ولا يخص، وهذا القول أكثر انطباقا على المحبة التابعة من أخوة العقيدة ووحدة الهدف وهي ما يجمع أهل القبلة كلهم بحمد الله.

أما عن الثورية التي ذكرتموها فهي إرث لنا من علي والحسين وزيد ويحيى:ولا أشك في أنكم ترون معي أنها ثورية

مخلصة رائدها الحق وحده بل والمحبة أيضا.

وتقبلوا في الختام أطيب تحياتي وأحر سلامي؟

بغداد:

مهدي الوضوي

ومن الأسف أنه حتى الآن لم تتم كتابة المقدمة التي وعدنا بها الأستاذ:

عبد الهادي مسعود لكتاب: " المدخل لدراسة التشريع الإسلامي "...

وبإعادة الاتصال به في أوائل عام 1974 م وعد سيادته بكتابة المقدمة من جديد... وإن كان قد تعذر الوفاء، عن ظروف عدم وفائه بما طلبنا إليه.

أطلعني أخي " السيد مرتضى " على الأسطر الأخيرة بما كتب عني في مؤلفه القيم " معرجال الفكر في القاهرة " وهو عتاب عن تأخير كتابة المقدمة لكتاب: " المدخل لدراسة التشريع الإسلامي " للأستاذ العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي.

والطلب فيما أرى يسير عسير، سهل ممتنع، ولكنه يحتاج إلى وقت وجهد، ولو قد عشت في بلدي حياة طبيعية في العشرين سنة الأخيرة لأمكنني بإذن الله وعونه أن آتي في مثل هذه المقدمة التي يطلبها الأخ " السيد مرتضى " بجديد يشفي غلتي ويرضي ضميري فأدفعه إليه ليدفعه بدوره إلى المطبعة ثم إلى القارئ الذي نجله ويجب أن نجله، ونحترمه ويتحتم علينا أن نحترمه.

لقد تعودت أن أعوض على قرائي الذين أحببتهم شيئا جديدا أو مبتكرا أو

عميقا وجادا، ويحجبني ذلك عن الإدلاء بأي كلام مما يردده عامة الباحثين ممن نعرفهم وشبعنا منهم، فالعنصر الجديد، أو الفكرة الخلاقة العميقة هي مذهبي وديدني لا أحيد عنهما.

أما الكتابة المرتجلة فقد تكون ميسورة لمن لا يقدر المسئولية حقها.

والحق إنني أعاني منذ عشر سنوات بصفة خاصة اضطهادا حادا في مجال العمل يحجبني ولا يزال عن أي رياسة جادة، بل إنه قد أصابني بأضرار جسيمة عديدة، أصابتني وأصابت الفكر وموازين المنطق والعدالة في الصميم، يكفي أن أستدل في هذا المجال بقضية أودعت صحيفتها في مجلس الدولة في 23 / 11 / 1968 ولم يكتب عنها تقرير المفوضين – وهو تقرير تمهيدي – إلى اليوم.

إن فكرة العدالة مرتبطة تماما بالتشريع الإسلامي العظيم، فإذا تهددتها عوارض فذلك هو الكيد في الخصومة الذي لا يرتضيه المشرع الوضعي فضلا عن التشريع الإلهي السماوي، ولقد مارست التقاضي بمجلس الدولة بما جعلني مؤهلا لكتابة المقدمة التي تريدها أيها الصديق.

لم يدخلني الشك في أن آخر قلعة من قلاع الشعب في مصر اليوم هي السلطة القضائية، تلك القلعة المصونة التي اهتزت

اهتزا بشعا ورهيبا ولمرات عديدة في الآونة الأخيرة، ومع ذلك فإنني أرجو أن أقول:

لا زال حتى الآن تنال احترام العالم كله، ولقدرد لهارئيسنا المحبوب " محمد أنور السادات " كرامتها، غير أن التشريع الإسلامي هو ملاذنا الأول والأخير بعد هذه المراحل الطويلة التي كان مصدرنا للتشريع خلالها هو القانون الوضعي.

إن التشريع الإسلامي الذي يستمد من القرآن الكريم، هو الكفيل وحده بردع الظالمين الذين لا يرعون في الحق إلاولا ذمة، ويوقع أشد العقوبات على المنحرفين

والمفسدين، وهو في ذات الوقت يوقظ ضمائر القضاة، ويذكي فيهم شرارة الإيمان بالمثل، والقوة على التصدي للأغراض، مما لا يدع لها أثرا على نفوسهم، أو قوة على التأثير فيهم، ونحن إذ نقبل في هذه الأيام على موعد معركة " بدر " الكبرى على عهد الرسول صلوات الله عليه وعلى آله، وإذ نتذكر معركة العبور في مواجهة عدوان إسرائيل وصنائعها ومسانيدها نذكر كل أولئك ونذكر به ليكون لنا منها وحي يؤيد وجهة النظر التي تدعو إلى الرجوع للقرآن، والتمسك بتشريعات القرآن الكريم.

القاهرة:

عبد الهادي مسعود الإبيلي

وكيل وزارة الثقافة والإرشاد القومي

- 38 -

الأستاذ عبد الرحمن محمد النجار

من علماء الدعوة والإرشاد

ومدير المركز الإسلامي بدار السلام (سابقا)

- ولد بمدينة " بيلة " بمحافظة كفر الشيخ عام 1923.
- حفظ القرآن الكريم عند كتاب القرية عام 1933 م.
- التحق بالأزهر بالجامع الأحمدي بطنطا عام 1936.
- التحق بكلية أصول الدين في القاهرة عام 1945 م.
- تخرج في كلية أصول الدين عام 1949 م.
- التحق بكلية اللغة العربية وحصل على إجازة التدريس عام 1959 م.
- التحق بالدراسات العليا بالأزهر وحصل على الماجستير في الدعوة والإرشاد عام 1970 م.
- بعث إلى السعودية لنشر الثقافة الإسلامية عام 1950 م.
- عين رئيسا لبعثة الأزهر إلى الصومال وشيخا لمعهد الدراسات الإسلامية في " مقديشيو " بقرار جمهوري مكث فيها 6 سنوات من عام 1957 إلى عام 1963 م.

- عاد إلى القاهرة وكيلا لإدارة المساجد في وزارة الأوقاف، ثم مديرا للمساجد وهي وظيفة التي يشغلها الآن من 1963 م عقب عودته من الصومال.
- عين مديرا للمركز الإسلامي بجمهورية " تنزانيا " في شرق إفريقيا عام 1972 م.
- أهم آثاره المطبوعة: كتاب " الإسلام في الصومال " " كلمات على طريق الإيمان " كتاب: " خواطر مؤمنة " التفسير الميسر لتعليم القرآن " طبع باللغة العربية والسواحلية وغيرها.
- له مقالات في الصحف والمجلات الإسلامية في القاهرة والكويت ولبنان والسعودية.
- تعرفت إليه في مكتبه بوزارة الأوقاف عام 1976 م.
- من علماء الدعوة والإرشاد.
- يدعو إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية.
- رأيه في الشيعة الإمامية: أنهم يمثلون نصف المسلمين في العالم.

في رحلتي إلى القاهرة عام 1396 هـ - 1976 م قصدت زيارة صديقنا الأستاذ العلامة المحقق الشيخ محمد سيد جاد الحق في داره العامرة في شارع الخليفة المتفرع من شارع الأهرام وجرى الحديث عنده عن بعض الأعلام الطيبين فقال:

كنت قبل أيام عند الأستاذ العلامة الشيخ عبد الرحمن محمد النجار مدير المساجد بوزارة الأوقاف وحدثته عنك ورغب أن تزوره وقال لي:

أتمنى أن أراه وأسعد بلقائه.

وإجابة لطلب الأستاذ قررنا يوم الخميس 22 ربيع الثاني في تمام الساعة الحادية عشر صباحا أن نلتقي بالأستاذ الشيخ محمد سيد جاد الحق عند باب وزارة الأوقاف لنكون في صحبته لزيارة الأستاذ العلامة الشيخ عبد الرحمن النجار مدير المساجد.

وفي الموعد المحدد وصلت الوزارة ورأيت فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق بانتظاري وكنت قد صحبت معي كتاب: " علي ومناوئوه ".

ولما دخلنا عليه رحب بنا كثيرا وجلست بالقرب منه وبعد تبادل التحيات الإسلامية فتحت الحوار معه وطلبت منه أن يملي علي ترجمته لأسجلها ضمن الحوار معه في كتابي هذا: " معرجال الفكر في القاهرة " فتفضل مشكورا بإملائها علي ودونتها في الحال وقلت لفضيلته:

أريد أن أسجل لكم حديثا في كتابي " معرجال الفكر في القاهرة " وقد أعددته الآن للطبعة الثالثة وظهرت عدة ملازم منه ولعلنا نوفق لتسجيل هذا الحوار فيه وعند الفراغ من طبعه سنقدم لكم نسخة منه إن شاء الله وبعد ذلك طلبت منه تعيين

وقت آخر لمقابلته في مكتبه: بوزارة الأوقاف فقال: يوم الاثنين القادم إن شاء الله.

وفي يوم الاثنين 26 ربيع الثاني قصدت زيارته وصحبت معي كتابي: " معرجال الفكر " الطبعة الأولى منه وعندما دخلت عليه جلست على كرسي إلى جنبه وأخرجت الكتاب وقدمته لفضيلته وقلت:

ما هي انطباعاتكم عن الشيعة وما هو رأيكم في فتح باب الاجتهاد عندها؟

أجاب فضيلته:

لا يمكن أن يغفل رأي الشيعة لأنهم يمثلون نصف المسلمين في العالم [1] فليس من المعقول أن يهمل اجتهادهم، أو يتخذ منهم موقف الرفض والعداء في الوقت الذي ننادي فيه بتجميع كلمة المسلمين حول عقيدة التوحيد لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

والشيعة لهم اجتهادات طيبة في الفقه ولا أدري لماذا يتغافل المسلمون السنيون عنها أو يهملونها، مع أن الكثير منها يحقق التفاعل مع المجتمع في عصرنا الحديث.

كما وأن الشيعة وجدتهم في منطقة شرق إفريقيا حيث كنت أعمل هناك مدرسا

---

(1) " تنويه عن الشيعة في خطاب الرئيس أنور السادات.

نشرت جريدة الأهرام القاهرية في عددها المرقم... الصادر في 26 / 12 / 1975 م ضمن خطاب السيد الرئيس أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية قال:

اكتشفت شيء أكثر.. اكتشفت أنه نصف المسلمين تقريبا اللي بيشكلوا حوالي (600) مليون وأنا سكرتير المؤتمر الإسلامي نصفهم تقريبا من الشيعة والنصف الآخر من السنة.

في آسيا يكثر عدد الشيعة. اللغة الفارسية في آسيا في إيران، دي لغة رسمية زي ما إحنا عارفين، وأفغانستان أيضا عن اللغة الرسمية بتاعها.

في باكستان والهند لقيت اللغة الفارسية لغة الثقافة العالية، يعني الذي يعرف فارسي في الهند وأفغانستان ينظر له بعين الاحترام... الخ الخطاب.

– المؤلف –

للمركز الإسلامي في جمهورية " تنزانيا " وجدتهم يؤدون خدمات جليلة للإسلام في هذه المنطقة وفي " كينيا " وفي " أوغندا " وفي " تنزانيا " وفي "زامبيا " وفي " موزمبيق " ولهم نشاطهم في إقامة المساجد وتعميرها.

وقلت لفضيلته:

ما هو السبب في غلق باب الاجتهاد عند السنة؟

أجاب: في حالة تعجب وقال: من هو أغلق باب الاجتهاد!

إن الذي أغلق باب الاجتهاد عنده من الجمود الفكري والتعصب الأعمى ولا نحاسب نحن المسلمين على هذا الجمود ونلح

بفتح باب الاجتهاد لمن تتوفر فيه أهلية الاجتهاد وسألت فضيلته عن كتاب " المراجعات " [1] وقلت:

هل اطلعتم على كتاب " المراجعات " للسيد شرف الدين؟

قال: وجدت كتاب " المراجعات " في " تونانيا " ولم يكن عندي نسخة منه فقدمت لفضيلته: مجموعة من مطبوعاتنا في القاهرة مع كتاب " الإمام الصادق والمذاهب الأربعة " وكتاب المراجعات " لآية الله المغفور له السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي وهو: رسائل متبادلة بينه وبين الأستاذ الأكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر حول: أصول المذهب والإمامة العامة.

وفي إحدى زيارتي له في مكتبه بوزارة الأوقاف قلت:

ما هو رأيكم في وجهة التقريب بين المذاهب الإسلامية.

أجاب فضيلته:

---

(1) أعددنا طبعه في القاهرة: بمطبعة دار المعلم للطباعة وهي الطبعة " 17 " للكتاب.

– المؤلف –

هذا أمر مفروغ منه، على العلماء أن يقوموا به حفاظا على جمع كلمة المسلمين خصوصا وأن هذه المذاهب كلها تستند إلى المصادر الرئيسية وهي: الكتاب والسنة:

ثم قلت: ما رأي فضيلتكم في بعض الأساتذة الدكاترة [1]، والمدرسين المتظاهرين بالعداء السافر تجاه الشيعة الإمامية [2]، ومعتقداتهم.

قال فضيلته:

لا ينبغي أبدا أن تثار خلافات مذهبية تفوق الصف الإسلامي المتجمع في مواجهة التيارات العنيفة المناوئة للإسلام في الصهيونية، والاستعمار، والمذاهب الدخيلة على مجتمعنا الإسلامي.

إن تفويق الصف أمام هذه التحديات إثم كثير.

وقلت: ما هي انطباعاتكم عن شعب إيران المسلم.

قال: شعب بانضمام حضارته القديمة إلى ما أنعم الله عليه به من نعمة الإسلام جعله من أرقى الشعوب ثقافة وعلما، وأدبا ومن أعرقها أصالة في فهم الإسلام والحرص عليه والدفاع عنه. ونعتبر الشعب الإيراني هو خط المواجهة أمام التيارات المناوئة للإسلام.

ثم قلت: ما هو رأي أستاذنا في الفتوى التي أصدرها الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت شيخ الأزهر الأسبق بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية.

أجاب فضيلته: فتوى الشيخ شلتوت نفتي بها الآن حينما نسأل بلا تقييد

(1) قال العلامة المغفور له: الشيخ محمود أبو ريه حول لقب: الدكترة إن هذا اللقب قد هان أخيرا في بلادنا حتى فقد معناه المعروف عندنا...

أنظر: شيخ المضيرة صفحة 7 الطبعة الثالثة لدار المعارف بمصر.

(2) الشيعة: الفرقة والجماعة.

الصفحة 327

بالمذاهب الأربعة والشيخ شلتوت إمام مجتهدرأيه صادف عين الحق لماذا نقتصر في تفكيرنا وفتوانا على مذاهب معينة وكلهم مجتهدون.

وقلت: ما هورأي فضيلتكم في حضارة إيران الإسلامية.

أجاب: الحضارة الإيرانية اليوم امتداد للحضارة الفارسية القديمة التي أثرت في الثقافة العربية عن طريق ترجمة أفكارها في العصر العباسي كما هو معروف وتفتحت بذلك الآفاق أمام الفكر العربي واستطاع أن يبدع نتيجة امتزاج الثقافتين الفارسية والعربيةولا يغيب عن بالنا أعلام الإسلام مثل: ابن سينا والموسوعة العلمية للفلسفة والطب والحكمة وما إلى غير ذلك كما أن الفكر العربي يدين ببعض العلوم مثل علم الهيئة للفكر الفارسي الذي كان قد وصل إلى أوجه في عصر الدولة العباسية.

* * *

الصفحة 328

الصفحة 329

- 39 -

الأستاذ الشيخ محمدزهري النجار

من العلماء والمدرس بوزارة التربية والتعليم

الصفحة 330

- ولادته من مواليد القطر السوري مدينة حمص عام 1920 م.
- تخرج: من المدرسة العلمية التابعة لوزارة الأوقاف في حمص عام 1931 م.
- أكمل: دراسة الأصول وعلم الكلام على الشيخ طاهر الاتاسي بحمص عام 1935 م،وعلى علماء حمص الفقه الحنفي والشافعي، والمنطق،والبلاغة،والتفسير،والنحو والصرف بحلقاتهم الخاصة.
- نال: الإجازة العلمية من الشيخ بدر الدين الحسيني ومن الشيخ أمين سويد عام 1936 م.
- وفد: إلى مصر عام 1944 م.
- درس في الأزهر الشريف وتخرج في كلية الشريعة عام 1948 م بدرجة العالمية مع إجازة التدريس " ماجستير دولي " عام

1950 م، وحصل على العالمية مع إجازة القضاء الشرعي.

- أهم آثاره: حقق كتبا كثيرة منها كتاب: " تأويل مختلف الحديث " " الدين الخالص " " تفسير الآلوسي " " الأم للإمام الشافعي في 4 مجلدات " " مفتاح باب السعادة " لابن القيم " سر الروح " للبقاعي و " شرح معاني الآثار " للطحاوي في أربع مجلدات وغيرها.
- تعرفت إليه عام 1950 م بالقاهرة.
- ناقشته مفهوم التقية وموارده فوجدته يتحلى بالمرونة والسماحة واتباع الحق.
- له جهود وجهاده في سبيل تدعيم وحدة صفوف المسلمين في مواجهة أعدائهم.

تعرفت إلى هذا الأستاذ في مطعم المنظر الجميل بالقاهرة [1] وهذا المطعم محط رحال عدد كبير من العراقيين والسوريين واللبنانيين من علماء وتجار وغيرهم من الزوار وصاحبه السيد صالح حسن شاكر [2] وأستاذنا النجار من سوريا وقد غاب عنها أكثر من ربع قرن كما حدثني هو كان كثيرا ما يتناول طعام العشاء في هذا المطعم، وكنت في بعض الأحيان أتأخر عن تناول الطعام إلى حين مجيئه.

وفي إحدى المرات جاء إلى المطعم ظهرا وبقي إلى العصر وطلب مني الرواح معه إلى شقته في شارع محمد علي بعد ميدان أحمد ماهر وعندما دخلت الشقة وجلست، وصرت أنظر في مكتبه وأقلب بعض كتبه سألته عما لديه من كتب للشيعة الإمامية فقال:

عندي تفسير " آلاء الرحمن " للبلاغي، ورأيته معزا به فطلبت منه مقدمة التفسير ونشرتها في أول تفسير شبر عندما نشرته في القاهرة عام 1385 هـ -

(1) عرفني على هذا المطعم: الأستاذ الكبير السيد حسن الأمين (*) نجل صاحب السماحة آية الله المجاهد المغفور له السيد محسن الأمين مؤلف كتاب: " أعيان الشيعة " وقد صدر منه 56 جزءا وعندما كنت في بيروت سألته عن مطعم يجيد الطهي في القاهرة فقال:
عليك بمطعم المنظر الجميل لصاحبه السيد صالح حسن شاكر. وإني طيلة مكوثي في القاهرة كنت أتناول الطعام فيه نهارا وليلا.

(*) مؤلف " دائرة المعارف الإسلامية الشيعية " في خمس مجلدات كبار و " الغزو المغولي " و " الموسوعة الإسلامية " في ثلاثة أجزاء و " عصر حمد المحمود " و " الذكريات " و " من بلد إلى بلد " و " قيم خالدة في التاريخ والأدب " وغيرها وله مقالات منشورة في الصحف والمجلات العربية في الأقطار العربية.

- المؤلف -

(2) عائلة شاكر تقطن دمشق وصاحب المطعم غادر دمشق أكثر من نصف قرن.

1965 م وراجعا تصحيح هذا التفسير: الدكتور حامد حفني داود، والشيخ حسن زيدان والتقيت بالأستاذ النجار مرة في

أثناء الطريق فسألني قائلا:

هل أنت شيعي؟.

قلت: نعم.

قال: الشيعة يستعملون التقية، وأنك لا تتقي؟

فقلت له يا أستاذ. أنا آسف من كلامك هذا.

فقال لماذا؟

قلت: التقية تستعمل عند الخطر على النفس والخوف، وليس لها أي معنى هنا ومكانها غير هذا المكان فهل يتقي الإنسان في بلده؟ وفي وطنه؟

أليس الأزهر؟ أزهرنا، أليس جامع ابن طولون جامعنا؟

وهذه آثار السيدةزينب هي من آثارنا.

وهذا جامع الإمام الحسين (عليه السلام) في الأزهر الشريف جامعنا؟

أو ليست مصر كلها مصر الفاطميين؟.

فليس أي معنى للتقية هنا. فسكت ومضى.

وفي يوم من الأيام كنت مارا في أحد شوارع القاهرة وسمعته يتكلم مع أحد علماء الأزهر ويقول له:

إن أول من أدخل كتب الشيعة إلى مصر هو: " مرتضى الرضوي ".

وفي رحلتي إلى القاهرة عام 1395 هـ الموافق 1975 زرت فضيلة الشيخزاهري النجار في داره وفي مكتبه وطلبت منه صورته مع ترجمة وافية عن حياته فزودني بهما ثم أهديت له " المراجعات " للسيد شرف الدين مع مجموعة من مطبوعاتنا التي

قمنا بطبعها سابقا في القاهرة وبعدها ودعته وانصرفت.

* * *

خاتمة المطاف

هؤلاء مجموعة من رجال الفكر الموهوبين دارت معهم موضوعات شيقة تتوجم آراءهم في قضايا الفكر الإسلامي كما تدل على نظرتهم إلى هذه القضايا الأساسية في وحدة الكلمة وتواصل الصفوف والمطلحات التي سوف نعدها لجزء آخر ينفرد بهم وبمواقفهم واتجاهاتهم الفكرية الفذة.

وهناك شخصيات أخرى دارت معهم مقابلات ومداولات بشؤون تتصل بالخطوط العريضة لهذا الكتاب، نذكر منهم الأساتذة:

الشيخ محمد محمد المدني، والشيخ عبد العزيز عيسى والدكتور زكي نجيب محمد [1] والأستاذ أحمد الشايب، والأستاذ محمود الفولي، والأستاذ عبد الفتاح

---

(1) وردتني رسالة بتاريخ 5 / 11 / 65 إلى القاهرة من النجف الأشرف من صاحب السماحة:

السيد محمد باقر الصدر من كبار العلماء والمؤلفين في النجف الأشرف – العراق وإليك نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

" أخي الأستاذ الجليل المجاهد فضيلة السيد مرتضى الرضوي دام عزه، السلام عليكم زنة الاحترام والدعاء والتقدير.

تسلمت بالأمس رسالتك الكريمة التي عبرت من جديد، وقدمت برهانا إلى جانب البراهين الكثيرة على أخوتكم الصادقة، وهمتكم العالية، وشعوركم العظيم بالمسئولية تجاه العقيدة التي تقومون بها باستمرار في مجالاتكم التثقيفية الخدمات الجليلة فشكرا وألف شكر لما قمتم به وتكلفتموه من أتعاب وشكرا جزيلا للأستاذ الجليل الدكتور زكي نجيب محمود على ما تفضل به من معلومات، فقد تفضل مشكورا بالإرشاد إلى الفصل الأخير من كتابه الجليل: " المنطق الوضعي "والقسم الخامس من كتاب " لبرتر اندرسل ".

أما كتاب: " المنطق الوضعي " للدكتور زكي نجيب فهو موجود عندي بطبيعته الأولى في مجلد واحد ضخم وقد جاء ذكره في رسالتي السابقة، وأنا أعتز بما جاء فيه عن الاحتمال وكنت ولا أزال أرجع إليه وأستفيد منه ولكن كان بودي الاطلاع على نظرية الاحتمال وبخاصة عند " كينز " بصورة أوسع ولهذا فكرت في طلب ترجمة لكتاب " كينز " ويبدو الآن على ضوء رسالتكم أن ترجمة كتاب " كينز " تكتنفها الصعوبات فإذا كان القسم الخامس من كتاب " برتر اندرسل " الذي أشار إليه الدكتور زكي يكفي إلى حد ما لاستعراض النظرية فالرجاء يا أخي أن تفاوضوا الأستاذ الجليل الدكتور زكي نجيب محمود على أساس ما تفضل به من إرشاد إلى القسم الخامس من ذلك الكتاب في استحصال مترجم موثوق به لهذا القسم خاصة إذا لم يكن قد سبق أن ترجم إلى العربية وحاولوا أن تحددوا أقصر زمان ممكن للترجمة وتفضلوا بإخباري عن اتفاقكم على الموضوع مدة، وسعرا، كما أود أن أعرف حجم القسم الخامس في الأصل الإنجليزي.

وشكرا لكم يا أخي أولا وآخرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

النجف الأشرف: محمد باقر الصدر ملاحظة:

1 – اطلعوا من المترجم تحديد المصطلحات الأساسية في النظرية.

2 – اطلعوا من المترجم أن يكون واضحا في الترجمة على المستوى العام لوضوح الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود في ترجمته لكتاب: " الفلسفة بنظرة علمية "وغيره من الكتب التي أنجز ترجمتها إلى العربية.

محمد الحلو، والأستاذ عبد الحميد جودة السحار. والأستاذ عبد المتعال الصعيدي والدكتور علي سامي النشار، والأستاذ إبراهيم الأبياري والأستاذ محمد توفيق البكري والأستاذ رشاد عبد المطلب.

وبالنظر لعدم توفر الأوراق التي دونت فيها بعض محتويات هذه الاتصالات وضبط توقيتها أرجأنا تدوينها في هذا القسم، ونرجو أن يوفقنا الله تعالى لإعادة هذه النشاطات والاتصالات الفكرية مع رجال الفكر الذين دارت معهم هذه الموضوعات الفكرية الحية التي ترتبط بصالح الأمة الإسلامية، وبوعيهم ويقظتهم، ويقظة رجال الفكر في سبيل توحيد كلمة المسلمين عامة.

القاهرة

السيد مرتضى الرضوي